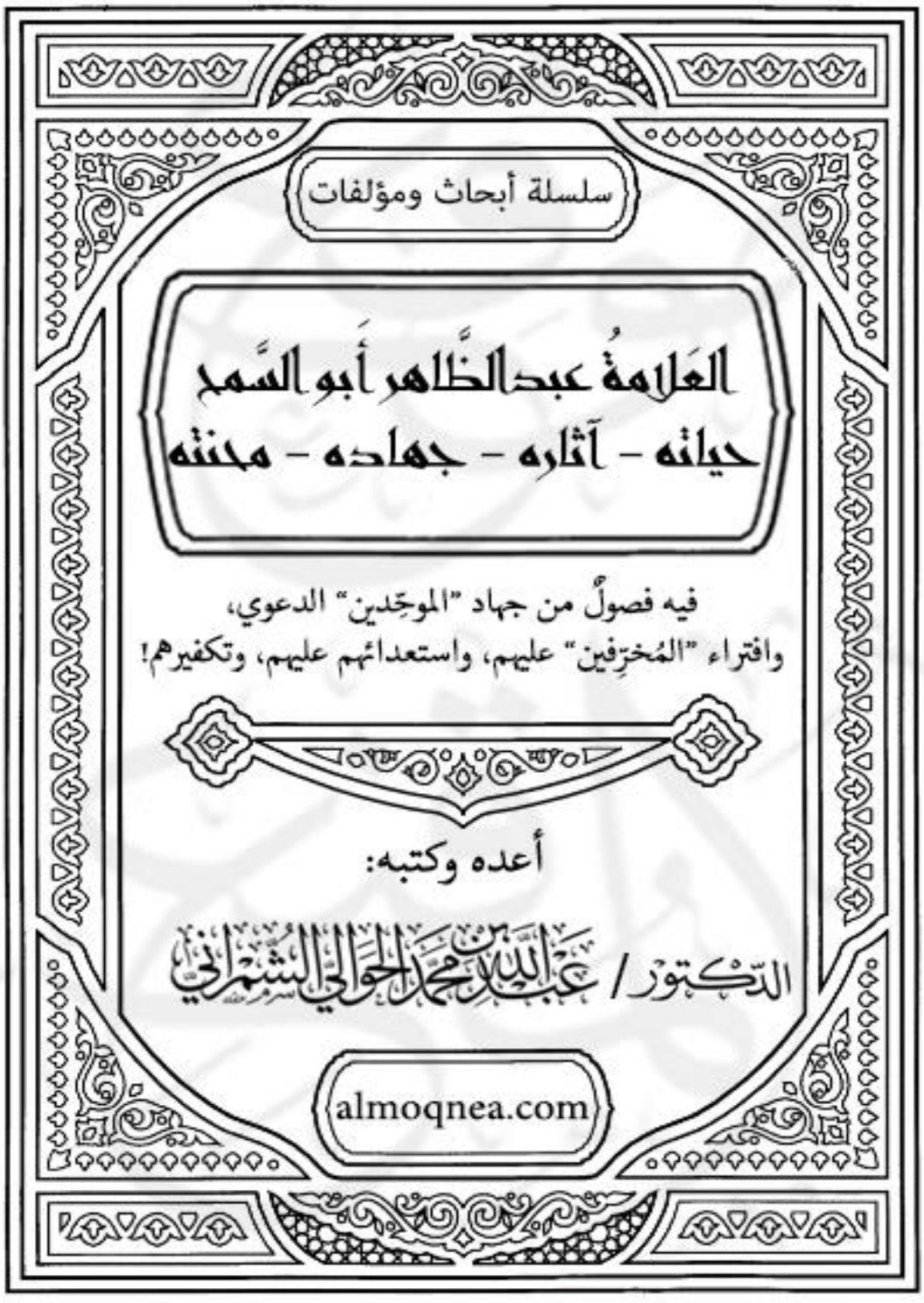
سلسلة أبحاث ومؤلفات
العَلامةُ عبدالظَّاهر أَبو السَّمح
حياته - آثاره - جهاده - محنته
فيه فصولٌ من جهاد "الموحِّدين" الدعوي،
وافتراء "المُخرِّفين" عليهم، واستعدائهم عليهم، وتكفيرهم!
أعده وكتبه:
الدكتور/ عبدالله بن محمد الحوالي السُّمَيْري
almoqnea.com

العَلاَّمَةُ عَبْدُ الظَّاهِرِ أَبو السَّمْحِ
حَيَاتُهُ ـ آثَارُهُ ـ جِهَادُهُ ـ مِحْنَتُهُ

فِيهِ فُصُولٌ مِنْ جِهَادِ «المُوَحِّدِينَ» الدَّعَوِي، وَافْتِرَاءِ «المُخَرِّفِينَ» عَلَيْهِمْ، وَاسْتِعْدَائِهِمْ عَلَيْهِمْ، وتَكْفِيرِهِمْ!

أعدَّه وكتبه

عبد الله بن محمد الحوالي السمراني

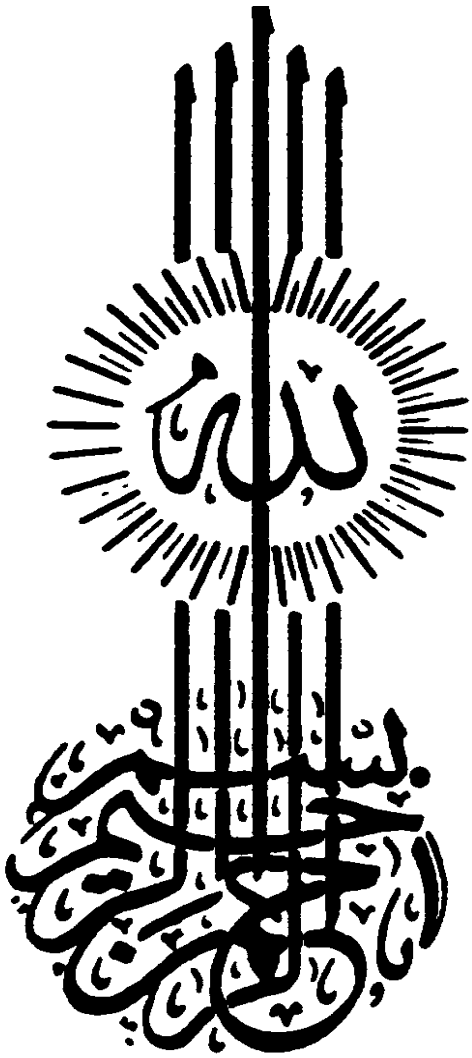

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[المَدْخَلُ إِلَى المَوْضُوعِ]

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أنفُسِنا، ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنَا، من يهدِه اللهُ، فلا مُضلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فلا هادِيَ لَهُ، وأشهدُ أنْ لا إلَه إلاَّ اللهُ، وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ وَرسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أمَّا بعد: فالأمةُ «المُحمدية» الإسلامية، أمةٌ مباركةٌ كريمة، بعثَ الله ﷻ لها أحبَّ الخلقِ إليه، محمد ﷺ، وأنزلَ إليها أجمع الشرائع، وجعلَها وسطًا بين الأمم، وأرادَ لها البقاء إلى نهاية الدُّنيا، فأكملَ دينِها، وأحكمَ شريعتَها، وجعلَ بيدها مفاتيحَ حياةِ الأمم، وسلامتها، وسعادتها.

ولأجل كلِّ هذا؛ سخَّر اللهُ ﷻ لها رجالاً، يحملون «ميراثَ» نبيِّها ﷺ بعد وفاته، وينقلونَه للناس وفق هديه ﷺ، لذلك نجد أنَّ هذه الأمة تمر في بعض مراحل حياتِها بأمراضٍ تخف وتثقل، ولكنَّها لا تموت، لبقاء حملة «ميراث النبوة».

ومن هؤلاء الرجال، الذين حملوا «ميراث النبوة» بصدقٍ، وجاهدوا في حمِله، ولاقوا لأجلِه ما لاقوا؛ العلامة، المُقرئ، المُحدِّث، الفقيه، الداعية، الواعظ، إمام وخطيب «المسجد الحرام»، مُؤسِّس «دار الحديث الخيرية» بـ «مكة المكرَّمة»:

عبد الظاهر أبو السَّمح رَحِمَهُ اللَّهُ

(١٣٠٣ ـ ١٣٧٠هـ)

وعلى جلالة قدْرِ هذا العالِم الجليل، وحُسن جهودِه، وحلاوة تاريخه، لم أجدْ من وفَّاه حقَّه، من حيث ترجمته، وذكر مسيرته العِلمية، وبيان جهوده الدعوية، وتوثيق ما لقيه من مَرارةٍ، في سبيل دعوته إلى المنهج الحقِّ، بصورةٍ مُفصَّلة.

فرأيتُ ـ بعد عونِ الله ﷻ ـ أنْ أُحيي تاريخه، بكتابة ترجمةٍ عِلمية مُوثَّقة لحياتِه، مُنذ ولادته بـ «مصر»، وانتهاء بوفاتِه فيها، مُرورًا بتعليمِه، وتحوُّلِه الفِكري، وجهادِه الدَّعوي، واتهامِه ـ زورًا ـ بـ «الرِّدة»، ومحاكمتِه بها، ومشاركته في تأسيسه «جماعة أنصار السُّنة المحمدية»، ثم انتقاله للإمامة

والخطابة بـ «المسجد الحرام»، وإنشائه «دار الحديث الخيرية» بها، وما تركه من «رسائل»، و «تحقيقات»، و «مقالات»، و «قصائد».

أسألُ الله ﷻ أنْ أكون قد وُفِّقْتُ في ما عَمِلتُ، وأنْ يجعلَ عملي هذا خالصًا لوجهِه الكريم، وأنْ ينفعَ به، آمين، والحمدُ لله رب العالمين،،،

كتبه

www.Almoqnea.com
twitter:@Shamrani45
Email: Shamrani45@Hotmail.com

* * * *

خطَّةُ البَحْثِ

بعد أنْ قرأتُ سيرةَ هذا العالِمِ الجليل، في مصادرة عِدة؛ رأيتُ أنْ أجعلَ سيرتَه على مُقدمةٍ، وتمهيدٍ، وتسعة عشر مبحثًا، على النحو الآتي:

ـ **المقدمة**؛ وفيها: [المدخل إلى الموضوع ـ وخطة البحث].

ـ **التوطئة**: [قصة الصِّراع بين الحقِّ والباطل].

ـ **التمهيد**: [دراسة تحليلية لمصادر ترجمة عبدالظاهر أبو السمح].

ـ **المبحث الأول**: [حياته الخاصة].

ـ **المبحث الثاني**: [نشأته العلمية، ورحلاته العلمية، وشيوخه].

ـ **المبحث الثالث**: [عقيدته، ومذهبه الفقهي].

ـ **المبحث الرابع**: [تلاميذه، وأثره فيهم].

ـ **المبحث الخامس**: [أعماله].

ـ **المبحث السادس**: [توليه الإمامة والخطابة بـ «المسجد الحرام»].

ـ **المبحث السابع**: [إنشاؤه «دار الحديث الخيرية»، وتدريسه فيها].

ـ **المبحث الثامن**: [منهجه في الحُسْبة].

ـ **المبحث التاسع**: [مؤلفاته].

ـ **المبحث العاشر**: [جهاده بقلمه، ومقالاته].

ـ **المبحث الحادي عشر**: [مجادلته «أهل الحديث» في مسألة «التمذهب»].

ـ **المبحث الثاني عشر**: [بحثه لمسألة «فناء النار»، واختياره فيها].

ـ **المبحث الثالث عشر**: [قصائده].

ـ **المبحث الرابع عشر**: [ثناء العلماء عليه].

ـ **المبحث الخامس عشر**: [المآخذ عليه، والدفاع عنه].

ـ **المبحث السادس عشر**: [جهوده في توزيع «الفتح الرباني» للسَّاعاتي].

ـ **المبحث السابع عشر**: [أبو السَّمح والتكفير].

ـ **المبحث الثامن عشر**: [مُلخّص الوقائع التي جرت له مع خصومه].

ـ **المبحث التاسع عشر**: [ذِكر وقائع محاكمته بحكايته، ورواية رشيد رضا].

ـ الخاتمة؛ وفيها: خلاصة البحث، ونتائجه.

ـ الملحق الأول: «السيرة الذاتية» لأبو السمح بقلمه.

ـ الملحق الثاني: مشاهدات تقي الدين الهلالي، لما جرى لأبو السمح.

ـ الملحق الثالث: الصور والوثائق.

ـ فهرس الأعلام.

ـ قائمة المصادر والمراجع.

ـ فهرس الموضوعات والفوائد.

ـ فهرس الموضوعات الرئيسة.

* * * *

التَّوْطِئَةُ

[قِصَّةُ الصِّرَاعِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ]

رغم أنَّ «الحقَّ» واضحٌ أبلج، و «الباطلَ» ظاهرٌ، والعقلُ السَّوي يعرفُ هذا وذاك، كمعرفتِه لعلو السماء، وسُفلية الأرض، إلا أنَّ صاحبَه قد يُعميه عن ذلك، ويجبره على ما لا يقبله، لهذا جاء في كثيرٍ من الآيات القرآنية، مُخاطبةُ الإنسانِ بأن يُعمل عقلَه.

قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة]. وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران]. وقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١]. وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [طه]. وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الحجر]. وقال ﷻ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق]. وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج].

إنَّ الإنسانَ ـ في أصلِ فطرتِه ـ لا يحتاجُ إلى رسولٍ مُنزل ليعرف ربَّه، وأنَّه الأحقُّ بالعِبادة وحده؛ فهذا أمرٌ مُستقرٌّ في الفِطر، خلقه اللهُ في قلوبِ البشر، وأخذ عليهم الميثاق قبل وجودِهم؛ قال ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم]. وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ

بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف].

ولكن من رحمةِ الله ﷻ للإنسان؛ أرسل له الرُّسلَ، ليرشدوه إلى الطريق الصحيح المُوصِل إليه، ويبلغوه شريعة خالِقه؛ لكي لا يكون له حجةٌ يوم القيامة؛ قال ربُّنا ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال ﷻ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥].

لقد كانتِ الرسلُ عليهم السلام تأتي بحُجةٍ بيضاءَ نقيِّةٍ، لا جِدال فيها، وبمعجزاتٍ لا تقبلها العقول مُطلقًا، كُلُّ ذلك تأييدًا لصدق الرُّسلِ، ومع كُلِّ هذا نجدُ أُناسًا منعهم الكِبر، والعِناد، والحسد، والهوى، والتقليد، عن اتباع الحقِّ.

ألا ترون سيِّدَهم إبليس، يرى اللهَ ﷻ يخلقُ آدمَ عليه السلام بيده، ثم يُكلمه اللهُ ـ آمرًا ـ فيقول له: اسجدْ لآدم. فيقول (لا)!! يقولها وهو يعلم بأنَّ اللهَ حقٌّ، يقولها وهو يعلم بأنَّ اللهَ لا يُعصى ـ، يقولها وهو يرى المخلوقاتِ ـ الملائكة عليهم السلام ـ من حولِه كلهم امتثلوا للأمر، وسجدوا مباشرةً، دون جدالٍ، يقول (لا)، وهو يعلم بأنَّ اللهَ هو الذي خلق هذا المخلوق من صَلْصالٍ، وكرَّمه، ونفخ فيه من رُوحه، يقول (لا)، وهو يعلم بأنَّه لا آمر ولا ناهي في هذا الكون سوى الله وحده...

أريتُم كيفَ يصنعُ الكِبْر والحسدُ والعِنادُ بصاحبِه، وكيفَ يعمِيه عنِ الحقِّ؟!

قصةٌ عجيبةٌ، بفُصولٍ غريبةٍ، تنتهي بصاحبِها إلى لعنةٍ أبدية في الدنيا والآخرة، وبعُمرٍ طويل جدًا، لم يُعمره أحدٌ (غير الملائكة)، ليكون ملعونًا، طريدًا، رجيمًا، طيلة هذه السنين الطويلة؛ قال ﷻ: ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨ ﴾ [الحجر].

وبعدُ؛ فهذا قصةٌ واحدةٌ، من مئات قصص مناوئي الحقِّ، والمجادلين بالباطل، الذي خاضوا معارِكَ انتهت بهم إلى خسارةٍ سجَّلها التاريخ؛ ومن أشهر هذه القصص:

ـ في مجال الأنبياء والمُرسلين: إبراهيم عليه السلام والنَّمرود، موسى عليه السلام وفرعون، لوط عليه السلام وقومه، محمد ﷺ وقريش.

ـ وفي مجال الصَّحابة الكرم رضي الله عنهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه و «المُرتدِّين».

ـ وفي مجال السَّلف الصَّالح: أحمد ابن حنبل رحمه الله و «المُعتزلة».

ـ وفي مجال العُلماء الرَّبَّانيِّين: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله و «الرفاعية».

ـ وفي مجال المُصلحين المُجدِّدين: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ومناوئيه.

وفي هذا «الكتاب» سأعرِضُ لقصةِ واحدٍ من دعاة «التوحيد» و «السُّنة»، ظُلم، وأُوذي، وافتُري عليه، واستُعديت عليه «السُّلطة»، ثم

كُفِّر، ليَنفر منه العامَّة، فلا يَأخذوا عنه التوحيد الصحيح، والسُّنة، والاتباع، وقد جاءه التكفير من قومٍ ما برحوا يرمون «السَّلفيين» بأنَّهم تكفيريين! ثم رُفِع أمرُه ـ جُورًا ـ إلى «المحاكِم»، ليحكم بردته ويُقْتل.

ولكنَّه صبرَ، واحتسبَ، وقاومَ، مُستعينًا بالله ﷻ؛ فنصرَه الله ﷻ، وخلَّصه من مكرِ مُناوئيه، وشرَّفه، وكرَّمه، ورفع قدره؛ فكانَ إمامًا وخطيبًا في أقدسِ وأطهرِ بُقعةٍ على وجه الأرض ـ «المسجد الحرم» بـ «مكة المكرمة» ـ، حتَّى وفاته، يُقدِّرُه الملوك، والأُمراء، والقُضاة، والعُلماء، والوجَهاء، وعامة الناس، ويُقبِّلون يده، وجبينه، ورأسه... والعاقبة للمتقين!

قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف].

ولن أطيل أكثر من هذا، حتى لا أحرق الموضوع، وهو في أولِّه.

* * * *

التَّمْهِيدُ

[دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِمَصَادِرِ تَرْجَمَةِ عَبْدِ الظَّاهِرِ أَبُو السَّمْحِ]

كُتِبَ عن الشيخ عبدالظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ عدة ترجمات، لجماعةٍ من العُلماء، وطُلاب العِلم، والكُتَّاب، ورأيتهم على ثلاثة أصناف:

ـ فمنهم من طلب من المُتْرْجَم ترجمتَه، فكتبها له، ونقلها بنصِّها.

ـ ومنهم مَن يَعرفه، وجالسه.

ـ ومنهم المعاصر له، ولكنَّه لم يرَه.

ـ ومنهم باحثٌ، أتى بعده.

وكلُّ ما وقفتُ عليه، فيه خيرٌ وبركة، وإنْ كان غالب الصنِّف الرابع ليس لديهم جديدٌ، سوى ترتيب وتنظيم المواد المبعثرة في ترجمة الأصناف الثلاثة؛ لذا وجدتُ لديهم تكرارًا كثيرًا، وهذا ـ قطعًا ـ لا يعيبهم، فكل قد كتب استقلالاً.

وأجلُّ ترجمةٍ له، هي «سيرته الذاتية» التي كتبها ـ بخطِّه ـ للشيخ عبدالله الغازي، بناء على طلبه، وهي طويلةٌ ومُفصَّلةٌ، وقد أودعها كتابه: «نثر الدُّرر».

والترجمة ـ نفسُها ـ عند الشيخ ابن بِيلَّا في «الجواهر الحسان»، مع اختلافٍ يسيرٍ جدًا، وكلاهما أدرك الشيخ، فهل ابن بيلّا نقلها عن «نثر الدرر» وهذا ما أظنه، أو أنه استكتب أبو السمح ـ كما صنع الغازي ـ، فأعطاه أبو السمح نسخةً مماثلة.

ولكن يبدوا أنَّ هذه النسخة من «سيرته»، قد ضاعتْ منه، فكتبها مرة أُخرى، وفيها زيادات مهمة ليست في السابقة، وعند العلامة: سليمان بن

عبدالرحمن الصنيع رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٨٩هـ) نسخةً منها، أودعها كتابَه: «الثَّبَت العالي الرفيع»[١].

وهي ترجمةٌ نفيسةٌ، فيها فوائد وزياداتٌ هامةٌ في حياتِه: الشخصية، والاجتماعية، والعِلمية، والوظيفية، لم ترد عند كُلٍّ من ترجم له.

ولأهميتِها سأفردها بنصِّها، في ملحقٍ آخر الكتاب.

أمَّا ترجمة الهلالي؛ فلم تكن ترجمةً بالمعنى الاصطلاحي المعروف لكتابة التراجم، بل تطرَّق للشيخ أبو السمح حين التقى به في «مصرَ»، ودَّون ما سمعه وشاهده من حوادث وفِتن، تعرَّض لها أبو السمح في دعوته إلى الله، فكان شاهدًا على المرحلة، وأتى بما لم تأتِ به كُلُّ كتب التراجم، حتى ترجمة أبو السمح نفسِه، لم يُوجد فيها الكثير مما قاله الهلالي.

ولعلَّ أبو السمح أَجْمَلَ ـ في «سيرته الذاتية» ـ مرحلةَ الحوادث والفِتن، حتى لا تُزاحم غيرها من مراحل حياتِه، أمَّا الهلالي ففَصَّلَ في هذه المرحلة، ولم يذكر غيرها؛ لأنَّه لم يُرِدْ ترجمة أبو السمح.

فتدوين الهلالي توثيق مهم لمرحلة عصيبة في حياة أبو السمح، بل تدوين وتوثيق هام لمرحلة تاريخية مهمة لـ «رمل الإسكندرية».

---

(١) وقد طُبع الكتاب بتحقيق فضيلة الشيخ عبدالإله الشايع وفقه الله، وهو الذي أرشدني ـ مشكورًا ـ إلى وجود ترجمةٍ لأبو السمح في الكتاب، وزوَّدني بها.

وهناك عناصر محدَّدة في ترجمته، اتفقتْ عليها كل المصادر؛ وهي:

اسمه، ووفاته، وإمامته لـ «الحرم»، وتأسيسه «دار الحديث»، وذكر «رسائله» الثلاث.

وهذه هي عناصر الزركلي في «أعلامه»، فيكون من اقتصر عليها، أخذ منه.

وبعضُهم اكتفى بها، بعباراتٍ مختصرة، وتوسَّع بعضُهم فزادَ عليها وأفاض.

وهذه العناصر وردتْ في كُلِّ المصادر، مع توسّع بعضهم في بعضِها، كما أنَّ بعضَهم تميزَّ في بعضِ العناصر، كالسَّيف في «المبتدأ والخبر»، فقد غطَّى تأسيس «دار الحديث الخيرية» بنَفَسٍ واسعٍ جدًا، بخلاف غيره.

كما أنَّ بعضَهم انفردَ بذكر بعضِ مؤلفاته، كانفراد عبد الجبار بذكر: «المناسك»، و «التفسير»، وانفراد السَّيف بذكر حُسنَ خَطِّه، وولعِه بنسخِ المخطوطات؛ ومنها: «مسائل أحمد» و «موطأ مالك».

وتخصَّص على جواد الطاهر بذكر ـ وتوثيق ـ مؤلَّفاته، وتحقيقاته، وما نشره على نفقته، أو عنايته، وأجاد وأفاد، وأورد بعض المعلومات، انفرد بها عن غيره.

وانفرد الشيخ عبدالله خيَّاط بذكر طريقته في التدريس ومنهجه في الاحتساب؛ باعتباره أحد تلاميذه، وأحد العاملين تحت إدارته في الاحتساب.

وانفردَ الشيخ يوسف الصُّبحي بذكر كلام الشيخ عبد الظاهر في اتصالِه بشيخِه الشنقيطي، واستفادته منه، وتأثره به، ولم يرد نصُّ هذا الكلام في بقية المصادر، مع أنَّهم أشاروا إلى اتصاله بشيخِه الشنقيطي، وتأثره به.

وترجمة الدكتور صالح بن حُميد لأبو السمح، وإن كان الغالب فيها، أنَّها نسخةٌ من المصادر، التي أحال إليها في آخر الترجمة، وهذا لا إشكال فيه، إلا أنَّه ورد في الترجمة إضافات مُهمَّة، وقيِّمة، لم أرَها في المصادر التي أحال إليها، ولا في غيرها، مما اطلعتُ عليه؛ كإزالة أبو السَّمح لـ «الشموع» من على باب «الكعبة»، وقد كان لها أوقاف، ونجاحه ضد مخالفيه من «الأغوات»، وغيرهم.

ويكفي في إثباتها، كون فضيلة مؤلف الكتاب من أئمة وخطباء «المسجد الحرام» المخضرمين، ولعلَّه ـ أيضًا ـ أخذ هذه المعلومات عن أبيه.

ولكن ورد عنده فقرة طويلة، وهي موجودةٌ في كتاب عبد الجبار، على أنَّها من كلامِه، ونسبها ابن حُميد للدكتور تقي الدين الهلالي، ولم ترد منسوبة للهلالي، في مصادره التي اعتمدها، وأحال إليها[1].

(١) سيأتي مناقشة ذلك في المبحث الرابع عشر، عند ورود هذه الفقرة بنصِّها (ص).

و «مقال» أ. صلاح الزامل ـ مع أنَّه مقالٌ صحفي ـ إلا أنَّه يُشكل ترجمة مُركَّزة، ووجدتُ عنده ما لم أجده عند غيره.

وتبقى ترجمتُه لنفسِه ـ عند الغازي وابن بِيلَّا ـ أصلاً في الباب، تليها ترجمةُ: عبد الجبار، والزركلي، واعتمدهما أصلاً مَنْ أتى بعدهما، ولك أنْ تقارن ترجمة عبد الظاهر عند الزركلي بما أورده كحالة، وترجمته عند عبد الجبار بما أورده المعلمي وابن حُميد؛ لترى النقلي النَّصِّي ـ بالأسطر، وإنْ كانوا قد أحالوا في أواخر الترجمة لمصادرِهم.

وهذا سردٌ لما وقفتُ عليه من مصادر ترجمته:

[أولاً: السيرة الذاتية]:

١ ـ كتب الشيخ عبد الظاهر أبو السَّمح ترجمةً مُطوَّلةً ومُفصَّلةً له، بناء على طلبٍ من الشيخ عبدالله الغازي، وقد سبق ـ قبل قليلٍ ـ الكلام عليها، وستأتي ـ أيضًا ـ عند الكلام على كتاب «نثر الدُّرر» للغازي، وعنه «الجِواهر الحسان» للشيخ ابن بِيلَّا تلميذ الغازي، والزيادات التي وردتْ في نسختِها الأخيرة عند الصنيع.

٢ ـ مؤلفات الشيخ أبو السَّمح، ومقالاته، وقصائده، ففيها الكثير من لمحات حياته، وفِكره؛ ومنها على سبيل المثال: «الرَّسالة المكيَّة»، و «القصيدة الرَّمْليَّة»، فمن يطلع عليها؛ يجد وصفًا دقيقًا وموثقًا، لأحد الفصول العصيبة التي مرَّ بها المُترجَم.

[ثانيًا: الكتب التي ترجمتْ له]:

٣ ـ عبد الله بن محمد الغازي ت (١٣٦٥ هـ).

ترجم له في: «نثر الدرُّر في تذييل: (نظم الدُّرر)»؛ (ص ٥٧٧).

وهي ترجمةٌ نفيسةٌ، إذ هي «سيرةٌ ذاتيةٌ» كتبها المُتْرْجَمُ نفسُه، يقول الشيخ عبدالله الغازي رَحِمَهُ اللَّهُ في أوَّلها:

(طلبتُ منه ترجمَتَهُ؛ فكتبَ لي ترجمَتَه مُطوَّلاً، أنقلُ ـ هنا ـ خُلاصتَها، قالَ...)[1] اهـ

قلتُ: ذكرها ـ بنصِّها، وهي طويلةٌ، ومُفصَّلةٌ.

٤ ـ سليمان بن عبدالرحمن الصنيع ت (١٣٨٩ هـ).

ترجم له في: «الثَّبَتُ العالي الرفيع»؛ (ص ٤١٨).

وهي النسخةُ الأخيرة من «السيرة الذاتية» لأبو السمح، كتبها بيده، فجاءتْ أتم من النسخ السابقة التي وضعها، وسبق الحديث عنها.

٥ ـ عمر بن يحيى عبد الجبار ت (١٣٩١ هـ).

ترجم له في: «سير وتراجم»؛ (ص ٢٢٧).

وقد استدرك علي جواد على عبد الجبار، بأنَّه لم يترجم للشيخ عبد الظاهر في كتابه الآخر: «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»[1].

---

(١) «نثر الدرر» (ص ٥٧٧).

قلتُ: لا يصح ـ من وجهة نظري ـ هذا الاستدراك على الأستاذ عبد الجبار؛ لأنَّه ابتدأ في جمع التراجم قديمًا، ونشر بعضَها في صحيفةٍ حجازية قديمة «حِراء»، وقد احتجبت مُبكرًا.

وعندما اجتمع له عددٌ آخر منها نَشر ـ هذه التراجم في كتابه: «دروس من ماضي التعليم» وهي (٩٤) ترجمة، ثم اجتَمعَ له غيرُها، ومنها ترجمة عبد الظاهر، فأخرجها كلها في «سِيَر وتراجم»، وقد حوى (١٣٠) ترجمة.

فيكون «سِيَر وتراجم»، هو النسخة الجديدة لـ «دروس من ماضي التعليم»؛ ويُؤكد هذا؛ توافق نص التراجم، والمقدمة التي كتبها الأديب عبد القدوس الأنصاري، والتمهيد الذي كتبه عبد الجبار موجودان في كلا الكتابين.

ثم إنَّ علي جواد نفسَه صرَّح بكون الكتاب الثاني، نسخةً جديدةً من الكتاب الأول؛ حيث قال عن «سِيَر وتراجم»: (هو «دروس من ماضي التعليم...» باسمٍ جديدٍ، وزيادةٍ في التراجم)[٢]. والله أعلم.

٦ ـ خير الدين محمود الزركلي ت (١٣٩٦هـ).

---

(١) «معجم المطبوعات» (٢/ ٧٧٥).

(٢) وانظر: مقدمة الأنصاري وتمهيد عبد الجبار لـ: «سِيَر وتراجم» (ص ١٦، ٢١)، و «الأعلام» (٥/ ٤٩)، و «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ١٠١٣).

ترجم له في: «الأعلام»؛ (٤/ ١١).

٧ ـ د. محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي ت (١٤٠٧هـ).

تحدَّث عنه وعن لقائه به في مصر، وذَكر ما حصل للمترجم من مِحَنٍ، في سيرته الدعوية: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة»؛ (ص ٧) وما بعدها، وفيه ـ من أخبار أبو السمح ـ ما لا يوجد في غيره.

٨ ـ عمر رضا كحالة ت (١٤٠٨هـ).

ترجم له في: «معجم المؤلفين»؛ (٢/ ١٥٥).

وقد انفردت طبعة «الرسالة» بالترجمة، ولم أجدها في الطبعة القديمة، ولا في «المُستدرك» المُلحق بها، وربما وَرَدَتْ في «المُستدرك» اللَّاحِق بعدها.

والترجمةُ المُثبتة في ط. «الرسالة»، هي ترجمةُ الزِّركلي في «الأعلام» بنصِّها!

والعجيبُ أنَّ كحالة أحالَ فيها على «مُعجم المؤلِّفين العراقيِّين» لعوَّاد، ولم أجدها فيه، بل هي ليستْ على شرطه، وكيف تكون فيه، والمُترجَم مصري حجازي، وليس عراقيًا، ولم يرحلْ إلى «العراق»؟!

٩ ـ زكريا بن عبدالله بن بِيلَّا ت (١٤١٣هـ).

ترجم له في: «الجواهر الحِسان في تراجم الفضلاء والأعيان من أساتذة وخِلَّان»؛ (٢/ ٣٥٩).

وترجمته هي نصُّ «السيرة الذاتية»، التي ذكرها الغازي ـ كما تقدَّم ـ في «نثر الدُّرر»، بما في ذلك قوله: (طلبتُ منه ترجمتَهُ؛ فكتبَ لي ترجمتَه...)! مع إضافاتٍ يسيرة جدًا، و«نثر الدُّرر» من مصادِره، ومُؤلِّفه من شيوخِه.

١٠ ـ الشيخ: عبدالله بن عبدالغني خيَّاط ت (١٤١٥هـ).

ترجم له في: «لمحات من الماضي»؛ (ص ٣١٥).

وهو من أخص تلاميذه، وقد تأثر بشيخه كثيرًا، وترجم له في مذكراته، ووضعه في فصل: (شخصيَّاتٌ لها أثرٌ في نفسي)، وفي ترجمته لشيخه أخبارٌ، انفرد بها عن بقية مصادر ترجمته.

١١ـ علي جواد الطاهر ت (١٤١٧هـ).

ترجم له في: «معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية»؛ (١/ ١٨١)، و (٢/ ٦٩٧، ٧٧٤، ٨٥٢)، و (٣/ ١١٩٣، ١١٩٤).

١٢ ـ إبراهيم بن عُبَيْد آل عبد المحسن ت (١٤٢٥هـ).

ترجم له في: «تذكرة أُولي النُّهى»؛ (٤/ ٣٠٦).

١٣ ـ إبراهيم بن محمد السِّيف ت (١٤٣١هـ).

ترجم له: «المبتدأ والخبر»؛ (٢/ ٣٧١).

وقد أحال في ترجمته إلى «تتمة الأعلام» لمحمد خير رمضان (٢/ ٣٧)، و «مستدركها» (ص ٧١) للمُؤلِّف نفسِه، والموجود في الموضعين المذكورين ليستْ ترجمة لعبد الظاهر بل لأخيه عبد المهيمن، وستأتي.

ولا توجد في: «تتمة (الأعلام)»، ولا «مستدركه»، ترجمة لعبد الظاهر، لسببين:

الأول: أنَّها على غيرِ شرطِه، فوفاةُ المُترجم (١٣٧٠هـ)، وشرطُه ابتداء من وفيِّات (١٣٩٦هـ).

والثاني: أنّ الزركلي ترجم لعبد الظاهر، كما سبق.

١٤ ـ جمال بن أحمد البَنَّا ت (١٤٣٤هـ).

أصدر كتاب: «خطابات حسن البَنَّا الشاب إلى أبيه»، وأودع فيه وثائق ومراسلات للحقبة التي عاشها حسن البنا ووالده، وعُلَماء عصرِهما، ومراحل تأليف «الفتح الرباني»...

والكتاب فيها شيءٌ من سيرة المُترجَم ـ عبد الظاهر أبو السَّمح ـ، وتوثيق ما تمّ بينه وبين أحمد البَنَّا من مخاطبات؛ لذا عوَّلت عليه.

والمؤلف هو جمال بن أحمد البَنَّا، الذي دار حوله الكثير من الجدل.

١٥ ـ محمد بن أحمد سيد أحمد[١] ت (١٤٣٩هـ).

---

(١) عالمٌ أزهري، وشيخٌ فاضلٌ، ذو تواضعٍ وورعٍ، وخدومٌ لطلبة العلم، قدِم «السعودية»، ودرَّس سنواتٍ في «دار الحديث الخيرية» بـ «مكة»، وله بعض المؤلفات والتحقيقات، وله جهودٌ دعوية، وأثنى عليه عُلماء كبار.

له ترجمة بقلم ابنتِه «رباب»، في موقع «الألوكة»، تحت هذا الرابط:

[https://www.alukah.net/culture/0/131493]

وضع في ترجمة الشيخ عبدالظاهر كتابًا مُستقلاً، ولا أعلم عنها شيئًا.

يقول أ. صلاح الزامل:

(إنَّ الباحثَ محمد سيد أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ المُدرِّس ب، «دار الحديث الخيرية» قد ألَّف كتابًا عن حياة الشيخ عبدالظاهر أبو السمح، كما أخبرني عبر لقاء في «الرياض» قبل عشرة أعوام.

ولا أعلمُ ما هو مصير هذا الكتاب، رحِم اللهُ الباحثَ محمد سيد أحمد، فقد تُوفِّي قبلَ خمسةِ أشهرٍ، وله بحوثٌ وكتبٌ في السِّير والتراجم) اهـ

قلتُ: أفادتْ ابنته رباب، أنَّ الكتابَ تحت الطبع لدى «دارة الملك عبدالعزيز»[1].

والشيخُ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ اجتهدَ وصنَّف في تراجم أعلام «مصر» السَّلفيين، كـ: محمد بن عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٩٢هـ)، وعبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤١٥هـ)، وهما من أصحاب الشيخ عبدالظاهر أبو السمح.

والتقيتُ به ـ قبل سنواتٍ ـ فسلَّمني بيديه ترجمةً ذاتيةً للعلامة الفقيه علي الهندي ت (١٤١٩هـ)، كان الهندي قد كتبها بخطِّه.

١٦ ـ د. زهير بن محمد جميل كُتبي.

ترجم له في: «رجال من مكة المكرمة»؛ (ص ٤١)، ولم أطلع عليه.

---

(١) انظر ترجمتَها لأبيها، المُشار إليها في الحاشية السابقة.

١٧ ـ عبد الله بن عبدالرحمن المعَلّمي.

ترجم له في: «أعلام المكيِّين من القرن التاسع إلى القرن الرابع الهجري»؛ (١/ ٢٠٣).

١٨ ـ عبدالله بن سعيد الزهراني.

ترجم له في: «أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه»، ولم أطلع عليه.

١٩ ـ يوسف بن محمد الصُّبْحي.

ترجم له في: «وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم»؛ (ص ٢٥١).

٢٠ ـ د. صالح بن عبدالله بن حُميد.

ترجم له في: «تاريخ أُمَّة في سِيَر أئمة»؛ (٣/ ١١٧٤).

٢١، ٢٢ ـ عبد الله بن أحمد الغامدي.

ترجم له في: «أئمة المسجد الحرام في العهد السعودي»؛ (ص ١٨٥).

وترجم له في: «أئمة الحرمين في العهد السعودي»؛ (ص ٢٢٢).

وفيهما تشابهٌ كبيرٌ جدًّا، مع بعض الفروقات والزيادات اليسيرة.

ومَنشورٌ في الكتابَيْن المذكورَيْن ـ في عدة مواضع منه ـ الكثير من المعلوماتِ التي تخصُّ ترجمة الشيخ أبو السمح، منها على سبيل المثال: ضمن ترجمة أخيه: الشيخ عبدالمهيمن أبو السمح، وابنه عبدالرحمن أبو السمح، وشقيق زوجته: العلامة محمد بن عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُمُ اللهُ.

انظر: «أئمة المسجد الحرام في العهد السعودي» (ص ٢٧٤، ٣٢٨، ٣٧٣)، و «أئمة الحرمين في العهد السعودي» (ص ٣١١، ٣٦٥، ٤١٠).

٢٣ ـ عبد المحسن الصَّاعدي.

ترجم له في: «مسيرة الشيخين محمد عبد الظاهر وأخيه عبد المهمين إمامَيْ وخطيبَيْ المسجد الحرام وجهودهُما العِلمية».

٢٤ ـ مريم بنت راجح المنعمي.

ترجمتْ له في: «مدرسة دار الحديث المكية بمكة المكرمة ـ دراسة تاريخية تقويمية»؛ (ص ٢٠).

[ثالثًا: مقالات «الصحف»، و «المجلات»]:

٢٥ ـ «صحيفة أُم القُرى»؛ (١٣ ـ رجب ـ ١٣٧٠هـ).

٢٦ ـ «مجلة الهدي النبوي»؛ العدد (٨، ١٠)؛ سنة: (١٣٧٠)، فيهما ترجمة له، ولم أطلع على العددين[١].

٢٧ ـ الصُّحف والمجلات المعاصرة له، ولاسيما من شارك بالكتابة فيها، فمن الصحف: «الأخبار»، و «وادي النيل»، و «صوت الحجاز»، و «أم القرى»، ومن المجلات: «المنار»، و «الإصلاح»، و «الحج».

وقد جُمِع الكثير من مقالاته، ونُشرت في كتابٍ بعنوان: «المقالات السلفية لفضيلة الشيخ عبدالظاهر أبو السمح»[١]، وتضمَّن (٥٩) مقالاً.

---

(١) انظر: «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٧).

وقد وضع المُعتني بجمع هذه «المقالات» مُقدمة، فيها ترجمة للشيخ أبو السمح، ورأيتُ فيها أمرين لا يصحّان:

الأول: أنَّ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ هو المؤسس لـ «جماعة أنصار السُّنة».

الثاني: أنَّ الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ دعاه إلى «مكة» ليكون إمامًا وخطيبًا في «المسجد الحرام»، ومُدرِّسًا في «دار الحديث الخيرية»، وهذه المدرسة لم تكن موجودة حينها، والشيخ أبو السمح هو صاحب فكرة إنشائها، وأسَّسَها بعد وصوله «مكة» بسبع سنواتٍ.

وسيأتي بيان كل ذلك ـ مُفصَّلاً ـ في موضعه.

٢٨ ـ المقالات التي كُتبت في رثائه بعد وفاته، وفيها لمحات عنه؛ ومنها: «كلمة رثاء» للشيخ: أحمد علي الكاظمي ت (١٤١٣هـ)، وهي مقالةٌ منشورة في «صحيفة المدينة»، بتاريخ (١٥/ ٧/ ١٣٧٠هـ) يرثي فيها أبو السَّمح[٢].

٢٩ ـ علي جواد الطاهر ت (١٤١٧هـ).

يُنظر مقاله في: «مجلة العرب» ـ مقال؛ (٧/ ٩٤٧).

وتقدَّمتْ ترجمته لعبد الظاهر في: «معجم المطبوعات العربية».

---

(١) سيأتي في المبحث العاشر (ص) اسم من عُنِي بجمع هذه «المقالات».

(٢) انظر بعضًا منها في: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٦).

٣٠ ـ فتحي أمين عثمان[١].

«من أعلام الدعوة... محمد عبد الظاهر أبو السَّمح»؛ مجلة التوحيد؛ السنة: (٢٤)؛ العدد: (٩)؛ سنة: (١٤١٦)؛ (ص ٤٥ ـ ٤٧)، وهي ترجمة ـ مكتملة الأركان ـ للشيخ أبو السمح، بقلم أحد أعضاء الجماعة، نُشرتْ في زاوية ثابتة بالمجلة، تُعْنى بأعلام الدعوة الإسلامية.

٣١ ـ صلاح الزامل.

«عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»، وهو مقال علمي قيِّم، فيه ما ليس عند غيره، وهو منشور في: «صحيفة الرياض»؛ عدد يوم الجمعة؛ لتاريخ: (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ)؛ العدد: (١٨٣٦٥).

وقد نُشِر بعد انتهائي من إعداد الكتاب بسنواتٍ، واستفدتُ منه في مواضع أشرتُ إليها، وذكرتُه لأهميته، وليكون مرجعًا للترجمة[٢].

[رابعًا: متفرقات]:

٣٢ ـ رأيتُ في مواقع إلكترونية على شبكة «الإنترنت»، عدة مقالاتٍ عنه، منهم من ترجم له، ومنهم من تكلَّم على تحوله الفِكري، ومنهم من تكلَّم عن منهجه في العقيدة، ولكنَّها أتتْ مُختصرةً جدًا.

---

(١) هو: مدير إدارة الدعوة والإعلام بـ: «جماعة أنصار السُّنة».

(٢) ويرجع فضل الدلالة عليه، إلى أخينا فضيلة الشيخ سليمان الخراشي رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلتُ: لقد تحرَّيتُ في مصادر ترجمته، وذكرتُ كُلَّ ما وقفتُ عليه، لكي تكون دليلاً لمن أراد أنْ يكتب عنه ـ بعدي ـ دراسةً موسعةً[١].

وعندما عزمتُ على كتابة ترجمة للعلامة عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ؛ طالعتُ جُلَّ هذه المراجع، واستقيتُ منها هذه الترجمة العلمية المُفصَّلة، وحرصتُ على التوثيق العِلمي والإحالة، لكل معلومة أذكرها، ولم اكتفِ بسرد المراجع هنا، مع تحليلها، وإنْ كان غالبها يدور في فلك ترجمةٍ مُحَدَّدة المعالِم.

* * * *

(١) ولم يُترجم له محمد خير رمضان في: «مُعجم المؤلفين المعاصرين»؛ لأنَّ شرطَه، مَن ترك مخطوطًا، أو مطبوعًا خرج بعد وفاته، فكان عبد الظاهر أبو السمح ليس على شرطه.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ
[حَيَاتُهُ الخَاصَّةُ]

[اسمُه، ونسبُه، ولقبُه]:

هو: العلامة، الفقيه، الداعية، الواعظ(١):

محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين بن مصطفى بن علي، الفقيه، الأسمني، أبو السَّمح، التَّليني، الأزهري(٢).

و «محمد عبد الظاهر»، كذا مُركَّبًا، وفي بعض المصادر: «عبد الظاهر» اختصارًا، وكذا اسم والده «محمد نور الدين»، واسم أخيه الأصغر «محمد بدر الدين»، على عادة الكثير من البلدان العربية في التسمية، حيثُ يُقدِّمون اسم محمد على الاسم الأصلي للمولود؛ تبركًا باسم النبي ﷺ(٣).

و «الفقيه» نسبةٌ لـ «آل الفقيه»، وهي أُسرةٌ عربية تنتمي لقبيلة «بني سليم» العدنانية، كما تُعرف عائلته ـ أيضًا ـ بـ آل «جلال»(٤).

---

(١) عدَّه الزركلي في «الأعلام» (٤/ ١١)، وعنه «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥): (من وعّاظ الفقهاء الأزهريين).

(٢) غالب المصادر اقتصرتْ على اسمه المشهور مختصرًا، وجاء اسمه مُطوَّلاً على طُرَّة كتابه «حياة القلوب»: أبو السمح، محمد عبد الظاهر بن محمد نور الدين، الفقيه.
وانظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٧)، و «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٥٩)، و «معجم المؤلفات المطبوعة في المملكة» (٢/ ٧٧٦).

(٣) ويُنظر هذه العادة في التسمية: «معجم المناهي اللفظية» (ص ٨٢، و ٥٦٤).

(٤) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، و «أئمة المسجد ⇦

و «أبو السَّمح» لقبٌ للعائلة، وليست كُنية له، تبعًا لأحد أبنائه.

و «التليني» نسبةٌ لبلدته «تلين»، التي وُلِد فيها، وستأتي.

و «الأزهري» نسبةٌ لـ «الأزهر»، أقوى وأشهر مصادر تعليمه.

أمَّا أُمَه فهي السيدة الجليلة: فاطمة بنت الشيخ إسماعيل اسجلا[1].

[تنبيه في ضبط لقب «أبو السمح»]:

اضطرب المترجمون لـ «أبو السَّمح» في إعراب لقبه في أثناء السِّياق، فمنهم من ألزمه الرفع مُطلقًا، على «الحكاية»، لأنَّه لقبٌ اشتهر به، وليس كُنية، ومنهم من ألحقه بـ «الأسماء الخمسة»، فأجرى عليه «الإعراب».

وقد كتب أبو السمح نفسُه، على غلاف رسالته: «الرسالة المكِّية»: (تأليف أبو السَّمح)، ومرَّة كتب إهداء له بخطِّه، كتب فيه (أبي السمح).

قلتُ: كلاهما وجهان صحيحان، وهذه مسألةٌ نحويةٌ معروفةٌ، تُبحث في باب: «الحكاية».

= الحرام» (ص ١٨٥)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٢).

(١) انظر: «الثَّبَت الرفيع العالي» (ص ٤١٩).

وفيه ـ كما سبق ـ «سيرته الذاتية» بنسختِها الأخيرة، وقد انفردتْ هذه النُّسخة الأخيرة ـ بين كل مصادر ترجمته ـ بذكر اسم أمه رَحِمَهَاالله.

* * * *

[مولده]:

وُلِد رَحِمَهُ اللَّهُ أواخر شهر ديسمبر سنة: (١٨٨٥م)، كما نصَّ على ذلك في «سيرته الذاتية»، ثم ترك بياضًا في محل السَّنة الهجرية؛ فكَتبَ بيدِه:

(وُلِدتُ في بلدة «تلين» (متن تل) ـ وهي قرية من قُرى إقليم «الشرقية»، من القُطر «المصري» ـ، أواخِر شهر ديسمبر، سنة: (١٨٨٥) ميلادية، الموافق لسنة ... من السَّنة الهجرية)[١] اهـ

قلتُ: التاريخ الميلادي الذي ذكره يُوافق ـ بالسَّنة الهجرية ـ شهرَ ربيعٍ الأول لعام: (١٣٠٣هـ).

وموضع ولادته «تلين» بلدةٌ، هي ـ اليوم ـ إحدى مراكز «منيا القمح»، بمحافظة «الشرقية» بـ «مصر».

وموضِعُ ولادتِه محلُّ اتفاق بين مترجميه، وقد نصَّ هو على ذلك في «سيرته الذاتية»، لكنَّهم اختلفوا في تاريخ ولادته!

وغالبُهم جزم بـ (١٣٠٠هـ)، ولم يجزم به الزركلي، فكتب: (١٣٠٠؟)، ثم أرَّخه بالميلادي (١٨٨٢م)[٢]، ويوافق (١٢٩٩هـ)، ويغلب على ظني أنَّ مَن اعتمَد (١٣٠٠هـ)، فقد قلَّد الزركلي.

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٧)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٠).

(٢) «الأعلام» (٤/ ١١).

وقيل سنة: (١٣٠٢هـ ـ ١٨٨٥م)، وممن ذكر هذا الغامدي[١]، ولعلَّه أخطأ في تحويل التاريخ، وهو قريبٌ.

وأرَّخه عبد الجبار[٢] بـ (١٨٨٧م)، ويوافق (١٣٠٤هـ).

واكتفَى علي جواد بقولِه: (وُلِد في أوائل القرن الرابع عشر الهجري)[٣]، فسلِم ـ بذكاء العبارة ـ من الخِلاف!

ولعلَّ سببَ خلافِهم؛ أنَّ كثيرًا منهم لم يقفوا على «سيرته الذاتية»[٤]، واللهُ أعلم، مع أنَّ بعضَهم معاصرٌ له، والتقى به، وبعضُهم أخذ عنه؛ كالغازي، والزِّركلي، وعبد الجبار، وابن بِيلَّا، ولكن العُمدة ما نصَّ عليه المُتَرْجَم في «سيرته الذاتية».

[تنبيه]:

---

(١) «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٥)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٢).

(٢) «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧).

وعنه السيف في: «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧١).

(٣) «معجم المؤلفات المطبوعة في المملكة» (٢/ ٧٧٤).

(٤) وانظر أيضًا: «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٣)، و «وسام الكرم» (ص ٢٥١).

قلتُ إني اعتمدتُ في تاريخ مولده على «سيرته الذاتية»، وهي بخطِّ يدِه، وقد ذَكر فيها تاريخه مولده بالميلادي، وبيضَّ هو للهجري، وقد سبق نَقلُ نصِّه ـ قبل قليلٍ ـ.

ولكني وجدتُ النصَّ نفسَه عند ابن بِيلَّا ـ وهو من مُعاصريه، وأخذ عنه، وينقل من «سيرته الذاتية» ـ دون بياضٍ؛ كذا:

(وُلِدتُ في أواخِر شهر ديسمبر، سنة: (١٨٨٥) ميلادية، الموافق لسنة سبعٍ بعد الثلاثمائة من السَّنة الهجرية)[١] اهـ

قلتُ: وهو بعيدٌ بأربعِ سنواتٍ عمَّا يُقابِله، ولعلَّ ابن بيلَّا اجتَهدَ من تِلْقاء نفسِه، وأكملَ البياضَ، بعد أنْ حَسبَ التاريخ الهجري المقابل للميلادي، ورُبَّما سألَ المُتَرْجَم فأفاده، واللهُ أعلم.

* * * *

(١) «الجواهِر الحِسان» (٢/ ٣٦٠).

[أسرته]:

ينتمي المُترجَم لعائلةٍ مُتديِّنة، عُرِفت ـ منذ أزمان ـ بالتَّدين، والتقوى، والزُّهد، وكان لها اهتمامٌ بارزٌ بـ «كتاب الله»، وتحفيظه، وقد كان أبوه رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب «كُتَّاب»[(١)].

ولا شك أنَّ ذلك كان له دورٌ في نشأته، وتكوينه العلمي.

وقد أخرجتْ هذه الأسرة للأمة ثلاثة من العُلماء، على منهج «أهل الحديث»، وكان لهم دورٌ في نشر «الدعوة السَّلفية»، ومحاربة البدعة.

ومنهم الأشقاء الثلاثة:

١ ـ المُترجَم، الشيخ: عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ ـ الشيخ: محمد بدر الدين رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

٣ ـ الشيخ: عبد المُهيْمِن رَحِمَهُ اللَّهُ[(٣)].

---

(١) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٣)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧١)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٥)، «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٢).

(٢) الشيخ: محمد نور الدين أبو السَّمح رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٨٥هـ).

له ترجمةٌ وافيةٌ، بقلم شيخِنا: د. محمد بن لطفي الصَّباغ رَحِمَهُ اللَّهُ على موقِعَيْ: «رابطة أدباء الشام»، و «الألوكة»، ولم أجدْ له ترجمةً، فيما بين يدي من مراجع.

(٣) الشيخ: عبد المُهيْمِن أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ الأزهري ت (١٣٩٩هـ)، أصغر من أخيه ⇦

[زوجاته، وأبناؤه]:

تزوَّج الشيخ عبدالظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ أربع مرَّاتٍ، والثالثة منهُنَّ هي الشريفة الحُسَيْنية: حبيبة بنت عبد الرَّزاق بن حمزة، وهي شقيقة صاحبِه ـ وتلميذِه ـ العلامة: محمد بن عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

=

عبد الظاهر بسبع سنين، كان من الدعاة إلى «التوحيد»، وشارك في تأسيس «جماعة أنصار السُّنة المُحمدية»، استدعاه الملك عبد العزيز لتولِّي إمامة «الحرم المكي»، فتولَّاه في الفترة (١٣٦٩ ـ ١٣٨٨هـ)، كما تولَّى التدريس في «وزارة المعارف»، و «دار الحديث الخيرية»، وله «مصحفٌ مُرتَّل» مُسجلٌ بصوته.

قال عنه شيخُنا: د. محمد بن لطفي الصَّباغ رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمته لأخيه نور الدين على موقعي: «رابطة أدباء الشام»، و «الألوكة»:

(كان شديدًا على المخالف، غيورًا على «الدعوة السلفية») اهـ

انظر ترجمته في: و «رجال من مكة المكرمة» (ص ٤١)، وعنه «تتمة (الأعلام)» (٢/ ٣٧)، و «مستدركها» (ص ٧١)، و «أعلام المكيين» (٢٠٤)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٩٨)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ٣٢٨)، و «أئمة الحرمين» (ص ٣٦٥)، وترجم له الصَّاعدي في: «مسيرة الشيخين محمد عبد الظاهر وأخيه عبد المهمين إمامَيْ وخطيبَيْ المسجد الحرام وجهودهُما العِلمية».

(١) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٣/ ١١٩٣)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ٣٧٣)، و «أئمة الحرمين» (ص ٣١٦)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥).

وكان قد تزوَّج بها في «الإسكندرية»[١]، و كان هذا الزَّواج سببًا لتوثيق الصِّلة بين أبو السمح ومحمد عبدالرزاق[٢].

وقد خلَّف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ من الأبناء (١٤) ابنًا، (٨) من الأولاد، و (٦) من البنات[٣]؛ وهذا بيانهم:

١ ـ من أبناء زوجته الأخيرة (حبيبة):

عبد الرحمن، وعبد الله، ومحمد، وأنس، وزينب، وسميحة، وسميرة.

٢ ـ ومن غيرها:

عبد اللطيف، وسُهيل، ومحمود، وعاصم، وعَبلة، وماجدة، وراوية.

وهذه لمحاتٌ عن بعضِهم:

---

(١) انظر: «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥).

(٢) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٣/ ١١٩٣)، و «أئمة الحرمين» (ص ٣١٦).

(٣) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨)، وذكر أنَّ عِدتهم (١٣)، دون بيان أسمائهم، و «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٥، ٨٥٢)، ونص على أربعةٍ منهم، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ٣٧٦)، وذكرهم ـ تفصيلاً ـ في ترجمة ابنه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالظاهر أبو السمح، وعدتهم ـ عنده ـ (١٤).

ـ **عبد اللطيف**: كاتبٌ، وأديبٌ، له: «القصص المدرسية»، وله ـ أيضًا ـ قصائد نُشرت في «الصحف الحجازية»، بين سنتي (١٣٤٩ ـ ١٣٥٧هـ)، ثم عاش وتُوفي في «مصر»[١].

ـ **عبد الرحمن**: وُلِد في «مصرَ» قبل انتقال والده إلى «الحجاز»، وأتم حفظ «القرآن الكريم» في صغِره، ثم أخذ العِلم الشرعي عن والده، ثم أرسله لـ «الأزهر»، وبسبب نشوب «الحرب العالمية الثانية»، لم يكمل تعليمه، وعاد إلى «مكة المكرمة»، وسلك التعليم العسكري، وترقى في الرُّتب العسكرية، ووظائفها، حتَّى وصل إلى رتبة عميد، وبعد تقاعده عمل في «هيئة الرقابة والتحقيق»، حتَّى توفي ستة: (١٤٠٧هـ)[٢].

ومن غريب ما وقع له، أنَّه ناب عن والده في الإمامة والخطابة في «المسجد الحرام»، وسيأتي سبب ذلك في موضعه[٣].

ـ **عبد الله**: درس في «مكة المكرمة»، وحصل على «الماجستير» في «الإعلام» من «جامعة القاهرة»، وكان موظفًا كبيرًا في «وزارة الإعلام»، ثم ترك العمل الحكومي، وتوجه للقطاع الخاص، ثم تقاعد، وتفرغ

---

(١) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٥، و ٨٥٢).

(٢) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٥)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ٣٧٣) «أئمة الحرمين» (ص ٤١٠).

(٣) انظر المبحث السادس (ص).

للكتابة الصحفية، بعدها اعتزل الحياة الاجتماعية، حتى تُوفِّي في (١٤ صفر ١٤٣٩هـ)، وقد كانت له مقالاتٍ أثارت جدلاً ثقافيًا[١].

ـ محمد: كان مُوظَّفًا في «وزارة التعليم»، ومُلحقًا ثقافيًا في «سويسرا»[٢].

وبقية أخبار أبنائه وأحفادِه، مُتوفرةٌ ـ لمن أراد ـ على بعض مواقع الإلكترونية، والصحف اليومية.

* * * *

(١) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٥)، ومقال في تأبينه لصديقه أ. عبد الله عمر خياط رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيفة عكاظ» ليوم الخمس الموافق: (٢٠ صفر ١٤٣٩هـ)، في زاويته اليومية «مع الفجر»، بعنوان: «أبو السَّمح في ذمة الله».

(٢) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٥).

[حصوله على الجنسية]:

الأصلُ في المسلم أنَّه يعتزُّ بدينه، وخُلُقِه، ولا شيء يعلو على ذلك، ولكن في طور الأنظمة الحديثة، فقد أصبحت «الجنسية» أمرًا لازمًا للشخص، وبموجبها يحصل على امتيازاتٍ، تمنحها البلد التي ينتمي إلى جنسيتها.

وعند وجود الشيخ عبد الظاهر أبو السَّمح في «الحجاز»، وبأمرٍ من الملك عبد العزيز، تم منحه «الجنسية السعودية»؛ وذلك تمشيًا مع المادة (٢٩)، من «نظام الجنسية»، الذي ينص على أنَّ لجلالة الملك الحقَّ في منح «الجنسية».

ولعلَّ هذا الأمر مشفوعٌ بجملةٍ من الاعتباراتٍ؛ منها:

١. جهود الشيخ أبو السمح العلمية والدعوية.

٢. إمامته وخِطابته في «المسجد الحرام» بجدٍّ وإخلاصٍ.

٣. إنشاؤه دار «الحديث الخيرية»، وحسن إدارتها لها، وتدريسه فيها بهمَّةٍ وتفانٍ.

قلتُ: وهذا هو دأبُ هذه الدولة، مُنذ وقتٍ مُبكِّرٍ، تقدير أهل العِلم، والفِكر، والفضل، واحتوائهم، وإجلالهم. ومنحهم «الجنسية»، يعطيهم امتيازاتٍ كثيرة، لهم ولأبنائهم، قد لا يتمتعون بها بدونها، وقد تمَّ منحها، لعلماء ومُفكرين ومُربِّين كبار.

ومن أشهرهم:

١. محمد بن عبد الزاق حمزة من «مصر».

٢. إبراهيم الشورى من «مصر».

٣. خير الدين الزركلي من «سوريا».

٤. أبو تراب الظاهري من «الهند».

... وجماعةٌ من الشناقطة من «مالي»... وغيرهم كثير[١].

ويلاحظ أنَّ العالم الجليل: محمد حامد الفقي ت رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٧٨هـ)، لم يحصل على «الجنسية السعودية»، رغم جهودِه العلمية مع «الدولة السعودية»، لاسيما مساعدتِها في تحقيق وطبع ونشر كتب الدعوة والعِلم، على نفقتِها، ورغم قدومه «الحجاز»، وتأسيسه «مجلة الإصلاح»، وإسهامه في الحركة الثقافية.

ولعل السبب في ذلك ـ والله أعلم ـ عدم استمراره في البلاد، حيث مكث في «الحجاز» في الفترة بين (١٣٤٦ ـ ١٣٤٩هـ)، ثم غادر إلى «مصر»، واستقرَّ فيها، وانشغل برئاسة «جماعة أنصار السُّنة المحمدية»[٢].

* * * *

(١) وانظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (١/ ١٨١).

(٢) وانظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (١/ ١٨١).

وسبق الحديث عن «مجلة الإصلاح» في المبحث التاسع (ص).

[مرضه ووفاته]:

بعد حياةٍ مليئة بالجِهاد الدعوي، ونشر «العقيدة الصحيحة»، ومحاربة أهل البدع والضلالة، وتوجيه الناس، وإرشادهم ـ كما سيأتي ـ؛ توجَّه الشيخ إلى «مصر» للعلاج، حيث كان رَحِمَهُ اللَّهُ يعاني من مرض «السُّكَّري»، الذي لازمه.

ثم أصيب بالتهابٍ في كِلْيَتَيْه أدى إلى تسمُّمٍ بها، وبعدها ضَعُفَ قلبُه، وهبطتْ قُواه... ثم تُوفِّي[1].

وكانت وفاته في الساعة الثالثة من صباح يوم الاثنين، في (١٠ رجب ١٣٧٠هـ)، بـ «مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية»، الواقع بحي «العجوزة» بـ «الجيزة» بـ «القاهرة»[2]، فرحمة الله عليه، وبرَّد مضجعه.

---

(١) انظر: «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٨)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩٢)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٩)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٦).

(٢) انظر: «الأعلام» (٤/ ١١)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥)، و «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨)، و «معجم المطبوعات في المملكة» (٢/ ٧٧٤)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٨)، و «وسام الكرم» (ص ٢٥٢)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٦)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩٢)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٩)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٦)، و ⇦

وحين وفاتِه أبرق جلالة الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ «برقيةً»، تحمِلُ تعازيه إلى ذويه؛ لِمَا للشيخ أبو السمح من مكانةٍ عنده، وأُرْسِلت «البرقية» إلى ابنِه عبداللطيف، ومما جاء فيها: (مُصابنا مصابكم).

وتم ـ عندها ـ استضافة عائلتِه في «الحجاز»، وبقوْا فيها ـ وعقبه ـ إلى يومنا[1].

[لطيفةٌ]:

الأستاذ عبداللطيف أبو السمح الذي أَرسل له الملك عبدالعزيز «البرقية»، لم يكن يحمده والِدُه عبدالظاهر، وسبق أنْ نَشر له الشيخ حسن البنَّا ـ في إحدى صُحف «الإخوان المسلمين» ـ مقالاً بعنوان: «من صعلوك

=

«عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

وسنة وفاته مُتَّفق عليها، وتحديدها باليوم والشهر أورده السَّيف وفتحي أمين، وانفردَ الثاني بتحديد الساعة، ويوافق بالميلادي (١٦ أبريل ١٩٥١م)، وجاء عند الزركلي أنَّ وفاته بالميلادي (١٩٥٠م)، وكذا عند علي جواد (يونيه ١٩٥٠م)، والله أعلم.

(١) انظر: «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٧).

إلى مَلِك»، تطاول فيه على الملك عبدالعزيز[١]، ولكن كان حِلْمُ الملك أسبقَ!

* * * *

(١) سيأتي تفصيل خبر هذا «المقال»، وما جرى بعده في المبحث الخامس (ص).

المَبْحَثُ الثَّانِي

[نَشْأَتُهُ العِلْمِيَّة، وَرِحْلاتُهُ العِلْمِيَّة، وَشُيُوخُهُ]

[دراستُه في «الكُتَّاب»]:

نظرًا لاهتمام أسرته بـ «القرآن الكريم»؛ فقد أتم حفظ «القرآن» وجوَّده على والده، مع غيره من أبناء القرية، وهو في التاسعة من عمره(١).

وقد كان لوالِدِه رَحِمَهُ اللَّهُ في قريتِهم «تلين»، مدرسةً ـ كُتَّابًا ـ تضم عشرات المُتعلِّمين، مما يدل على كِبَرِها، ويدلُّ ـ أيضًا ـ على اجتهادِ والدِه في تعليم أبناء المسلمين.

[وصلةٌ بين التعليم الديني والدنيوي]:

بعد أنْ أَتمَّ الابنُ عبدالظاهر قِراءة «القرآنِ» حِفظًا وتجويدًا، كان المنهج المُتَّبع ـ حينها ـ البدء في التعليم بعمومِه الشرعي وغيره من العلوم، وكان والِدُه عازمًا إرساله إلى «القاهرة»، ليتعلّم في أرقى وأشهر مركز علمي ـ وقتها ـ وهو «الأزهر».

ولكنَّه خشي أنْ تمرَّ به ظروفٌ، فيحتاج معها إلى المال، وربما يدفعه ذلك ليأكل بـ «القرآن» الذي تعلّمه، كحالِ بعضِ القُرَّاء وقتها... وإلى يومِنا!

لذلك اتخذ والدُه ـ لمنع ذلك ـ أمرين:

---

(١) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٣)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧١)، و «وسام الكرم» (ص ٢٥١)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٥)، «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٢)، «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥).

الأمر الأول: أوصاه ـ بعد أنْ علَّمه «القرآنَ» قراءة وتجويدًا، وحفَّظه إياه ـ بوصيةٍ مُباركةٍ؛ قال له فيها:

(أي بني! إني لم أُعلمْكَ «القرآنَ» لتتأَكَّل به، كالذين يُسمّونهم فُقهاء في بلدِنا وغيرِها، ولكن علَّمْتُك لله ـ تعالى ـ، ولتعملَ به)[1].

الأمر الثاني: تعليمه صنعةً يأكلُ منها إنْ احتاجَ للمال، وقد أرسله ـ وهو في سنِّ التاسعة، وقبل إرساله إلى «الأزهر» ـ إلى أحدِ المُعلِّمين النَّسَّاجين في بلدته «تلين»، فأقامَ عنده ما يُقارب السَّنة، يتعلّم منه صنعةَ نسيجِ الأقمشة البلدية، ثم أرسله إلى مُعلِّمٍ آخر ـ مُتْقِنٍ ـ، يُعلِّمه نسجَ الأقمشة الراقية، وهي الأقمشة المُعلَّمة (القباطي).

فلما تعلَّمَ صنعةً يأكلُ منها في غربته عن أهله وبلدته، ويُأمِّنُ بها مستقبله العلمي؛ أرسلها ـ بعدها ـ إلى «الأزهر».

[دخوله «الأزهر»]:

كانت رغبةُ الشيخِ محمد نور الدين حين أرسلَ ابنَه عبدالظاهر إلى «الأزهر»، أنْ يتفقَّه في الدين، ويتعلَّم العلوم، ويقرأ «القرآنَ» بالقراءاتِ السَّبع من طريق «الشاطبية»[2].

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٧)، وعنه: «الجواهِر الحِسان» (٢/ ٣٦٠).

(٢) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨)، وعنه: «الجواهِر الحِسان» (٢/ ٣٦٠).

و «الأزهرُ» هو ثاني مدارسه العِلمية ـ بعد «كُتَّاب» والده ـ، وأشهرُها، وأقواها، أرسله والدُه إليه، وهو في سنٍّ مُبكِّرةٍ، وأمضى ـ فيه زهاء عشر ـ سنوات؛ فدَرَس على عُلمائه: «القراءات السَّبع»، و «التفسير»، و «الحديث»، و «الفقه»، و «اللغة»[١].

واشتغلَ في «الأزهر» بحفظ المتون.

فبدأَ بـ «السنوسية»[٢] في عِلم «الكلام».

---

(١) انظر: «الأعلام» (٤/ ١١)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥)، و «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «معجم المؤلفات المطبوعة في المملكة» (٢/ ٧٧٤)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٣)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧١)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٥)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٣)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥).

(٢) نسبة لصاحبها، العالِم، المُحدِّث، الواعِظ، المُتصوّف: محمد بن يوسف، السَّنُوسي، التلمساني ت (٨٩٥هـ)، له عدة مصنفات؛ منها: شرحٌ على «صحيح البخاري»، وآخر على «صحيح مسلم»، ومن مؤلفاته في العقيدة، متنان مشهوران، الأول: «عقيدة أهل التوحيد» ويُسمَّى بـ «السنوسية الكُبرى» و «العقيدة الكُبرى»، والثاني: «أم البراهين» ويُسمى: «السنوسية الصُّغرى» و «العقيدة الصُّغرى»، وهما وِفْق عقيدة «الأشاعرة»، وعليهما شروحٌ وحواشٍ، ونظمٌ.

تنبيه: اشتُهر عنه لقب «الحسني»، والصَّواب أنَّه من إحدى القبائل العربية، ولكنَّه ليس من «الأشراف»، وقيل له ذلك لأنَّ أم أبيه شريفةٌ حَسَنية!

⇦

و «أبي شجاع»[١] في مذهب الشافعي.

ومتن «الآجرمية»[١].

انظر ترجمته ومؤلفاته في: «نيل الابتهاج» (ص ٥٦٣)، و «كشف الظنون» (١/ ١٧٠) و (٢/ ١١٥٧، ١٥٠١، ١٥٣٩، ١٦٢٦)، و «معجم المطبوعات» (١/ ١٠٥٨)، و«فهرس الفهارس» (٢/ ٩٩٨)، و «الأعلام» (٧/ ١٥٤).

(١) متنٌ مختصرٌ مشهورٌ في «الفقه الشافعي»، اسمه: «الغاية والتقريب»، ويُسمَّى: «غاية الاختصار»، وعناية فقهاء الشافعيَّة بهذا المتن ظاهرةٌ لمن له أدنى نظر في مصنفات الفقه الشَّافعي.

واشتُهِر بالنسبة إلى مؤلفه؛ الفقيه، القاضي: أحمد بن الحسن [الحسين]، أبي شجاع، العَبَّاداني، الأَصْبَهَاني رَحِمَهُ اللَّهُ ت (٥٩٣هـ)، دَرَّس بـ «البصرة» أَزْيَدَ من أربعين سنة على «مذهب الشافعي»، روى عنه الحافظ السِّلَفِيّ، وقال: (هو من أولاد الدهر)، له ـ غير «المختصر» ـ شرحٌ على «الإقناع» للماوردي، رآه السُّبكي.

وعلى جلالة هذا العالِم، وشهرة «مختصره»؛ إلا أنَّه لم يُتَرْجم له في كتب «طبقات الشافعيَّة»، سوى ترجمة يسيرة جدًّا عند السُّبكي، جُلُّها منقولٌ عن ياقوت الحموي رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

انظر ترجمته في: «معجم البلدان» (٤/ ٧٤)، و «طبقات الشافعيَّة الكُبرى» (٦/ ١٥)، و «كشف الظنون» (٢/ ١٦٢٥)، و «هدية العارفين» (١/ ٨١)، و «معجم المطبوعات» (١/ ٣١٨)، و «تاريخ الأدب العربي» (٤/ ٥٣)، و «الأعلام» (١/ ١١٦)، و «معجم المؤلفين» (١/ ١٢٥).

و «الألفية»[٢].

=

(١) من أجلِّ وأشهر متون «النحو»، منسوبة إلى مؤلفها الإمام، النحوي: محمد بن محمد، أبو عبدالله، الصِّنْهاجي ت (٧٢٣هـ)، المعروف بـ (ابن آجُرُّوم)، وهي بلغة «البربر»: الفقير الصوفي، وهو عالمٌ بـ «القِراءات وصنَّف فيها، ونحويٌّ على مذهب «الكوفيين»، وفقيهٌ مالكي، ذو ذكاءٍ شديدٍ، وصلاحٍ وبركةٍ.

و «الآجُرُّومية» مُقدمةٌ ـ مُباركةٌ ـ في «النحو»، انتفع بها عامة الطلبة، واعتكفَ الناسُ عليها: حِفظًا، وتدريسًا، وشرحًا، ونظمًا، وقد ألَّفها وهو في «الحرم» تجاه «الكعبة».

انظر ترجمته في: «نثر الجمان» (ص ٤٢٦)، و «الضوء اللامع» (٩/ ٨٢)، و «بغية الوعاة» (١/ ٢٣٨)، و «دُرَّة الحجال» (٢/ ١٠٩)، و «شذرات الذهب» (٨/ ١١٢)، و «شجرة النور الزكية» (ص ٢١٧).

(٢) منظومة شهيرة في «النحو» و «الصرف»، اسمها: «الخلاصة»، لأنَّه أودع فيها خلاصة ما جاء في «الكافية»، وتُنسب لناظِمها فيُقال: «ألفية ابن مالك»؛ لإمام النحو في عصره: محمد بن عبدالله، ابن مالك، الجَيَّاني، الشافعي ت (٦٧٢هـ)، ومن مؤلفاته: «الكافية الشافية»، و «لامية الأفعال»، وغيرها.

انظر ترجمته في: «الوافي بالوفيات» (٣/ ٢٨٥)، و «طبقات الشافعية الكُبري» (٨/ ٦٧)، و «البداية والنهاية» (١٧/ ٥١٤)، و «البُلغة» (ص ٢٦٩)، و «بغية الوعاة» (١/ ١٣٠).

وانظر جهود العلماء حول «الألفية» في: «كشف الظنون» (١/ ١٥١).

و «الشاطبية»[1].

ومَكثَ في «الأزهر» ما يُقارب الخمس سنوات، ثم تُوفِّي والده رَحِمَهُ اللَّهُ.

[خروجه من «الأزهر»]:

حين بلغته الوفاة اضطر إلى الرجوع إلى بلدته «تلين»، ليبقى مع أُمِّه وأَخَوَيْه، فيعينهم على الحياة، ولاسيما أَنَّه الابن الأكبر، ويقوم بدور والده في رئاسة «الكُتَّاب»، وتعليم أبناء القرية «كتاب الله»، ولاسيما أَنَّه قارئ لـ «القرآن» حافظ ومجود له، قد تلقَّاه عن أبيه، ثم عن قُرَّاء «الأزهر».

[وقفةٌ تربويةٌ عظيمةٌ لأُمِّ أبو السمح]:

---

(١) منظومةٌ شهيرةٌ في «القِراءات السَّبع» المتواترة، اسمُها: «حِرز الأماني ووجه التهاني»؛ اشتُهِرت بالنسبة إلى ناظمِها، سيِّد القُرَّاء، الإمام: القاسم بن فِيْرُّه، أبو محمد، الرُّعَيْني، الشَّاطِبي، الشافعي، الضرير رَحِمَهُ اللَّهُ ت (٥٩٠هـ)، وهي أَوَّلُ منظومةٍ اختصت بـ «القراءات السبع»، وقد تلَّقاها العُلماء بقبولٍ، يَكادُ يكون مُطْلقًا! وله غيرها من منظومات عِلم «القِراءات»، و «الرَّسْم»، و «عد الآي».

انظر ترجمته في: «معجم الأدباء» (٥/ ٢٢١٦)، و «انباه الرواة» (٢/ ٤١١)، و «وفيات الأعيان» (٤/ ٧١)، و «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٢٦١)، و «طبقات الشافعية الكُبرى» (٧/ ٢٧٠).

الغريب في هذه الوصلة المهمة في حياته، أنَّ أُمَّه لسيدة الجليلة فاطمة ـ رغم حاجتها له ـ لم يُرْضِها عودة ابنها من «الأزهر»، وأصرت على رجوعه إليه، وتكفَّلتْ له بالنفقة الكاملة، مُؤكِّدةً التزامها بذلك بقولِها:

(سأُنْفِقُ عليكَ، ما دام فِيَّ رَمَقٌ من الحياةِ)[١]!

قلتُ: هذا الإصرارُ العجيب من هذه الأم، على حثِّ ولدها «اليتيم» على إكمال تعليمه، يُعيد إلى ذاكِرتنا نماذجَ مشهورة لأئمةٍ في الدِّين، كانوا ـ بعد فضلِ الله ـ نتيجةً لتربية الأُمِّ، وهي نماذج تُعطينا صورًا لدَوْرِ المرأة في نبوغ العلماء[٢].

[عودته إلى «القاهرة»]:

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٠).

وذكرني قولُها هذا، بقول أُمِّ العالم سُفيان الثوري رَحِمَهُمَاللهُ:

(يا بُنَيَّ، اطلب العِلم، وأنا أكفيكَ مِن مِغْزَلي).

أخرجه ـ بإسناده ـ السَّهمي في: «تاريخ جُرْجان» (ص ٤٤٩).

(٢) وفي الباب عدة أمثلة لعُلماء تربوا برعاية الله ﷻ، ثم برعاية أُمَّهاتِهم؛ منهم الأئمة: مالك بن أنس الأصبحي ت (١٧٩هـ)، ومحمد بن إدريس الشافعي ت (٢٠٤هـ)، وأحمد بن حنبل الشيباني ت (٢٤١هـ)، ومحمد بن إسماعيل البخاري ت (٢٥٦هـ)... وتُنظر تراجمُهم، والحافظ ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ) ربَّته أُخته الكبيرة، وقال عنها في: «إنباء الغُمْر» (١/ ٥١٧): (هي أُمي بعد أُمي).

رجع الشيخ أبو السمح ـ بعد ذلك ـ إلى «القاهرة»، والتقى في «الأزهر» ـ وغيرِه ـ بمجموعةٍ من العُلماء، ومنهم مشاهير، فأخذ عنهم العِلم في القراءات، والاعتقاد، والفقه، والدعوة، والإصلاح، والاحتساب، والنحو، وغيرها.

[مشايخه]:

ممن أخذ عنهم في «الأزهر»:

٢(١) ـ الشيخ: محمد بيومي(٢).

---

(١) هذا الرقم باعتبار أنَّ والدَه الشيخ محمد نور الدين شيخُه الأول، وقد سبق.

(٢) الشيخ، المُقرئ: محمد بيومي، المنياوي، الأزهري، الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٣٦هـ) تقريبًا، شيخ القُرَّاء بـ «الدِّيار المصرية»، وأستاذ في «القراءات العشر»، تصدَّر للإقراء بحقٍّ، فأخذ عنه أُناسٌ كثيرون.

وكان ممن تكلَّم في مسألة «الضَّاد الظائية»، فتكلَّموا فيه، واستدعاه الشيخ حسّونه النّواوي، واجتمع به مع بعض العُلماء، وناقشوه، فتراجع عن قولِه، وتاب!

له: «برهان التصديق في الردِّ على مدَّعي التلفيق»، و «رسالة في أمر المصاحف العثمانية».

انظر: «معجم المطبوعات» (١/ ٦٢٣)، و «فِهْرِس الفهارس» (١/ ٤٥٣)، وله ترجمةً في بعض المواقع الإلكترونية المختصَّة.

ويظهر لي ـ والله أعلم ـ أنَّه غير، الشيخ: محمد البيومي أبي عيَّاشَّة، الحسني، الدمنهوري، الشَّافعي رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٣٥هـ)، وهو من القُرَّاء أيضًا، ويحصل الخلط ⇦

وقد كان الشيخ بيومي كفيفًا، لكنَّه مُتقِنٌ لـ «القراءات السبع»، و «العشر»، الصُّغرى والكُبرى، من طريق «الطيبة»[١] و «الدُّرَّة»[٢]، وآية في الحفظ والإتقان.

قرأ عليه القرآن بـ «القراءات السَّبع»، إلى سورة «المؤمنون».

= بينهما.

انظر ترجمته في: «معجم المطبوعات» (١/ ٦٢١)، و «الإعلام» (٧/ ٧٧)، و «معجم المؤلفين» (٣/ ٦٥٩)، و «امتاع الفضلاء» (٤/ ٤٣٠)، و «فِهرس الخزانة التيمورية» (ص ٦٨).

(١) «طيبة النشر في القراءات العشر» ـ منظومةٌ؛ للإمام، الحافظ، شيخ القُرَّاء: محمد بن محمد، أبي الخير، ابن الجزري، الدمشقي، الشافعي ت (٨٣٣هـ)، وهي من أجلِّ وأوسع متون الباب، وتزيدُ على الألف بيتٍ، نظمها على بحر «الرجز»، وللناظم ـ نفسه ـ في التجويد: «المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أنْ يعلمه»، المشهورة ـ بالنسبة إليه ـ بـ «المقدمة الجزرية»، وله «غاية النهاية»، وغيرها.

انظر ترجمته في: «غاية النهاية» بقلمه (٢/ ٢١٧)، و «الدليل الشافي» (٢/ ٦٩٧)، و «الضوء اللامع» (٩/ ٢٥٥)، و «الشقائق النُّعمانية» (ص ٢٥)، و «شذرات الذهب» (٩/ ٢٩٩)، و «البدر الطالع» (ص ٨١٢).

(٢) «الدُّرَّة المُضِيَّة في القراءات الثلاث المَرْضِية»، منظومةٌ لاميةٌ، في القِراءات الثلاث المُتمِّمة لـ «العشر» لابن الجزري السابق، وهي على نظم «الشاطبية» وزنًا وقافية.

وبلغ من حِذْقِ الشيخ أبو السمح وإتقانِه، أنَّ شيخَه بيومي ـ في أثناء القراءة عليه ـ كان يرسله كل ليلة «جمعة»، لينوب عنه في «مقرئ الخديوي»[١].

قلتُ: ذَكر المترجَم هذا الشيخ ـ وتتلمذه عليه ـ في «سيرته الذاتية»، ولم أجد من ذكره ممن ترجم له، سوى الشيخ الصُّبْحي[٢].

٤ ـ الشيخ: أحمد التيجي المصري، ثم المكي المدني.

يُعده المترجَمُ أبو السمح شيخَه الثاني بعد الشيخ بيومي، وهو من أساتذته في «القِراءة»، وقد قرأ عليه بـ «القراءات السبع»، إلى قولِه ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨][٣].

قلتُ: انفردَ المترجَم بذكر هذا الشيخ في «سيرته الذاتية»، ولم أجد من ذكره ممن ترجم له.

٣ ـ الشيخ: أحمد مكي.

٤ ـ الشيخ: محمد الرفاعي المَحلِّي.

٥ ـ الشيخ: حسن الخشاوي.

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١).

(٢) «وسام الكرم» (ص ٢٥١).

(٣) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٢).

٦ ـ الشيخ الهاشمي.

٧ ـ الشيخ الحدَّاد.

٨ ـ الشيخ: محمد أبي عليان.

٩ ـ الشيخ النَّشوتي.

١٠ ـ الشيخ الجناييني المَحلِّي[١].

قلتُ: هؤلاء الشيوخ انفردَ المترجَم بذكرهم في «سيرته الذاتية»، مع الإشارة إلى بُلادن بعضِهم، ولم أجد من ذكرهم ممن ترجم له، سوى الشيخ الصُّبْحي؛ فقد ذكر أول ثلاثة منهم[٢].

[اتصاله بـ «مفتي الدِّيار المصرية»]:

اتصل ـ وهو لا يزال صغيرًا، بـ:

١٠ ـ الشيخ: محمد عبده[٣].

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٢).

(٢) «وسام الكرم» (ص ٢٥١).

(٣) محمد عبده بن حسن خير الله، التركماني ت (١٣٢٣هـ)، مُفتي «الدِّيار المصرية»، المُلقَّب بـ «الأستاذ الإمام»، محسوبٌ على رجال التجديد، والإصلاح، له: «التفسير»، و «رسالة التوحيد»، وغيرها.

قلتُ: إذا قرأتَ في ترجمته تعجب مما قيل فيه من إطراءٍ، وتمجيد، وعند تأمل سيرته وفِكره؛ ترتاب منه كثيرًا، ولو لم يكن له إلا أنَّه الابن البار والتلميذ النجيب لجمال ⇦

وحضر دروسه في «الأزهر»، حتى نالَ شهادةً منه[١].

كذا في بعض مصادر ترجمته، ولعلَّ العبارة الدقيقة:

=

الدين الأفغاني ت (١٣١٥هـ)؛ لكان ذلك كافيًا في طرح الثقة والدِّيانة منه.

انظر ترجمة عبده في: «معجم المطبوعات» (٢/ ١٦٧٧)، و «الأعلام» (٦/ ٢٥٢)، و «معجم المؤلفين» (٣/ ٤٧٤)، و «الفكر السَّامي» (٢/ ٢٣٢).

وانظر ترجمة الأفغاني في: «معجم المطبوعات» (١/ ٧٠٦)، و «الأعلام» (١/ ١٦٨)، و «معجم المؤلفين» (١/ ٥٠٢)، وفي الباب: «دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام» لغزال.

ويُنظر: «منهج المدرسة العقلية الحديثة» للرومي (١/ ٧٥)، و (١/ ١٢٤)، فقد قدَّم عنهما ترجمة علمية، مُفصّلة وموثقة، وعرَّاهما من صفة الإصلاح والتجديد، وبيَّن علاقتَهما بـ «الماسونية»، وهو من القلائل الذين ترجموا للرجلين، بعِلمٍ، وديانةٍ، وإنصافٍ.

ونقد فِكر الرجلين لا يتسع له هذا الموضع، وخلاصته: أنَّهما من أبناء «المدرسة العقلية» ذات النزعة «المُعْتزلية»، وأثرها في هدم «النصوص الشرعية»، وتقديم العقل عليها معلومٌ، كما كانا مِعْولا هدمٍ لأصولٍ إسلامية وتعليمية، بحجة الإصلاح والتجديد.

(١) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٣)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧١)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥).

وَقَف على بعضِ دروسِه، لكنَّه لا يذكر شيئًا مما كان يُلقيه؛ وذلك لازدحام طلاب «الأزهر» عليه، فكان الشيخ ـ بسبب الزِّحام ـ يجلس بعيدًا[١].

كذا قال المترجم في «سيرته الذاتية»، وعبارتُه أدقُّ مِن عبارة مَن ترجم له، أمَّا «الشهادة» ـ وإنْ كان أبو السمح لم يذكرْها ـ فرُبَّما أنَّها كانتْ تُمنح لكُلِّ من حضر للشيخ محمد عبده في «الأزهر»، وأبو السمح كان منهم.

[تنبيه]:

رغم ثبوت حضور أبو السمح لدروس الشيخ محمد عبده، إلا أني لم أجدْ لذلك ذِكرًا، عند بعضِ مَن ترجم له، فإنْ كان ذلك بسبب تجاهل هذا الشيخ أفكاره، ولِمَا قيل عنه؛ فهذا ليسَ مقبولاً في كتابة «البحث العلمي»، ولاسيما أنَّنا لم نجد من أفكار وآراء وأقوال أبو السمح ما يدل على تأثره بالشيخ محمد عبده.

[اهتمامه ـ في «الأزهر» ـ بالمتون حفظًا ودرسًا]:

اهتمَّ أبو السمح ـ حين كان بـ «الأزهر» ـ بـ «المتون العلمية»، وانكبَّ عليها، وحفظ مجموعةً منها، وعرضها على عُلماء «الأزهر»[٢].

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧١)، و «وسام ⇦

ومما حفظه من المتون:

١. «الآجرومية».

٢. «ألفية ابن مالك»(١).

٣. «الشاطبية».

[انقطاعه عن «القِراءة»، وسببه]:

لم يستمر الشيخَ رَحِمَهُ اللَّهُ في «القِراءة»، مع أنَّه أَخذَ منها بحظٍّ وافرٍ، ويرجع سببُ ذلك إلى أنَّه أكبرُ أخوتِه، ووالدُه لم يتركْ لهم إلا شيئًا يسيرًا، ووالدتُه كادتْ تعجز عن النفقة(٢).

[دخوله «مدرسة عبدالعزيز»(٣)]:

=

الكرم» (ص ٢٥١)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٥)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٣).

(١) سيأتي في المبحث الرابع (ص)، طريقة شرحِه لهذا المتن، حين تولَّى تدريس «النحو».

(٢) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١).

(٣) مدرسةٌ مشهورة، وتُسمَّى «مدرسة المُعلِّمين»؛ لكونها تُخرِّج مُعلِّمين، تأسست سنة: (١٩٢٣م)، ودَرَس فيها كبار الأُدباء والمثقفين، وبرنامجها الدراسي ـ حين إنشائها، كان يقتصرُ على سنةٍ واحدةٍ؛ فكَتبَ الشيخُ عبدالعزيز شاويش ـ بعد أنْ عاد من «المنفى» ـ تقريرًا إلى القِس! «دنلوب»، الذي تسلَّط على تعليم «مصر»:

⇦

بعد أنْ انقطع أبو السمح عن «القِراءة»، اشتغلَ بالمذاكرة في بعض العلوم، المؤهلة لدخول بعض المدارس، وهي «مدرسة المُعلِّمين الأولية»، وهي مشهورةٌ باسم: «مدرسة عبدالعزيز»، وقد يسَّر ـ اللهُ لـه ـ حينها ـ من يُساعده على هذه المُذاكرة، ولاسيما في «الحساب».

ووفَّقه اللهُ ونجح في اختبارِ دخول «مدرسة عبدالعزيز»، واجتهدَ فيها، حتى أنَّ ترتيبُه فيها ـ دائمًا ـ كانَ الأول أو الثاني، حتى تخرُّجُه منها حاصلاً على «دبلوم» التدريس[1].

=

(إنَّ هذه المدرسة أُسِّستْ لتخريج مُعلِّمين، فالسَّنةُ التي قرَّرتموها، لا تكفي لتلقين قاصديها، وتهذيبهم، وتدريبهم، وتعليمهم كيف يُعلِّمون، واقترحُ برنامجًا من ثلاثِ سنواتٍ).

وحين قرأ «دنلوب» التقرير؛ كتب عليه ـ مُسْتخِفًّا ـ:

(غيابَك عن «مصرَ» ثلاث سنواتٍ متعاقبةٍ؛ وضعتكَ في موضعِ المغالي فيما يطلبُ لقومِه. إنَّ أُمَّتكَ يكفيها مُعلِّمٌ، يَستطيعُ أنْ يُعلِّمُها ألفًا باء، ومبادئ الحسابِ)!

انظر: «تاريخ الغزو الفكري» (ص ٢٨٦).

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١).

وانظر أيضًا: «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥)، و «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

[اتصاله بالشِّنقيطي، وتغيّر فِكره]:

بعد تخرّج أبو السمح من «الأزهر»، واتصالِه بشيخه محمد عبده، شاء الله ﷻ للمُترجَم الخيرَ؛ فاتصل بالعلامة، المُربِّي:

٦ ـ العلامة، الرَّحالة: محمد أمين فال الله الشِّنقيطي(١).

---

(١) عالمٌ، سلفيٌّ، مجاهدٌ، مُربٍّ، صالحٌ رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٩٣ ـ ١٣٥١هـ)، ولد ودرَس في بلده «شنقيط»، وأنشأ فيها مدرسة من «الخيام»، وكان يُدرِّس طلابه فيها، ويُطعمهم، ويسقيهم، ويكسوهم.

زار: «مكة المكرمة»، و «القاهرة»، و «الكويت»، و «نجد»، و «الزبير»، و «البصرة»، وحياته حافلةٌ بـ: التعليم، والجهاد، والابتلاء، وهو مؤسِّس «مدرسة النجاة الأهلية» المدارس الشهيرة بـ «الزبير».

انظر عنه: «من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة؛ الشيخ محمد أمين الشِّنقيطي» للخالدي، وترجم له العلامة: تقي الدين الهلالي، في مجلة «المنار»، عدد ذي الحِجَّة، لسنة: (١٣٥١هـ)، المجلد (٣٣)، (ص ١٣٠).

ويحصل الخلط بينه وبين العالم المعروف: محمد الأمين الشِّنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٢٥ ـ ١٣٩٣هـ)، صاحب «أضواء البيان»، وسيأتي أنَّ التقاء المترجَم بشيخِه الشِّنقيطي، كان سنة: (١٣٢٩هـ)، وعمر صاحب «الأضواء» حينها (٤) سنوات.

والفرق بينهما زيادة على تاريخ المولد والوفاة؛ أنَّ المُترجَم: محمد أمين، وهو حسني (من بني الحسن)، وصاحب «أضواء البيان»: محمد الأمين، وهو جكني.

قام العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ برحلة علمية طويلة ابتداء من بلدته «شنقيط»، وانتهاء بـ «العراق»، ومُرورًا بـ «مصر»، و «الحجاز»، و «القصيم»، و «الكويت»، وكان في رحلته: عالِمًا، مُعلِّمًا، مُربِّيًا، داعِيًا، مُصلحًا.

وحين دخل الشنقيطي «مصرَ»، التقى به أبو السمح في مدرسة «دار الدعوة والإرشاد» لشيخِه رشيد، وتتلمذ عليه، وأخذ عنه في «المعتقد» و «المصطلح»، «الحديث»، وغيرهما.

ولكن لم تطلْ مُدَّة بقاء الشنقيطي في «مصرَ»، فقد رحلَ عنها مُبكِّرًا[١].

وكان لاتصال أبو السَّمح بالشِّنقيطي؛ الأثرُ الكبير في حياته وفكره، ولاسيما أنَّ هذا الاتصال جاء في وقتٍ مبكرٍ من عمره، فاستبان منه طريقَ الحقِّ، فعرَف «المُعتقد السَّلفي» الصحيح.

وبسببه بدأ المُترجَم يقرأ في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيَّم الجوزية، رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

وسيأتي بيانُ ذلك ـ تفصيلاً ـ في مبحثٍ يخصُّه[٢].

[اتصاله بـ «صاحب المنار»]:

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٣).

(٢) انظر المبحث الثالث (ص).

بعد المرحلة السَّابقة غادر الشيخ أبو السمح «القاهرة»، طلبًا للوظيفة والتدريس[١]، ثم عاد إلى «القاهرة»، واتصل بـ:

٧ ـ العلامة: محمد رشيد رضا[٢].

أسَّس الشيخُ رشيدٌ في «القاهرة» مدرسةً، باسم: «دار الدعوة والإرشاد»[٣]، وطَلبَ من الشيخ أبو السَّمح التدريس فيها، فوافق أبو

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في المبحث الخامس (ص)، عند الكلام على أعمالِه وتدريسه.

(٢) هو العلامة، المُصلح، السيد، الشريف: محمد رشيد رضا، الحُسَيْني رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٨٢ ـ ١٣٥٤هـ)، من أبز العُلماء المُصلحين في القرن الماضي، وهو صاحب مجلة وتفسير ومطبعة «المنار»، ومُنشئها، تتلمذ على الشيخ محمد عبده (مضتْ ترجمته)، وتأثَّر به كثيرًا، ثم قرأ في الفِكر السَّلفي، وتأثَّر به، وطَبع عدة كتب لأصحابه.

انظر ترجمته في: «معجم المطبوعات» (١/ ٩٣٤)، و «الأعلام» (٦/ ١٢٦)، و «مُعجم المؤلفين» (٣/ ٢٩٣)، وله ترجمة مُميزةٌ في: «مشاهير علماء نجد» (ص ٤٨٦)، ويُنظر: «منهج المدرسة العقلية الحديثة» للرومي (١/ ١٧٠)، فقد قدَّم عنه ترجمة علمية، مُفصّلة وموثقة، وهو من القلائل الذين ترجموا للرجل، بعِلمٍ، وديانةٍ، وإنصافٍ.

(٣) أسَّسها رشيدُ رضا سنة: (١٣٣٠هـ)، وقد أخذ التصريح لها من قِبل «الحكومة المصرية»، وقيل من «الاستآنة»، وكان ناظرًا لها، وهي متفرعة عن «جامعة الدعوة والإرشاد».

⇦

السمح على ذلك، فعُيِّن مدرسًا فيها لمدة ثلاث سنواتٍ، ومما كان يعلمه فيها: «التجويد»، و «الخط».

ولكنَّ أبو السَّمح ـ لنباهته ـ اشترط على رشيدٍ أنْ يحضر ـ الدروس «العالية» فيها، لكي يستفيد من وُجودِه فيها، ويستثمرَ وقتَه، فحضَر فيها:

١. دُروسَ رشيدٍ، ومنها درسه في «التفسير»، الذي كان يلقيه كل يومٍ.

٢. دُروسَ «الأصولِ».

٣. دُروسَ «الصِّحة».

٤. دُروسَ اللغة «الإنجليزية»[١].

= وكانت المدرسة تتلَّقى دعمًا من «الحكومة المصرية»، وبعد قيام «الحرب العالمية الأولى» سنة: (١٩١٤م ـ ١٣٣٣هـ)، انقطعتْ عنها مساعدات الحكومة، حيث كانَ لها مُخصَّصاتٌ مُقرَّرة لها من «الأوقاف»، فضعُفتْ، وقد كانَ «الإنجليزُ» ـ من قَبْل ـ يسعون لإغلاقِها، وكان لهم يدٌ جهدٌ رئيسٌ في ذلك.

انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٩)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١)، و «مشاهير علماء نجد» (ص ٤٩٠)، و «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٣/ ١١٩٣).

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٩)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١).

وانظر ـ أيضًا ـ: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «معجم المؤلفات المطبوعة في المملكة» (٢/ ٧٧٤)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٣)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٢)، و «وسام الكرم» (ص ٢٥٢)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، و «أئمة المسجد الحرام» ⇦

وفي هذه المرحلة ازدادتْ علاقتُه بالإصلاح والتجديد، لِمَا اختَلَفَ من أمورِ الدِّين عند الناس، ودعوتهم لـ «الكتاب»، و «السُّنة»، و «الاتباع»، ومحاربة «البِدع»، ونبذ «الخُرافات»، و «التقليد».

وهذا عَيْنُ «منهجِ» العلامة رشيدٍ، الذي عُرِفَ عنه، واشْتُهِر به.

أمَّا تدريسُ أبو السمح في هذه المدرسة، وأبرزُ تلاميذه فيها، ومتى ترك التدريس فيها، وسببُه؛ فلذلك موضعٌ يخصُّه[١].

وقد جالس في هذه الفترة شيخه رشيد رضا في «مدرستِه» وفي «دارِه»، واستفادَ منه، وعُدَّ من أشهرِ تلاميذه والمتأثرين به[٢].

قلتُ: هذه النشأة العِلمية؛ جعلت من أبو السَّمح عالمًا بـ: العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، زيادة على اشتهاره بالوعظ.

وقد وُصِف بكلِّ هذه الألقاب؛ كما سيأتي عند ثناء العُلماء عليه.

= (ص ١٨٦)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٣)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥)، و «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(١) انظر المبحث الرابع (ص).

(٢) «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

٧ ـ الشيخ سابق.

مُقرِئٌ كفيفٌ من قُرَّاء «الأزهر»، قرأ على الشيخ أبو السَّمح[١].

قلتُ: انفردَ المترجَم بذكر هذا الشيخ في «سيرته الذاتية»، ولم يذكرْه مَن ترجم له.

٧ ـ الشيخ: عبدالرحمن الثُّعَيْلبي.

حين كان أبو السَّمح في «الإسكندرية»، الْتَقى بهذا الشيخ المُقْرِئ، فقرأ عليه بـ «القراءات السبع»، من أول «الخَتْمة» إلى «الأعراف»[٢].

قلتُ: انفردَ المترجَم بذكر هذين الشيخين في «سيرته الذاتية»، ولم يذكرْهما مَن ترجم له.

[شيوخه بعد وصوله «الحجاز»]:

سافر المُتَرْجَم من «مصرً» إلى «الحجاز» ـ كما سيأتي مُفصَّلاً في موضِعه ـ، وأخذ عن:

٨ ـ سماحة الشيخ: عبدالله بن حسن آل الشيخ[٣].

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٣).

(٢) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٣).

(٣) العالم المحتسب المعروف رَحِمَهُ اللَّهُ (١٢٨٧ ـ ١٣٧٨هـ)، رئيس قُضاة «الحجاز»، من العلماء الذين كان لهم دورٌ بارزٌ في البلاد قبل وبعد التأسيس، ساهم في الدعوة، والإمامة، والخطابة، والتدريس، والاحتساب، والقضاء.

⇦

وقد وصَلَ المُترجَم «الحجاز»، وكان قد أخذَ العِلم، وصار من أهلِه، لكن لم تمنعه مكانته العلمِية وشهرته، مِن التتلمذ على مَن يستفيد منه؛ فأخذ عن الشيخ ا لمذكور[1].

قلتُ: انفردَ الشيخ عبدالله البسَّام رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر هذا الشيخ، ولم يذكره أبو السمح في «سيرته الذاتية»، ولم يذكره كُلُّ مَن ترجم له.

٩ ـ العلامة: محمد الحضرمي الشِّنقيطي.

قرأ عليه في «المسجد الحرام» لـ «نافع» مُنْفرِدًا، ثم لـ «قالون»، كُلّ في خَتْمةٍ مُسْتقِلّة.

قلتُ: انفردَ المترجَم بذكر هذا الشيخ في «سيرته الذاتية»، ولم أجد من ذكره ـ ممن ترجم له ـ سوى الشيخ يوسف الصُّبْحي حفظه اللهُ، ولكنَّه جعله من مشايخه قبل دخوله «الأزهر»، وهذا غريبٌ؛ يقول في ترجمتِه:

= انظر ترجمته في: «مشاهير علماء نجد» (ص ١٢١)، و «روضة النَّاظِرين» (٢/ ١٩)، و «علماء نجد» (١/ ٢٣١)، و «تسهيل السَّابلة» (٣/ ١٨٣٣)، و «معجم مصنفات الحنابلة» (٧/ ٤٢)، و «علماء الحنابلة» (ص ٤٧٦)، و «سير وتراجم» (ص ١٧٦)، و «المبتدأ والخبر» (٤/ ٢٠).

(١) انظر: «علماء نجد» (١/ ٢٣٥).

(ثم قرأ «القرآن» بـ «القراءات السَّبع» على الشيخ محمد بيومي، وقرأ برواية «قالون» عن «نافع» على الشيخ محمد الشِّنقيطي، ثم دخل «الأزهر»...)[١] اهـ

قلتُ: المترجَم نفسُه نصَّ على أنَّه قرأ عليه في «المسجد الحرام»، كما أنَّ الصُّبْحي حين سمَّاه (محمد الشنقيطي)، وجعل أخذَ أبو السمحِ عنه في «مصر»؛ قد يلتبس على القارئ، فيظنَّه شيخَه محمد أمين فال الله الشنقيطي السابق، وسبق أنَّ التقاء المترجَم بهذا الأخير، كان بعد تخرجّه من «الأزهر»، وبعد اتصالِه بشيخِه محمد عبدُه، وليس قبل دخول «الأزهر».

١٠ ـ الشيخ، المُحدِّث: محمد عبدالوهاب الهندي.

١١ ـ الشيخ، المُحدِّث: عُبيد الله السندي.

التقى بهما الشيخ أبو السمح، وقرأ عليها في «الحديث»، وأجازاه[٢]، وقرأ ـ هو وصِهره محمد بن عبدالرزاق حمزة ـ على الثاني: مقدمة «صحيح مسلم»، وأوله، و «علل الترمذي»، وأول «جامعه»، و «نُخبة الفِكَر» للحافظ، وأول «الموطأ»، وشيئًا من «حجة الله البالغة» للدهلوي.

---

(١) «وسام الكرم» (ص ٢٥١).

(٢) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٣).

قلتُ: انفردَ المترجَم بذكر هذين الشيخين في «سيرته الذاتية»، ولم يذكرْهما مَن ترجم له، وانفرد صِهره بتفصيل ما قرأا على الثاني[١].

* * * *

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٦٠١)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٥٨).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ
[عَقِيدَتُهُ، وَمَذْهَبُهُ الفِقْهِي]

[مُبتدأ أمرِه في «الاعتقاد»]:

ليسَ لدَيَّ صورةٌ واضحةٌ عن اعتقاد أبو السمح في أوَّل أمرهِ، من حين نشأتِه العِلمية، إلى منتصف رحلتِه في الطَّلب، ولكن الذي ظَهر لي أنَّه لم يكن على عقيدةٍ صحيحةٍ صافيةٍ، ولم يكن يعتقد مُعتقدِ السَّلف.

ويدل على ذلك أمورٌ؛ منها:

١. دراستُه في بداية الطلب متنًا على عقيدة «الأشاعرة»، وهو «العقيدة السنوسية»، كما تقدَّم، وإنْ كان ذلك من باب دراسة ما يُقرَّر على الطلاب في «الأزهر».

٢. تصريحه هو بأنَّه لم يعتقد «معتقد السَّلف»، إلا بعد التقائِه بشيخِه الشنقيطي، كما سبق، وسيأتي تفصيلاً.

[قِصَّةُ تبَنِّيه «المعتقد السَّلَفي»]:

سبق أنْ ذكرتُ اتصال الشيخ أبو السمح بالعلامة محمد أمين فال الله الشِّنقيطي رَحِمَهُمُاللهُ؛ وأنَّ هذا الاتصال أثمرَ عن تحوِّلٍ كبيرٍ في حيات وفِكر أبو السمح، وأنَّ هذا الاتصال جاء في وقتٍ مبكرٍ من عمره، فاستبان منه طريقَ الحقِّ، فعرَف «المُعتقد السَّلفي» الصحيح.

وبسببه بدأ المُترجَم يقرأ في كتب:

ـ شيخ الإسلام ابن تيمية.

ـ وتلميذه ابن القيِّم الجوزية، رَحِمَهَااللهُ[١].

يقول الأستاذ: عمر عبد الجبار[٢] رَحِمَهُ اللهُ:

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٣)
وانظر أيضًا: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٣)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧١)، و «وسام الكرم» (ص ٢٥١)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٦)، «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٣)، و «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ)

قلتُ: ورد في عدة مصادر لترجمته؛ أنَّه أكبَّ على كتب ابن تيمية، وابن الجوزي، واستفاد منها، وتأثَّر بها. والصَّوابُ ـ قطعًا ـ: (ابن الجوزية)؛ كما قال هو بنفسِه، وكما سيأتي بعد قليلٍ، ولعلَّه سبقُ قلمٍ منهم، للتشابه بين الاسمين

(٢) الشيخ، الأديب، المربي: عمر بن يحيى عبد الجبار رَحِمَهُ اللهُ ت (١٣٩١هـ)، أحد رجالات المملكتَيْن «الهاشمية» و «السعودية»، كان ضابطًا عسكريًّا لدى «الهاشميين»، ثم مُربيًا ومُعدًّا للمناهج في «أندونيسيا»، ثم أحد رجالات «الدولة السُّعودية» الكبار، وتاريخه حافلٌ بالهمة والإنجاز، من مؤلفاته: «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام»، و «سِيَر وتراجم»، وبعض المناهج المدرسية، وساهم في طبع ونشر كتب غيره.
انظر ترجمته في: مقدمة الأنصاري لـ: «سِيَر وتراجم» (ص ١٦)، و «الأعلام» (٥/ ٤٩)، و «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ١٠١٢)، و «المبتدأ
⇦

(اتصلَ بالشيخ أمين الشِّنقيطي؛ فطهَّر قلبَه، من أدران البِدع، والخُرافات، وأنارَ له سبيل «العقيدة السّلفية»، فكعفَ على دراسةِ كتب الشيخ ابنِ تيمية، وابن الجوزي[١]؛ فشغلتْ ذهنَه عقيدة «وِحْدَة الله»، و «عبادته» دون سواه)[٢] اهـ

ويحكي العلامة عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المرحلة بنفسِه؛ فيقول:

(كانت هدايتي إلى «عقيدة السَّلف»، على يد أستاذي العلامة، الشيخ: محمد بن أمين[٣] الشِّنقيطي، سنة: (١٩١١م)[٤] مشافهة.

وكذلك بدراسة كتب الشيخين:

ـ الإمام، شيخ الإسلام: أحمد ابن تيمية.

ـ وتلميذه، الإمام: ابن قيِّم الجوزية.

وكان خروجي من «التقليد» للمذاهب، بقراءتي «المُحلَّى» لابن حزم الظاهري، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى)[١] اهـ

= والخبر» (٤/ ٤٧٢).

(١) الصَّوابَ: (ابن الجوزية)، وسبق التنبيه على هذا قبل قليلٍ، وسيأتي من كلام المُترجَم نفسِه.

(٢) «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧).

(٣) كذا (محمد بن أمين)! والصَّواب: (محمد أمين)؛ فاسمُه مُركبٌ كعادة قومِهِ.

(٤) يَرِدُ على هذا التاريخ إشكالٌ، سيأتي عرضُه، بعد قليلٍ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في إحدى مقالاتِه:

(لم أذقْ طعمَ العِلم الحقِّ، ولم أشُم رائحةَ «السُّنة المُطهرة»؛ إلا من كتب شيخِ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم، رَحِمَهُمَا اللَّهُ تعالى.

أتاني هواها قبلَ أنْ أَعرِف الهوى فصادَفَ قلْبًا خالِيًا فتَمَكَّنا

حقًا ـ والله ـ لم أستفدِ العِلمَ الحقِّ، إلا من كتب هذين الإمامَيْن العظيمين.

وأنَّ كُلَّ من يدَّعي العِلمَ، ولم يطَّلع على شيءٍ من كتب ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم؛ فهو مغبونٌ.

ومن اطَّلعَ على شيءٍ من كتبِهما، ولم يعجبْهُ؛ فهو إمَّا أعمى القلبِ، أو مريض بالتعصُّبِ، أو سقيم بالتقليدِ، أو غبيٌّ غِرٌّ لا يَفهم، واللهُ المستعان)[٢] اهـ

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٣).

وانفرد بذكر هذا النص الهام ـ من بين مصادر ترجمتِه ـ الصُّبحي في: «وسام الكرم» (ص ٢٥٢)، ولم يذكره غيره.

(٢) مقال: «كنوزٌ علمية في نجد» للمترجَم، نشره في «مجلة الهَدْي النَّبوي»؛ العدد (٧)؛ سنة: (١٣٥٦هـ).

وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السلفية» (ص ١٦٧).

قلتُ: ومن يومِها والمُتَرْجَم رأسٌ في الدَّعوة إلى الحقِّ، وحربٌ على الباطل، كما سيأتي مُفصَّلاً في محلِّه[١].

ويقولُ في مقالٍ له يردُّ فيه على كاتبٍ «أشعريٍّ»:

(وقد كُنَّا قديمًا مثل هذا الكاتب، في هذا الاعتقاد؛ ثمَّ منَّ اللهُ علينا، بإخراجِنا من هذه الظُّلماتِ إلى النُّور، فنسألُ اللهَ أنْ يمُنَّ عليه كذلك)[٢] اهـ

قلتُ: دخل شيخُه محمد أمين الشِّنقيطي «مصرَ»، سنة: (١٣١٨هـ)، وذلك في أثناء رحلته من «شنقيط» إلى بلاد «الحجاز» و «المشرق»، وفي هذه الرحلة التقى بالشيخ محمد عبده، ودارت بينهما مجالس[٣].

وقد قرأتُ «مُذكِّرات الشِّنقيطي» كاملةً، وقرأتُ ما كُتب عنه، ولا أعلم أنَّه دخلَ «مصرَ» غير هذه المرَّة، والله أعلم.

فيكون عمره حين دخولها (٢٥) سنة، وقد مكث فيها نحو شهرين، ثم رحلَ إلى «الحجاز»، وكان عمر أبو السمح وقتها (١٨) سنة، فتكون

---

(١) وانظر المبحث الثاني (ص)، والمبحثين العاشر، والثامن عشر (ص).

(٢) مقال: «الدين الخالص وبعض مفسري هذا العصر» للمتُرجَم، نشره في «مجلة الهَدْي النَّبوي»، العدد (٢)، سنة: (١٣٥٧هـ).

وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السلفية» (ص ١٨٧).

(٣) انظر: «مُذكِّرات محمد أمين الشِّنقيطي» (ص ١٥٣).

العلاقةُ العِلمية بين العلامة (الصغير) الشِّنقيطي وتلميذه (الأصغر) أبو السَّمح، قصيرةً جدًّا، ولكنَّها غيرت مجرى حياته!

[عرضُ إشكالٍ! حول تاريخ التقاءِ أبو السمح بالشنقيطي]:

سبق ـ قبل قليلٍ ـ ضمن كلام أبو السَّمح عن شيخِه الشِّنقيطي قوله: (كانت هدايتي على يد أستاذي الشِّنقيطي، سنة: (١٩١١م) مشافهة) اهـ مختصرًا.

قلتُ: يوافق هذا التاريخ سنة: (١٣٢٩هـ)، وعمرُ أبو السَّمح ـ حينها ـ (٢٩) سنة تقريبًا، وفي هذا إشكالٌ عندي؛ وذلك لأنَّ شيخَه الشِّنقيطي صرَّح في «مذكراته»[١]، أنَّه دخل «مصرَ» سنة (١٣١٨هـ)، وتوافق سنة: (١٩٠٠م)، ومكثَ فيها شهرين، ثم انطلق إلى «الحجاز»، وقام برحلاتٍ في «نجد»، و «الأحساء» و «الكويت»، و «العراق»، و «الهند»، واستقرَّ في «الزبير»، ولم يَرجع إلى «مصرَ» مرَّة أُخرى، وكذا قال كُلُّ مَن ترجمَ له.

ولن يدفع هذا الإشكال القولُ بأنَّه استفاد منه بـ «المراسلة»، لأنَّه قال «مشافهة»، علمًا بأنِّي لم أجدِ النَّصَ، على تاريخ لقياه شيخِه الشِّنقيطي، إلا في هذا الموضع فقط، فليُحرَّر.. أو نقول بأنَّه سهو منه، والله أعلم.

[صورةٌ عامَّة عن منهجِه في «الاعتقاد»]:

---

(١) «مذكرات محمد أمين الشِّنقيطي» (ص ١٥٣).

كان رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأصول» على عقيدة «أهل السُّنة والجماعة»، وتقدَّمَ قولُه في التزامه «المعتقد السَّلفي»، ومتى كان؟ وبمَنْ كان؟

ومن يلقي نظرةً سريعة في مؤلَّفاتِه، ومقالاتِه، وأشْعارِه، وينظر فيما تعرَّض له من ابتلاءاتٍ، يَعلم مُعتقدَه، وصلابتَه فيه، ودعوتَه إليه، وتحمُّلَ الأذى في ذلك...

وسيأتي كُلُّ ذلك ـ مفصَّلاً ـ في موضعه.

وعلى سبيل المثال نجد في رسالته «الرسالة المكية» كلامًا على مسائل «توحيد الألوهية»، على «منهج السَّلف»، استدلالاً، وتقريرًا، واعتمادًا ما جاء في «الكتاب»، وصحيح «السُّنة».

أمَّا «مقالاته»، ففيها الكثير من الدعوة إلى التمسك بالإسلام الصافي، وبيان العقيدة الصحيحة، والرد على أهل البدع، والقبوريِّين، وبيان المنهج الصحيح في «الأسماء والصفات»، إثباتًا، ونفيًا، والتحذير من البدع، وما أُحْدِثَ في العبادات.

ومن المواضيع التي تطرق لها:

١ ـ مسائل توحيد الألوهية:

ومنها المسائل المُتعلِّقة بـ: عُبَّاد القبور، والذبح والنَّذر لأصحابها، ودعاء غير الله، ودعاء الأموات، والتوسل والوسيلة، والأولياء والكرامات[١].

٢ ـ مسائل الفِرَق:

ومنها: الرَّد على «الأشاعرة»، في مسألة «عقيدة أبي الحسن الأشعري»، وفي مسألة «إسناد الفعل»، وبيان فساد هذا المذهب، وما يؤول إليه[٢].

أمَّا رده على المتصوّفة، والقبوريِّين؛ فكثيرٌ[٣].

---

(١) انظر هذه المسائل في مقالاته الآتية:

«مجلة الإصلاح»: سلسلة مقالات «الدعوة إلى الله»: الأعداد (١، ١٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨)، لسنة: (١٣٤٧ ـ ١٣٤٨هـ). و «صحيفة صوت الحجاز»: مقال «بيان حقيقة ورد شبهة»، الأعداد (٨، ٩، ١٠)، لسنة: (١٣٥١هـ).

وانظر نص هذه المقالات كاملةً في: «المقالات السَّلفية» (ص ٩، ٣١، ٣٨، ٤٥، ٤٨، ٥٣، ٧٨).

(٢) انظر: هذه المسائل في مقالاته الآتية:

«عقيدة أهل السُّنة في كلمتي الشهادة...»؛ منشور في «صحيفة صوت الحجاز»؛ العدد (١٤)؛ سنة: (١٣٥١هـ)، و «الدين الخالص وبعض مفسري هذا العصر»؛ منشور في «مجلة الهَدْي النَّبوي»؛ العدد (٢)؛ سنة: (١٣٥٧هـ).

وانظر نص المقالين كاملين في: «المقالات السَّلفية» (٧١، ١٨٦).

(٣) انظر مقالاته التي أشرت إليها في النوع الأول.

٣ ـ مسائل الأسماء والصفات:

تعقَّبَ أحد الكُتَّاب بقوله:

(نُشر في «جريدة التقوى»...، كلامٌ طويل في «صفات الله تعالى»، فيه الحقُّ، الموافق لـ «عقيدة السَّلف الصالح»، والباطل الذي لم يقولوه، ولم يرْوِه عنهم راوٍ يُوثق بعلمه، وروايته.

ونحن مع حُبِّنا لـ «التقوى»، واشتراكنا فيها...؛ لم نرضَ هذا «المقال»، لِمَا جاء فيه من الكلام المُبتَدع، الذي هو بـ «أهل الكلام» و «البِدع»، أشبه منه بـ «أهل السُّنة والجماعة»...

قال (عقيدة «أهل السُّنة» في كلمتي الشهادة...)، فأشعر هذا العنوان صراحةً، أنَّه سيذكر عقيدة «السَّلف الصالح»...؛ ولكنَّه مع الأسف لم يفعلْ ذلك، بل نقلَ لنا عقيدة «خَلَفية» كلامية، فيها ما يوافق عقيدة «أهل السُّنة»، وفيها ما لا يوافقه[ـا].

إذ يقول: (عقيدتهم في ذاتِه ـ تعالى وتقدَّس ـ أنَّه واحدٌ لا شريك له، ولا نِدَّ له، ولا ضِدَّ له، ولا مثيل، ولا نظير...) إلى قولِه: (وهو بكل شيءٍ عليمٍ).

وهذا حقٌّ كله.

وأمَّا قوله: (ليس بجسمٍ مُصوَّرٍ، ولا جوهرٍ مُقدَّرٍ، وإنَّه لا يماثلُ الأجسامَ، لا في التقدير، ولا في قبول الانقسام، وإنَّه ليس بجَوْهرٍ، ولا بعَرَضٍ، ولا تحلّه الأعَرْاضُ، ولا...، ولا...، ولا...، ولا...).

فهذا لم يرد عن «السَّلف»، ولم تكن طريقتهم في وصف الباري ـ جلا وعلا ـ السَّلب، والنَّفي الكثير، كما فعله هذا الناقل.

وليته عزا ما نقله، إلى مَن قاله من العُلماء، أو عزاه إلى نفسِه، إنْ كان هو قائله، بل نسبه إلى «أهل السُّنة»، و «أهل السُّنة» يبرؤون من شيءٍ اسمه: جوهر، وعَرَض، وكلام مثل هذا...

وطريقةُ «القرآنِ» في «الصِّفات» الإثباتُ، والنَّفيُ فيه قليلٌ، كما قاله شيخ الإسلام... في بعض كتبه...

ولقد كان يكفي الكاتب: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشُّورى: ١١] في النفي، ولكنَّه مسيكين، قلَّد في النقل، ولم يكن له اختيار، ولا اطلاع على مذهب «السَّلف» في «العقائد»...)[1] اهـ

والمقالُ طويلٌ، قرَّر فيه عقيدة «أهل السُّنة والجماعة» في «الصِّفات»، وردَّ فيه على من خالفهم.

٤ ـ مسائل بدع العبادات:

---

(١) مقال: «عقيدة أهل السُّنة في كلمتي الشهادة...»؛ منشور في «صحيفة صوت الحجاز»؛ العدد (١٤)؛ سنة: (١٣٥١هـ).

وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (٧١).

منها: بدعة «وحِّدُوه» عند الجنائز، وبدع «النصف من شعبان»، وبِدَع الحُجَّاج[١].

٥ ـ الجهاد العَقَدي:

حثَّ «جماعة أنصار السُّنة المحمدية»، على القيام بالدعوة إلى التوحيد الخالص، والرد على أهل البِدع الشركية، وبيان فضل ذلك، والصبر على الأذى، مع بيان الخطوط العريضة، والأصول العام لهذا الطريق[٢].

وجلُّ حياتِه في «مصرَ»، ولاسيما مرحلة «الإسكندرية»، هي في هذا النوع من الجهاد.

٦ ـ الإيمان والتكفير:

---

(١) انظر هذه المسائل في مقالاته الآتية:

«صحيفة صوت الحجاز»: مقال: «إجابة على استفتاء ديني»؛ العدد (٤)؛ سنة: (١٣٥٠هـ)، ومقال: «بدع نصف شعبان»؛ العدد (٣٦)؛ سنة: (١٣٥١هـ)، ومقال: «الحج المبرور»؛ العدد (٢٩٤)؛ سنة: (١٣٥٦هـ).

وانظر نص هذه المقالات كاملةً في: «المقالات السَّلفية» (ص ٨٣، ٩٠، ٩٤).

(٢) مقال: «صبرًا يا أنصار السُّنة المُحمديَّة فلكم برسولِ الله ﷺ أسوةٌ حسنة»؛ منشور في «مجلة الهَدْي النَّبوي»؛ العدد (٧)؛ سنة: (١٣٥٨هـ).

وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (٢٢٠).

لأهمية هذا المسألة عن غيرها، فقد خصَّصتُ لها مبحثًا مستقلاً، سيأتي في موضعه(١).

[منهجه في جهاده العِلمي في العقيدة]:

للشيخ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ جهادٌ عِلمي في الدعوة على إلى المعتقد الصحيح، ومحاربة البدع، وستأتي صور من هذا الجهاد في مواضع من هذا الكتاب(٢)، ومنها ما سبق ـ قبل قليلٍ ـ عند الحديث على عقيدته، وكلها تبين لنا منهجه في الدعوة إلى العقيدة الصحيحة.

وقد كانت النِّية قراءة مؤلفاته ومقالاته وقصائده، واستخراج منهجه في هذا الباب، ولكن فِعلُ ذلك بطريقة عِلمية منهجية، سيؤخر نشر الكتاب، وكنتُ قد انتهيتُ منه من سنواتٍ، ولا زال على هيئته.

ثم وقفتُ على كتابةٍ مختصرةٍ بعنوان (منهجية الشيخ عبدالظاهر أبو السمح في مؤلفاته العقدية)، ذكر فيها الكاتب ـ بعد استقراءٍ ـ منهج أبو السمح؛ رأيتُها في أحد المنتديات العِلمية الإلكترونية؛ فرأيتُ ذِكرها ـ هُنا ـ لمناسبتِها للمقام.

يقول د. رياض بن عبدالمحسن بن سعيّد:

---

(١) انظر المبحث السابع عشر (ص).

(٢) انظر المبحث العاشر (ص)، والثامن عشر (ص)، والتاسع عشر (ص).

(أَذكرُ بعضَ الجوانبِ المُهمَّة في مُؤلَّفاتِه، وهي تعكسُ حقيقةَ سيرةِ الشيخ، وهي ما يلي:

١. معرفة الشيخ لشدة حاجة من كان في عصره ـ خاصة في «مصر» ـ إلى معرفة «العقيدة السلفية»، وما يخالفها من العقائد الباطلة؛ ولذلك كتب بعض المؤلفات منها:

ـ «حياة القلوب بدعاء علام الغيوب».

ـ و «الأولياء والكرامات».

ـ و «الرسالة المكية في الرد على الرسالة الرملية».

ـ و «القصيدة النونية في بيان الوسيلتين الإسلامية والشركية وأنواع التوحيد».

٢. منهجية الشيخ في كتابه «حياة القلوب بدعاء علام الغيوب»، مشابهةٌ لمنهجية كتاب «كشف الشبهات» للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك في ذِكر شبهات «أهل الشرك» وردِّها.

وقد حرص الشيخ في كتابه «حياة القلوب»، على ذِكر شبهات المشركين، فقد عَقَد فصلاً وسمَّاه: (بيان حقيقة وإزالة شبهة)، وعَقَد فصلاً آخر وسمَّاه: (ردُّ شُبهةٍ أُخرى وبيان بعضِ منهجية قياساتِهم الباطلة)، إلى غير ذلك.

٣. مؤلفاتُ الشيخِ العقدية قائمةٌ على الاستشهادِ بـ «الكتاب» و «السُّنة»، وذِكْرِ شُبهاتِ «أهل الشِّرك» وردِّها، ففي الغالب لا يَستشهدُ

بكلامِ العُلماء، بل يَكتفي بـ «الكتاب» و «السُّنة».

٤. يُحذِّر الشيخُ في كتابه «حياة القلوب» من اتِّباع عُلماءِ السُّوء، الذين يَدْعون الناسَ إلى الأعمال الشِّركية، ولا يُنْكرونَها.

فقد قال في مقدمة الكتاب:

(أمَّا بعد: فهذه رسالةٌ في «توحيد الألوهية» عنيتُ بها، وكتبتُها لَمَّا وجدتُ كثيرًا من العُلماء ـ فضلاً عن العامَّة ـ يُؤلِّهونَ غيرَ الله، بدُعائِهم ونذْرِهم، وغير ذلك من العباداتِ الظاهرة والباطِنة، ويُسمُّون ذلك كُلَّه توسَّلاً ووساطةً واسْتِشفاعًا...).

ويقول أيضًا:

(... وأكبرُ من ذلك ـ وأَدْهى وأَعْظم فِكْرًا[1] ـ أنَّ كثيرًا [من][2] يَنْتسِبون إلى العِلم والإسلام، وبعضَ من يُعدُّون من كِبار العُلماء، يحاربون بألسنتِهم وأقلامِهم كُلَّ من يُنْكرُ على العوام هذه الأعمال الشركية، ويُعادونه أشدَّ العِداء، ولو استطاعوا إسكاتَه ما قصَّروا، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

٥. يُنبِّه الشيخُ في مُؤلَّفاتِه على أنَّ «عُبَّاد القُبور» يَسْتدِلُّون بأحاديث

---

(١) كذا! ولعلَّها: «كُفرًا»، والله أعلم.

(٢) في الأصل: «من».

«ضعيفة» أو «موضوعة»، وأنَّهم لا يَفهمون الاستدلال بـ «الأحاديث».

وقد ذَكرَ الشَّيخُ هذا في كتابه «الأولياء والكرامات»؛ فقال:

(ويأتونك بأحاديثَ أكثرُها «ضعيفٌ» أو «موضوعٌ»، أو «صحيحٌ» ولكن له معنى لا يخالفُ «القرآن» وسائر «الأحاديث» الصحيحة، وهم يَفهمون بالعكس؛ لأنَّ عقُولهم مَنْكوسةً، وبصائرُهم بالشِّرك مطموسةٌ).

٦. مِن منهجية الشيخ في مُؤلَّفاتِه: إيراد السُّؤالات والإلزامات على عُبَّاد القبور، وقد ظهر هذا جلِيًّا في كتابه «الأولياء والكرامات»، ومن أمثلة ذلك قولُه في هذا الكتاب: (أسئلةٌ مُفحِمةٌ من أولياء الله إلى عُبَّادِ القبور وعُلمائهم).

٧. لا يْستشهِدُ الشَّيخُ في مُؤلَّفاتِه بالأحاديث «الضعيفة» و «الموضوعة».

٨. من منهجية الشَّيخُ في مُؤلَّفاتِه: عَنْونةُ المباحث التي يذكرها، فهو لا يَذكرُها سرْدًا، أو في عناوين قليلةٍ، بل كُلُّ مسألةٍ يَذكرُ لها عُنوانًا مُسْتقِلاً؛ تسهيلاً لقارئ الكتاب.

٩. أسلوبُ الشيخ في مُؤلَّفاتِه العقدية قائمٌ على الوضوح والسُّهولة، فلا تكلَّف ولا تقعُّر في الكلامِ، وهو مشابهٌ لأسلوبِ «أئمة الدعوة» في «نجد»)[1] اهـ

* * * *

(١) «مُلْتقى أهل الحديث»، ونصُّ المقالِ مُتوفِّرٌ في بعض نُسخ «المكتبة الشاملة».

[مذهبه الفقهي]:

كان الشيخ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ في بداية الطلب على «مذهب الشافعي»، وقلتُ هذا لأني وقفتُ على كلامٍ له في «سيرتِه الذاتية»، حين كان يحكي طريقتَه في «الطَّلب»؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أرسلني [أي والده] إلى «الأزهر» لتعلّم العلوم، والتَّفقه في الدِّين، فاشتغلتُ هناك بحفظ المتون، فبدأتُ بـ... و «أبي شجاع»[1] في «المذهب الشافعي»...)[2] اهـ

قلتُ: هذا يدلُّ على أنَّه في «الفقه» بدأ الطَّلبَ وِفق «مذهب الشافعي»، لكن من يَنظر فيما استقرَّ عليه الشيخ؛ يجد أنَّه في «الفروع» أصبحَ على طريقة «المُحدِّثين»، دون التزامِ مذهبٍ فقهي، من «المذاهب الأربعة»، ولعلَّ هذا يرجع لكونه قد قرأ «مُحَلَّى» ابن حزم، فانتفع به، وتأثر بمنهجه.

وتقدَّم قولُه في تأثره بكتب ابن حزم، وهو أمرٌ له فيه سلفٌ.

وسَلَفُه في البابِ[3]، سلسلةٌ مُباركةٌ، نفع اللهُ بها الأمةَ؛ وأشهرُ متأخِّريهم:

---

(١) سبق التعريف بهذا المتن في المبحث الثاني (ص).

(٢) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨).

(٣) أعني من ساروا على «منهج المُحدِّثين»، دون التزامِ مذهبٍ فقهيٍّ من «المذاهب الأربعة».

١ ـ محمد بن إسماعيل الصنَّعاني ت (١١٨٢هـ).

٢ ـ محمد بن علي الشَّوكاني (١٢٥٠هـ).

٣ ـ محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ) رَحِمَهُمُ اللهُ.

ومع هذا؛ لم يظهر من أبو السمح كلامٌ غيرُ مقبولٍ، حول «التَّفقُّه المذهبي»، ولم يكن ممن يتكلَّمون في «المذاهب الأربعة»، ويطعنون فيها، وفي اتِّباع المسلمين لها، شأن بعض غُلاة «الظاهرية» المعاصرين، المُدَّعين أنَّهم على منهج «أهل الحديث»، كلا، لم يكن يفعل ذلك، إلا في حدودِ التنبيه على «التَّعصُّب المذهبي»، والتمسُّك بـ «التقليد»، دون مُراعاةِ «الدليل».

وسيأتي بيان رأيه ـ في هذا الموضوع ـ تفصيلاً[1].

* * * *

(١) سيأتي بيانٌ ذلك تفصيلاً، في المبحث الخامس عشر (ص).

المَبْحَثُ الرَّابِعُ
[تَلامِيذُهُ، وَأَثَرُهُ فِيهِم]

لم أرَ مَن ترجموا له يحتفلون بذكر تلاميذه، وعدِّهم، وبعضُهم نصَّ على تلميذٍ واحدٍ فقط، وهو عبدالرزاق حمزة ـ كما سيأتي ـ.

عِلمًا بأنَّ الشيخ عبدالظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ درَّس في عدة أماكن.

ففي: «مصرَ»:

درَّس في مدرسة بـ «السويس».

وفي «دار الدعوة الإرشاد» لرشيد رضا بـ «القاهرة»، وفيها تتلمذَ عليه: العلامة: محمد بن عبد الرزاق حمزة.

وقام بدعوة التوحيد في «المساجد»، ولاسيما في «الإسكندرية».

وفي: «مكة المكرمة»:

قام بالتدريس في: «المسجد الحرام».

وفي «دار الحديث الخيرية»، التي قام هو بتأسيسها.

وفي «المعهد العلمي السعودي».

ولا شك أنَّ له الكثير من الطلبة من «المصريين»، و «الحجازيين» الأصليين، والوافدين إلى «الحجاز» للمجاورة أو للطَّلب.

وقد قال أبو السمح نفسه في هذا الباب:

(إنَّ لي تلاميـذَ كثـيرين وتلميـذات ولله الحمـد، في «مصر»[١]، و «الإسـكندرية»، و «الجيـزة»، و «دار الـدعوة والإرشـاد»، و «دار الحديث»)[٢] اهـ

قلتُ: لم يذكرهم رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم يُشرْ ـ إذْ فصَّل ـ إلى تلاميذه في دروسه التي كانت تُعقد في «الحرم المكي».

وسأكتفي بذكر بعضِ تلانيذه، من العلماء المشاهير:

١ ـ العلامة: محمد بن عبد الرزاق حمزة[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٩٢ هـ).

---

(١) أي: «القاهرة».

(٢) انظر: «الثَّبَت الرفيع العالي» (ص ٤٣٠).

(٣) إمام وخطيب «المسجد النبوي»، المُحدث، العلامَّة، الشريف: محمد بن عبد الرزاق بن حمزة، القليوبي، الحُسيني رَحِمَهُ اللَّهُ، تعلَّم في «الأزهر»، وسافر إلى «مكَّة المكرَّمة»، ثم عُيِّن إمامًا وخطيبًا في «المسجد النبوي»، ثم عاد إلى «مكَّة المكرَّمة» مدرسًا في «المسجد الحرام»، وسافر إلى «الرياض» مُدَرِّسًا، ثم عاد إلى «مكَّة المكرَّمة»، وقد تولَّى الإمامة والخَطابة ـ أيضًا ـ في «المسجد الحرام»، مُعاونًا للمُترجَم ـ عبد الظاهر ـ.

وهو صاحبُ فكرة تأسيس «مرصد فلكي» على قمة جبل «أبي قبيس» بـ «المسجد الحرام»، ليُستعان بآلاته على تحديد دخول وخروج هلال شهر: رمضان، وشوال، وذي الحِجَّة، وعَرَضَ الفِكرة على الملك سعود رَحِمَهُ اللَّهُ، فوافق عليه، وأمرَ بإنشاء «المرصد»، وساعده على جلب بعض آلاته، كما أنَّه ساعد شيخَه عبد الظاهر في ⇦

حين كان أبو السَّمحُ مُدِّرسًا في مدرسة رشيدِ رضا «دار الدعوة» بـ «القاهرة»، كان من جُملةِ تلاميذه العلامة محمد بن عبد الزاق حمزة، فأخذ عنه، ووَّجه شيخُه أبو السمح إلى قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية[١].

ويفُهم من كلام علي جواد، أنَّه كان زميله في «مدرسة رشيد»، ولم يكن تلميذه، وهو وهمٌ منه[١]، وسيأتي تأكيدُ ذلك بعد قليلٍ.

= تأسيس «دار الحديث» كما سبق.

له: «ظُلُمات أبي ريَّة» كَتَبَهُ وهو مريضٌ في المستشفى بعيدًا عن المراجع، وكان من أقوى الرُّدودِ وأنْفَعِها، وله أيضًا: «المقابلة بين الهُدى والضلال»، و «الشواهد والنصوص»، وهو نقدٌ لـ «أغلال» القصيمي.

وأسهم في التحقيقِ والتعليقِ لبعض الكتب؛ كـ: «موارد الظمآن»، و «الحموية الكبرى».

انظر ترجمته في: «نثر الدُّرر» (ص ٥٩٩)، و «الأعلام» (٦/ ٢٠٣)، و «مشاهير علماء نجد» (ص ٥١٤)، و «الجواهر الحسان» (٢/ ٣٥٦)، و «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٣/ ١١٩٢)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٣٩٧)، و «وسام الكرم» (ص ٣٦٩)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٩٤)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ٢٧٤)، و «أئمة الحرمين» (٣١١).

وله ترجمة حافلة، في مقدمة: «المقابلة بين الهُدَى والضلال» (ص ١٠٣)، أظُنَّها بقلم الشيخ: عبد الله بن صالح المدني.

(١) انظر: «وسام الكرم» (ص ٣٧٠).

وسيأتي ـ فيما بعد ـ مدى تأثر عبدالرزاق حمزة بشيخه عبد الظاهر[٢].

٢ ـ العلامة، الفقيه: عبدالله بن حُميد[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٠٢ هـ).

درَس عليه «التجويد»[٤].

٣ ـ الشيخ: عبدالله بن عبدالغني خياط[٥] رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤١٥ هـ).

---

(١) انظر: «معجم المطبوعات» (٣/ ١١٩٣).

(٢) انظر هذا المبحث (ص).

(٣) العالم المشهور، والمفتي، والقاضي، ورئيس القضاة في عصره، كان كفيفًا منذ صغره، فطلب العلم، وحفظ المتون، وفاق أقرانه، حتى أصبح من رؤوس العِلم، وهو والد إمام «الحرم» د. صالح بن حميد، والأصولي د. أحمد بن حميد.
انظر ترجمته في: «علماء نجد» (٤/ ٤١٣)، و «معجم مصنفات الحنابلة» (٧/ ١٨٣).

(٤) انظر: «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(٥) القارئ الخاشع المعروف، إمام وخطيب «المسجد الحرام»، عضو «هيئة كبار العلماء»، من شيوخه: عبدالله بن حسن آل الشيخ، وأبو بكر خوقير، وسليمان بن حمدان، وتقي الدين الهلالي، تولى عمادة «كلية الشريعة»، وإدارة «تعليم مكة»، ثم مُستشارًا بـ «وزارة المعارف»، وخرج على يده أجيالٌ من الأُمراء والمسؤولين والوُجهاء، وكان مُتواضعًا، ذو ذُكاءٍ مُفْرط.
طُبِعت مُذكّراته في «لمحاتٍ من الماضي»، وله: «اعتقاد السَّلف»، و «الربا في ضوء الكتاب والسنة»، و «تأمُّلات في دُروبِ الحقِّ والباطل»، و «مبادى السيرة ⇦

قرأ عليه في الحديث كتاب «مشكاة المصابيح» للتبريزي، ودرسَ عليه جُملةً من كُتب العقيدة، منها: «الوسيلة»، و «الواسطية» لشيخ الإسلام، وفي اللغة العربية «ألفية» ابن مالكٍ.

وتحدَّث بذلك بنفسِه، وكان مُلازِمًا له وتأثَّر به[1]، كما سيأتي بعد قليلٍ.

٤ ـ العلامةَ، الفقيه: علي بن محمد الهندي[2] رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤١٩ هـ).

= النبوية»، وغيرها، وأعدَّ بعض «المقررات المدرسية».

انظر ترجمته في: «تتمة الأعلام» (٢/ ١٠)، و «ذيل الأعلام» (١/ ١٣٢)، و «تكملة معجم المؤلفين» (ص ١٩٦)، و «المبتدأ والخبر» (٤/ ١٤٢)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ٤٠٤)، و «أئمة الحرمين» (ص ٤٤١).

(١) «لمحات من الماضي» (ص ٣١٥).

وانظر أيضًا: «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(٢) علَّامةٌ فقيهٌ حنبلي، أصله من «حائل»، قدِم «مكة المكرمة» واستقرَّ فيها، وأكمل طلبه العِلم فيه، ثم صار من كبار علمائها، ودرَّس في «كلية الشريعة»، و «المسجد الحرام»، وتخرَّج على يده علماء كبار، وله عناية بـ «المذهب الحنبلي»، وطُبع له: «التُّحفة السَّنية»، و «زهر الخمائل»، و «المذكرات الجلية»، وغيرها .

انظر ترجمته في: انظر ترجمته في: «معجم مصنفات الحنابلة» (٧/ ٣٥٨)، و «روضة النَّاظِرين» (٣/ ٢١٠)، و «المبتدأ والخبر» (٤/ ٤٤)، و «نثر القلم» (ص ١٣٩).

وقد أعددتُ له ترجمة موسعة في كتابي: «الإمام الفقيه موسى الحجَّاوي» (٢/ ٤٥٧).

رحلَ مِن «حائل» إلى «مكَّة المكرمة»، والتقى بالشيخ أبو السَّمح، وقرأ عليه «القرآن»، وأخذَ عنه «التجويد»[١].

٥ ـ الشيخ، الفقيه: محمد بن سليمان البسَّام[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٣١هـ).

أخبر عنه ابنه الشيخ منصور البسام، أنَّ والدَه درَس على أبو السمح في: «العقيدة» و «التجويد»[٣].

[أثره في طلابه]:

لقد كان الشيخ غيورًا على «المعتقد السلفي»، ومحبًا لطلابه، مشفقًا عليهم، حريصًا على هدايتهم للحقِّ، ولاسيما من يرى منهم توجُّهًا إلى شيءٍ من البدع، فكان يعتني بهم، ويناصحهم، ويُبيِّن لهم الأصول العلمية

---

(١) قال ذلك الهندي في ترجمة ذاتية له بقلمه، لدي نسخةٌ منها، تحدَّثتُ عنها في كتابي: «الإمام الفقيه موسى الحجَّاوي» (٢/ ٤٨٧)، والمبحث الأول (ص).

(٢) من كبار وقدماء المدرسين بـ «المسجد الحرام»، له مؤلفاتٌ في «التفسير»، و «العقيدة»، و «الفقه»، و «النحو»، وحقَّق وصحح بعض الكتب، وحشَّى عليها، واستدرك على بعض الكتب، وهو ـ على علمِه ـ غير معروفٍ سوى عند خواص طلبة العِلم.

انظر ترجمته في: «علماء نجد» ـ في ذيل ترجمة والده ـ (٢/ ٣٢٨).

(٣) انظر: «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

والمنهجية التي سار «السَّلفُ» على وفْقِها، ويعيرهم من مكتبته مُؤلَّفات أئمة الدين من «السَّلف».

وسأذكرُ مثالين على ذلك، وهما أثره في اثنين من أشهر تلامذته؛ وهما:

١ . **العلامة محمد عبد الرّزّاق حمزة**؛ إذا يقول هذا التلميذ عن شيخِه أبو السَّمح رَحِمَهُمَاللهُ:

(أذكرُ له بالثناء الجميل، توجيه قلبي ونفسي-، إلى مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد كان أستاذي بـ «دار الدعوة والإرشاد»؛ في: تجويد «القرآن»، وتجويد «الخطِّ».

وبالاتصال به دارتْ بيننا مباحثاتٌ في مسائل: التَّوسُّل، والشفاعة، ودعاء الصالحين، فأعارني كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية، في «التوسل والوسيلة»، فقرأتُه فتأثرتُ به أيَّ تأثر، وانتقلتُ رأسًا على عقبٍ.

وامتزج حب ذلك الشيخ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ بلحمي، وعصبي، ودمي، وأصبحتُ حريًّا على البحث عن كل كتابٍ له، ولمن يتابعه، وقرأتُ بعض كتب تلميذه كالشيخ محمد بن عبد الهادي: «الصارم المُنْكي في الرَّدِّ على السُّبكي».

فخرجتُ بيقينٍ ثابتٍ، وإيمانٍ قوي، ومعرفةٍ جيِّدة بـ «مذاهب السّلف» في هذه الأمور، وبحبٍّ مطالعة كتب «الحديث»، و «أسانيده»، والكلام

عـلى رجالِـه، كُـلُّ ذلـك ببركـةِ مُطالعـة كتـابَيْ: «التوسـل والوسـيلة»، و «الصارم المنكي»)[١] اهـ

٢. **الشيخ عبدالله بن عبدالغني خياط**؛ وقد كان مُحِبًّا لشيخِه، ومُعْجبًا بشخصيتِه العِلمية والعملية، وتأثَّر به كثيرًا في منهجه وسلوكه، وتحدَّث بنفسِه عن تتلمذِه على شيخِه أبو السمح، وأطالَ الثناء عليه، ويكفي أنَّه ترجم له في «مذكراتِه»، في فصل: (شخصياتٌ لها أثرٌ في نفسي).

ومما قاله في ترجمته:

(قرأتُ عليه..، وكنتُ أدرسُ عليه..؛ فكانَ يُثلِجُ صدري، ويَروِي ضمأَ نفْسي المُتعطِّشة للمزيد من التَّعرف على «العقيدة السلفية».

كنتُ أذهبُ إليه ضَحْوة كُلّ يومٍ؛ فأجد من فضيلتِه ـ إلى جانبِ الإفادَةِ من عِلْمه وخُلُقه ـ التجاربَ العظيمة التي مرَّتْ عليه، والمتاعبَ التي لَقِيَها في سبيلِ الدَّعوةِ إلى الله في بلدِه...)[٢] اهـ

ومما قاله عنه في أثناء دراسته عليه «ألفية ابن مالكٍ»:

---

(١) انظر مصادر ترجمته السابقة؛ ومنها: «نثر الدُّرر» (ص ٦٠٠)، و «الجواهر الحسان» (٢/ ٣٥٧)، وفيها ترجمةٌ ذاتيةٌ له بقلمِه.

(٢) «لمحات من الماضي» (ص ٣١٥).

(كانَ يحفظُها عن ظهْرِ قَلْبٍ، يَقرأُ المنظومةَ، ثم الشرحَ لابنِ عقيلٍ، ويُكثر منَ الأمثلةِ لتطبيقِ القواعد؛ وهذا ما جعلني ابتعدُ عنِ اللحنِ في القِراءةِ، لحفْظِي الكثير منَ الإعرابِ، مما أفدْتُه منه)[١] اهـ

وله كلامٌ في تأثره بشيخِه في «الدعوة» و «الاحتساب»[٢]، سيأتي في موضعه، عند الكلام على احتساب الشيخ في «هيئات مكة».. فيُنْظر[٣].

ومما قاله ـ أيضًا ـ عن تأثره بشيخِه أبو السمح:

(كمْ لفضيلتِه عليَّ من أيادٍ، لا تقتصرُ على الناحية العِلمية فحسب، بل تَأخذُ توجيهاتُه إلى أبعادِ نواحٍ، فيها المصلحةُ لمن انْتهجَها، ويتوقَّفُ عليها بُروزُ الشَّخصيةِ.

ومِن أجْلِ ذلك ـ كُلِّه ـ ترجمتُ له، في طليعةِ الشَّخصياتِ البارِزة، التي تركَتْ في نفسي أثرًا حميدًا، لا أنساهُ أبدًا، أسألُ اللهَ له رَفعَ المنازِلِ في جُوارِ البررةِ الصَّالحين من عبادِ الله)[٤] اهـ

قلتُ: فهذه النُّقول تُوضِّحُ لنا ـ بجلاءٍ ـ كيف كانت علاقة الشيخ بطلابِه، وارتباطه بهم، ومدى تأثرهم به.

---

(١) «لمحات من الماضي» (ص ٣١٦).

(٢) «لمحات من الماضي» (ص ٣١٦).

(٣) انظر: المبحث الثامن: منهجه في الحُسبة (ص).

(٤) «لمحات من الماضي» (ص ٣١٧).

* * * *

المَبْحَثُ الخَامِسُ
[أَعْمَالُهُ]

سأسوقُ ما وقفتُ عليه من تدريسِه وأعمالِه، مُجتهِدًا في تريب غالِبها كما حصلَتْ له، وِفْق تسلسلها الزَّمني في حياتِه.

[أولاً: التدريس في «مصرَ»]:

أوَّلُ ابتداء حياتِه العملية، كان في حقل التدريس، وقد درَّس في عِدَّة مدارس، في عدة أماكن مختلفة من «مصرَ-»، درَّس فيها العلوم والمعارف التي دَرَسَها؛ وهي:

١. «القرآن الكريم».

٢. «التجويد».

٣. «القِراءة».

٤. «الخطّ»[١].

ومِمَّا وقَفْتُ عليه مِن هذه المدارس:

١ ـ إحدى مدارس الوجه القِبْلِي[٢].

ذَكرَ الشيخُ ـ نفسُه ـ أنَّه عُيِّن مُدرِّسًا لـ «الخطِّ» و «اللغة العربية»، في إحدى مدارس الوجه القِبْلِي، ولم يحدِّدُها[١].

---

(١) انظر: «وسام الكرم» (ص ٢٥٢).

(٢) «القِبْلي» يعني الجنوب، وهو يُطلق في مقابل «البحري» ويعني الشمال، وهي من المصطلحات الشائعة في «مصر»، و «الوجه القِبْلِي» ـ المُراد هُنا ـ هو صعيد «مصر-»، ويقع جنوب «القاهرية».

٢ ـ المدرسة الإيرانية(٢).

درَّس فيها بعد تدريسه في المدرسة السابقة مباشرة، وقد ذَكرَ ذلك الشيخُ ـ نفسُه ـ في «سيرته الذاتية»؛ فقال:

(ثم طلبتُ القربَ من أخَوَيّ ووالِدَتي، بمصرَ ـ «القاهرة»، فعُيِّنتُ بمدرسةٍ تُدْعى: «المدرسة الإيرانية»)(٣) ا.هـ

قلتُ: تدريسه هذه المواد ـ السابقة ـ في هاتَيْن المدرستَيْن، كان ـ كما يظهرُ لي ـ بعد دراستِه في «الأزهر» و «مدرسة عبدالعزيز»، وقبل تخرّجه من مدرسة «دار الدعوة» لرشيد رضا.

فهو بعد تخرجه من هذه الأخيرة، كان قد أصباح شيخًا، مُحدِّثًا، فقيهًا، مُصْلحًا؛ ولن يقتصر ـ في تدريسِه ـ على هذه المواد، وهذا ـ أيضًا ـ ما يُفهم من سياق حديثِه في «سيرتِه الذاتية».

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١).

(٢) لم أهتدِ للتعريفِ بهذه المدرسة، ولكن من المؤكد أنَّ الإيرانيين كان لهم وجودٌ في «مصر» في القرن الماضي، وكان منهم أغنياء، ولهم بصمةٌ في «مصر»، ولا ننسى أنَّ شاه «إيران» محمد رضا بهلوي ت (١٤٠٠هـ)، كان أولى زوجاته هي الأميرة فوزية بنت فؤاد مَلك «مصر»، وشقيقة الملك فاروق، وقيل هو عُرسٌ سياسي.
تُنظر ترجمة الأميرة «فُوزية»، في المواقع الإلكترونية.

(٣) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١).

وما قرَّرتُه على خلاف ما جاء في بعض مصادر ترجمته، وهو أنَّ تدريسه في هذه المدارس، كان بعد تخرجه من مدرسة «دار الدعوة» لرشيد!

٣ ـ التدريس في «الجمعية الخيرية الإسلامية».

بعد تدريسه في «المدرسة الإيرانية» السابقة، أَعلنتْ هذه «الجمعية» عن حاجتِها لمُعلِّمين، يُدرِّسون في مدارِسها، وأَعدَّتْ اختبارًا للمُتقدِّمين، فتقدَّم لهم أبو السَّمح، وكان من أوائل الناجحين في اختبارِها.

ثم عيَّنوه في إحدى مدارِسها في «المَحلَّى الكُبرَى»[(١)]، ومَكثَ فيها مُدرِّسًا لمدة سنتين[(٢)].

٤ ـ التدريس في «الجيزة».

بعد تدريسه في «الجمعية»، رغِب في العودة إلى «القاهرة»، فعُيِّنَ مدرسًا في «مدرسة البنات» في «الجيزة»، ولم يلبث فيها غير سنة[(٣)].

وسيأتي ـ بعد قليلٍ ـ تعليقٌ على هذا النوع من التدريس.

٥ ـ التدريس والمراقبة في «دار الدعوة والإرشاد».

---

(١) انظر عنها: «الخطط الجديدة التوفيقية» ـ خطط مبارك ـ (١٥/ ١٨).

(٢) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١).

(٣) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٨)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١).

وبعد سنةٍ من تدريسه في «مدرسة البنات» بـ «القاهرة»؛ طلبه العلامة رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ للتدريس في المدرسة التي أنشأها باسم: «دار الدعوة والإرشاد» ـ كما سبق بيانه في موضِعه ـ.

فكان تدريسه فيها، هو المحطة التالية لمدرسة البنات السابقة.

فدرَّس أبو السمح فيها تعليم «القرآن»، و «الخطِّ».

وزيادةً على التدريس أَوْكَلَ إليه شيخُه رشيدٌ ـ ثقةً فيه ـ مراقبة القسم الداخلي، فأقام بذلك خير قيام.

واستمر على هذه الوظيفة ثلاث سنواتٍ، حتى نَشبتْ الحربُ العالمية الأولى سنة: (١٣٣٣هـ ـ ١٩١٤م)، وأُغْلِقت المدرسة[١].

[تنبيه]:

سبق بيان أنَّ أبو السمح حين قَبِلَ التدريسَ في مدرسة رشيدٍ؛ اشترط عليه أنْ يحضر الدروس العالية فيها، وتقدَّم ذلك في موضعه[٢].

وهذا يخالفُ ما جاء في بعض مصادر ترجمته، أنَّه درَّس في هذه

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٩)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥)

وسبق في المبحث الثاني (ص) ذِكرُ سببِ إغلاقِها، وعلاقة «الإنجليز» بإغلاقِها.

(٢) انظر المبحث الثاني (ص).

المدرسة، بعد تخرُّجه منها، واعتمدتُ ما ذكره أبو السمح في «سيرته الذاتية».

٦ ـ تدريس أبناء «الباشوات».

بعد إغلاق مدرسة شيخِه رشيد ببضعة أشهرٍ[١]، انْتُدب الشيخ أبو السمح لتعليم أبناء محمود باشا الدِّيب[٢]، في «الرمل» بـ «الإسكندرية»، فسافر إليهم، وتولَّى تعليمَهم[٣].

قلتُ: هذا مما انفرد به الشيخ أبو السمح في «سيرته الذاتية»، ومعه صديقه العلامة د. تقي الدين الهلالي[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ، وذَكر هذا الأخير ـ أنَّ أبناء الدِّيب الذين درسهم أبو السمح هن بنات الباشا، ولم أستغرب من هذا، وقد مرَّ ـ قبل قليلٍ ـ أنَّه درَّس في مدرسةِ بناتٍ في «الجيزة».

---

(١) قضى هذه المدة المنقطعة عن التدريس، في صنع «المناديل النسائية»، كما سيأتي في هذا المبحث (ص)، وعندها سنذكر سبب اشتغاله بهذه الصنعة.

(٢) ذكر د. الهلالي في: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٨)، أنَّ لقبه «الذيب»، ولكنَّه يُنطق ويُكتب ـ على عادة المصريين ـ بالدال المهملة.

(٣) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٩)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٢)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥)

(٤) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٨).

وهذا محمولٌ ـ قطعًا ـ على تدريس الصغيرات.

٧ ـ التدريس في «الإسكندرية».

بعد تدريسه في مدرسة شيخِه رشيد، وتخرُّجه من المدرسة نفسِها، انتقلَ ـ بعد ذلك ـ إلى «الإسكندرية»، فعُيِّن مُدرِّسًا بأحد مدارسها[1].

[تنبيه]:

تدريسه في هذه المدرسة، وجعلها بعد تدريسه في مدرسة شيخه رشيدٍ، ذكره بعضُ مَن ترجم له، ولم يذكرها ـ هو ـ في «سيرته الذاتية»، مع أنَّه فصَّل ـ فيها ـ تنقله بين المدارس، ورتَّبها.

وذَكر هو في «سيرته الذاتية»، أنَّه بعد إغلاق مدرسة شيخِه، مكثَ بضعة أشهرٍ في صناعة «المناديل النسائية»، وبعدها انْتُدب لتعليم أبناء أحد الباشوات في «الإسكندرية»، كما سبق وسيأتي.

فلعلَّه درَّس فيها، بعد تدريسه لأبناء الباشا، والله أعلم.

وتبَقَّى ـ مما عثرتُ عليه ـ مدرسةٌ، لم أعرفْ ترتيبَها ـ بين المدارس التي دَرَّس فيها ـ على وجه التحديد الزمني الدقيق، ولم يذكرها ـ هو ـ في «سيرته الذاتية».

لكن نصَّ من ذَكرها، على أنَّها كانت قبلَ لقائه بشيخه رشيدٍ؛ فيكون

---

(١) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «أعلام المكيين» (١/ ٢٠٣).

تدريسه فيها، قبل تدريسه في مدرسة «الدعوة والإرشاد»؛ وهي:

٨ ـ التدريس في مدرسة ابتدائية.

اشتغل أبو السمح بالتدريس في مدرسة ابتدائية بـ «السويس»، وكان ذلك بعد تخرّجه بشيخَيْه: محمد عبده، ثم محمد أمين الشِّنقيطي، وقبل اتصالِه بشيخه رشيد رضا[١].

[ثانيًا: أعماله في «مصرَ»، غير التدريس]:

مما وقفتُ عليه من أعماله غير التدريس:

٩ ـ إمامة «مسجد أبي هاشم».

تولَّى إمامة «مسجد أبي هاشم» بمنطقة «الرَّمل» بـ «الإسكندرية»[٢].

وأصلُ هذا المسجد أرضٌ للمهندس أبي هاشم، خصَّص جُزْءًا منها لبناء مسجدٍ صغيرٍ للسَّلفيين بـ «رمل الإسكندرية»، وتحديدًا للشيخ أبو السمح، وكان يقوم فيه الشيخ بالإمامة للصلوات الخمس، والجمعة، وإلقاء الدروس والكلمات لوجه الله[٣].

---

(١) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٣)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٥).

(٢) انظر: «الإعلام» (٤/ ١١)، وعنه «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥).

(٣) ويبدوا انَّ مناوئي الشيخ أبو السمح، كانوا يطلقون على هذا المسجد «مسجد ⇦

قلتُ: انفرد بذكر هذه المعلومة العلامة د. تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٠٧هـ)، وقد أقام في هذا المسجد شهرين، كان ينوب فيها عن أبو السمح، لوجود فتنةٍ ـ آنذاك ـ تطلَّبت من أبو السمح الغياب عن الأنظار[١].

... ـ تأسيس جماعة «أنصار السنة المحمدية».

ذَكر بعضُ من ترجم لأبو السَّمح أنَّه ـ في أثناء وجودِه بـ «الإسكندرية» ـ أسَّس جماعة «أنصار السُّنة المُحمديِّة»، التي أصبحت إحدى منارات «الهُدى» في المنطقة، وكان لها دورٌ كبيرٌ جدًا في نشر «دعوة الحقِّ»، ومُحاربة «البدع»، و «الخرفات»[٢].

قلتُ: هذا وهمٌ من قِبل من ذَكروا ذلك، مع أنَّ فيهم من يَعرف أبو السَّمح شخصيًّا، وجلس معه، وأخذ عنه، وأقدم من قال ذلك ـ منهم ـ هو الشيخ عمر عبد الجبار رَحِمَهُ اللَّهُ، فلعلَّ مَن بعده أخذ عنه المعلومة.

= الظاهرية»، وسيأتي توثيق هذه التسمية، وسببها، في المبحث التاسع عشر (ص).

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٨).

وسيأتي مزيدُ بسطٍ لهذه الفتنة، في المبحث الثامن عشر (ص).

(٢) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «أعلام المكيين» (١/ ٢٠٣)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤)، ومقدمة: «المقالات السَّلفية» (ص ٥)، و «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

ومن المعلوم ـ بل من المتواتر ـ أنَّ الذي أسس جماعة «أنصار السُّنة المُحمديَّة» هو الشيخ محمد حامد فقي رَحِمَهُ اللَّهُ، وتاريخ تأسيس هذه الجماعة ليس ببعيدٍ عنَّا، حتى يكون في ذلك اختلاف.

وعليه؛ لم أضع لهذه المهمة (تأسيس جماعة أنصار السُّنة) رقمًا يخصّها.

وقد ذاع صِيتُ أبو السمح واشتهر، من خلال ما سبق من أعمالٍ؛ فكان من العُلماء والوعاظ «الأزهريين»[(١)]، بل من كبار عُلماء بلده، ومن الدعاة المُحتسبين، الآمرين بالمعروف، النَّاهين عن المنكر، ولاسيما فيما يتعلق بأُمور «العقيدة»، وما يخالفها من انحرافاتٍ وبدعٍ.

وقد صار له ـ في هذه الطريق الدعوية ـ عدة مِحَن وابتلاءات، سيأتي بيانُ بعضِها تفصيلاً، وأعظمُها كان هو النواةَ الأصلية لهذا البحث[(٢)].

[ثالثًا: التدريس في «الحجاز»]:

١٠ ـ التدريس في «دار الحديث الخيرية».

حين كان بـ «مكة»؛ أنشأ هذه الدار المباركة، ودرَّس فيها.

وسيأتي مزيدُ بيانٍ وتفصيلٍ حول هذا المهمة، في مبحثٍ مستقلٍ[(٣)].

---

(١) انظر: «الإعلام» (٤/ ١١)، وعنه «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥).

(٢) انظر المبحث الثامن عشر، والتاسع عشر (ص ،).

(٣) انظر المبحث السابع (ص).

١١ ـ التدريس في «المعهد العِلمي السُّعودي»[١] بـ«مكة المكرمة».

تولَّى التدريس في هذا المعهد، في بداية افتتاحه[٢].

١٢ ـ التدريس في «المسجد الحرام».

تولّى التدريس في «المسجد الحرام»، وكان له درسٌ يلقيه في تزكية النفوس، وتطهير القلوب من أدران البدع والخُرافات[٣]، وكانت له في «الحرم» دروسٌ في «العقيدة» و «التجويد»[١].

---

(١) «المعهد العلمي السعودي» أوَّلُ معهدٍ في «المملكة» لِمَا فوق المرحلة الابتدائية، وقد افْتُتِحَ ـ بأمرٍ منَ الملك عبد العزيز ـ عام: (١٣٤٥هـ)، وخُصِّصَت لطلبته مكافآتٌ ماليَّة، ويُعتبر هذا «المعهد» نواةً للمرحلة الثانوية، وذلك لأنَّه خصَّص أولاً لحملة الشهادة الابتدائية، أو ما يوازيها، وكانت مدة الدراسة فيه (٣) سنوات مع سنة إعدادية، ثم زيدت في عام: (١٣٥٢هـ) إلى أربع سنوات، ثم زيدت في عام: (١٣٦٦هـ)، إلى خمس سنوات، يحصل الطالب بعدها على شهادة الثانوية العامة، وقد درَّس فيه ـ ودَرَس ـ عُلماء، وأُدباء كبار، وتخرَّج منه كبار رجالات الدولة.
انظر: «مشاهير علماء نجد» (ص ٥١٥)، وفيه أنَّ تاريخ افتتاحه سنة: (١٣٤٦هـ)، و «جوانب مضيئة لمسيرة التعليم» (ص ١٣٧)، و «عناية الملك عبد العزيز بالقرآن» (ص ٩)، و «موسوعة أسبار» (١/ ٤٨).

(٢) انظر: مقالة «كلمة رثاء»، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩١)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٨).

(٣) انظر: «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة ⇦

وكان له درسٌ بعد صلاة المغرب، ويبدوا أنَّه كان درسٌ مختصٌّ بفترة الحج فقط[٢].

[رابعًا: أعمالُه في «الحجاز»، غير التدريس]:

١٣ ـ الإمامة والخطابة بـ «المسجد الحرام».

في عام (١٣٤٥هـ)، تولَّى الإمامة والخطابة، في «الحرم»، بـ «مكة المكرمة»، وسيأتي مزيدُ بيانٍ وتفصيلٍ حول هذا المهمة، في مبحثٍ مستقلٍ[٣].

١٤ ـ عضوية «هيئة المراقبة والتدريس» في «المسجد الحرام».

في عام (١٣٤٧هـ) عيَّنه الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ عُضوًا مُراقبًا في «هيئة المراقبة والتدريس» في «الحرم».

وقد انفردَ أ. صلاح الزامل بهذه المعلومة، ولم أجدها عن غيره[٤].

=

(١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٦)

(١) «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(٢) انظر: «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩١)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٨).

(٣) انظر المبحث السادس (ص).

(٤) «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ ⇦

١٥ ـ وكالة «هيئة التدريس والمراقبة» في «المسجد الحرام».

في عام (١٣٤٨هـ) عيَّنه الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ وكيلاً لـ «هيئة التدريس والمراقبة» في «الحرم».

وقد انفردَ أ. صلاح الزامل بهذه المعلومة، ولم أجدها عن غيره[١].

١٦ ـ إنشاء «دار الحديث الخيرية»، التدريس فيها.

في عام (١٣٥٢هـ) أنشأ «دار الحديث الخيرية» المباركة، كما تقدَّم.

ولذلك حديثٌ مُفصَّلٌ بالوثائق، في مبحثٍ مُستقلٍ[٢].

١٧ ـ رئاسة «الهيئة» بـ«مكة المكرمة».

تولَّى الشيخ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ رئاسة «هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بـ «مكمة المكرمة، بأمرٍ من الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

وسيأتي لذلك مبحثٌ خاص، عند الكلام على منهجه في الاحتساب[٣].

= العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(١) «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

وقد أوردتُ اسم هذه «الهيئة» بصيغتَين، كما وردَ في المقالِ نفسِه.

(٢) انظر المبحث السابع (ص).

(٣) انظر المبحث الثامن (ص).

١٨ ـ خطابة يوم «عرفة» بالحج.

قام بأداء خطبة الحج ليوم «عرفة»، بأمرٍ من الملك عبد العزيز[١].

١٩ ـ مُراجعة «مُصحف مكة المكرمة».

عمِل مُصحِّحًا مع مجموعة مُصحِّحي «مُصحف مكة المكرمة»، الذي تمَّ طبعه في «مكة المكرمة» عدة مراتٍ[٢].

٢٠ ـ رئاسة «الجمعيات الخيرية».

تولَّى رئاسة إدارات بعض «الجمعيات الخيرية»[٣].

٢١ ـ كتابة «المقالات» الصحفية.

احتسب كتابة «المقالات»، في الصحف والمجلات، للدعوة على الله ﷻ، وبيان «السُّنة»، والرد على «المُبتدِعة»، وسيأتي ـ بعد قليلٍ ـ مزيدُ بيانٍ حول ذلك[٤].

---

(١) انظر: «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩١)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٨).

(٢) انظر: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ٢١)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩١)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٨).

(٣) انظر: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ٢١).

(٤) انظر: «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧)، و «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ٢١).

هذا هي ما وقفتُ عليه من أعمالِه، في فترة وجودِه في «مصرَ»، وقد اقتصرتُ على الوظائف، وما يلحقُ بها، دون أعمالِه الدعوية الحُرَّة، التي تكون خارج النطاق الوظيفي، وهي منثورةٌ في هذا البحث.

[خامسًا: أعمالٌ أُخرى]:

وقفتُ على بعضِ الأعمالِ الأخرى لأبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ، غير الجانب التعليمي والديني، وهي حِرفٌ ومِهنٌ عمِلَ عليها، أذكرها ـ هُنا ـ للفائدة، ولإتمام شوارد الترجمة:

٢٢. نسج الأقمشة البلدية.

٢٢. نسج الأقمشة المُعلَّمة (القباطي).

وقد أرسله والده ـ في طفولتِه ـ إلى مَن يُعلمه هذه الصَّنعة؛ لكي يتكسَّب منها إذا رحَل إلى «الأزهر» لطلب العِلم، حتى لا يتكسَّب ـ عند الحاجة ـ بـ «القرآن» الذي علَّمه إيَّاه، وتقدَّم الكلام على ذلك[1].

٢٢. صنع المناديل النِّسائية.

ظلَّ الشيخُ أبو السمح سنواتٍ مُتنقِّلاً، يقوم بالتدريس والدعوة والإمامة، حتى قيام «الحرب العالمية» الأولى سنة (١٣٣٣هـ ـ ١٩١٤م)، وإغلاق مدرسة رشيد رضا «دار الدعوة»، التي كان مُعلِّمًا وطالبًا فيها[1].

---

(١) انظر المبحث الثاني (ص).

وحين لم يجد ـ بعدها ـ وظيفة في «القاهرة»؛ لم يقف حائرًا، أو رضي على نفسِه أنْ يكون عالةً على أحدٍ أو جمعيةٍ، فقام ـ مع بعض زملائه في مدرسة رشيد ـ بإنشاء مصنعًا لصنع «المناديل النِّسائية»، وهو صاحب خبرة ودُربة على التعامل مع الأقمشة ـ كما سبق ـ، فتعلَّم رسم «المناديل» وأَتْقنها، وبلغ إتقانه فيها إلى أنَّ بعضَ المصانع كانوا يدعونه، ليرسم لهم على ما يصنعونه من «مناديل».

ومكث على هذه الصنعة ـ راضيًا ـ بضعة أشهرٍ؛ ليتكسّب بها، ويغتني ـ وأهلُه ـ بذلك، وأبى أنْ يجلسَ ليتكسَّب بـ «القرآن»، على سهولة ذلك عليه، فيقرأه ـ بأجرةٍ ـ في المناسبات الدينية، كعادة كثيرٍ من «القُرَّاء»، وهذا عينُ نصيحةِ والدِه رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي علَّمه «القرآن» ليعملَ به، لا ليأكل به[٢]!

* * * *

=

(١) انظر المبحث الثاني (ص).

(٢) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٩)، وعنه: «الجواهِر الحِسان» (٢/ ٣٦٢).

ومضتْ نصيحة والدِه في هذا الشأن في المبحث الثاني (ص).

المَبْحَثُ السَّادِسُ

[تَوَلِّيهِ الإِمَامةَ وَالخَطَابَةَ بِـ «المَسْجِدِ الحَرَامِ»]

[اهتمام «سُلطان نجد والحجاز» بشؤون «الحرمين»]:

عند دخول الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ «الحجاز»، وضمِّها لـ «سلطنة نجد وملحقاتها»، أراد أنْ يجلب لـ «الحرمين الشريفين» أئمة، وخطباء، ومرشدين، وموجهين، ذو صفاتٍ عاليةٍ، باختياره، وإشرافه؛ وهذا جزءٌ من اهتمامه بشؤون «الحرمين الشريفين» في وقتٍ مُبكرٍ.

[وصول أبو السَّمح «الحجاز»، واختلاف الرِّوايات في ذلك]:

رأيتُ عدة روايات حول قُدومِه «الحجاز»، والتقائه بالسُّلطان عبد العزيز، ثم اختياره إمامًا وخطيبًا لـ «المسجد الحرام»، وعند نتأمل هذه الرِّوايات، نجد أنَّ غالبها فيه مَزيد علمٍ، مع سوقٍ للقصة من زاويةٍ، غيرِ التي سيقت بها الرواية الأُخرى فيمكن الجمع بينهما دونما تعارضٍ.

الرِّواية الأولى:

يرويها الشيخُ نفسُه في «سيرته الذاتية»؛ فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

(عزمتُ على «الحجِّ» في سنة: (١٣٤٤هـ)، ورافقْتُ أخي في الله: محمود أفندي منصور[1]، ونزلنا بـ «جدة»، في ضيافة جلالة الملك عبد

---

(١) لم أجد ترجمته، ولكن ورد اسمه في مقالٍ لرشيد رضا بعنوان: «الرُّؤى الصَّالحة»، ونعته بـ: الأديب الإسكندراني.

انظر: «مجلة المنار» عدد جُمادى الأولى، سنة: (١٣٥٢هـ)، مجلد (٣٣)، صفحة: (٣٦٥).

العزيز آل سعود، واجتمعتُ بجلالتِه غير مرَّة، ولقينا منه كُلَّ حَفاوةٍ، وإكرامٍ.

وعندما أردتُ الانصرافَ إلى بلادي، عَرضَ الملكُ عليَّ أنْ أبقى، فاعتذرتُ له، ووعدتُه بالعودةِ، وما كدتُ استقرُّ بعدَ وصولي إلى «مصرَ»، حتَّى جاءت رسائلُ الملكِ تطلبُ حُضوري، ثم بَرقيةٌ من جلالتِه.

فتوكلتُ على اللهِ وسافرتُ، وما كدتُ أصِلُ إلى «جدة»، والتقي به في منزل محمد نصيف أفندي[1]؛ حتَّى أخبرني أنَّه قد عيَّنني إمامًا بـ «المسجد الحرام»، وخطيبًا)[2] اهـ

قلتُ: هذه هي رواية الشيخِ نفسِه؛ لذا قدَّمْتُها، عِلمًا أنَّ قدومَه هذا إلى

---

(١) هو وجيه الحجاز من وقته، وحتَّى يومِنا هذا: محمد بن حسين نصيف رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٩١هـ)، العالم السَّلفي الجليل، صاحب دار العِلم، والرئاسة، والضيافة، الباقية حتَّى اليوم، صاحب الفضل والجود على العِلم وطلابه، ومآثره لا توفيها كلمتين هنا، رَحلَ وخَلَّفَ مكتبةً مليئة بالمخطوطات.

انظر ترجمته في: «الأعلام» (٦/ ١٠٧)، وفي الباب: «محمد نصيف حياته وآثاره»؛ لمحمد أحمد سيِّد أحمد وآخر.

(٢) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨١)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٣).

وانظر أيضًا: «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٦)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٣)، وقد انفرد الكتابين بذكر هذا النص، من بين مصادر ترجمته.

«الحجاز»، هو أولُّ قُدومٌ له إلى المنطقة، وبالتالي هي أول «حِجَّةٍ» له[١].

الرواية الثانية:

يرويها صديقُه وصِهرُه العلامة: محمد بن عبدالزراق حمزة؛ فيقول:

(في سنة (١٣٤٤هـ) حضرتُ لـ «الحج»، وتشرَّفتُ بِلقاء جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، برِفقة شيخِنا السيد محمد رشيد رضا، والشيخ عبدالظاهر أبو السمح، والأديب المرحوم: محمود علي منصور الإسكندراني، والشيخ أبي زيد الدمنهوري، وغيرِهم.

ونزلنا بضيافتِه، ووصَلَنَا بِبرِّه ومعروفه، وقد عَرض علينا الشيخُ عبدالعزيز العتيقي مستشارُ الأميرِ فيصل نائب جلالة الملك على «الحجاز»، أنْ نبقى لنخْدُمَ هذه الحكومة الإسلامية، التي نحنُ على مبادِئها الدينية، فيكون لنا عندها مقامٌ محترمٌ، ونخدمُ ما نعتقدُ من الإسلامِ، تحت ظلِّها وحمايتِها؛ أجبنا مسرورين على أنْ نرجِعَ إلى بلادِنا، فنحملُ أهلنا وولدَنا معنا، فرضوا، وكانَ هذا شِبه وعدٍ بذلك.

فرجعنا على مصر، وتأهبنا[٢] للهجرة، واستعددنا لها، وعاونتنا على

---

(١) «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(٢) في: «الجواهر الحِسان»: (وتابعنا للهجرة).

ذلك الحكومة السعودية، على يدي مُعْتمدِها في «مصر»، الشيخ: فوان السابق[١].

فحضرتُ أنا والصِّهرُ أبو السمح، ووصلنا «الحجاز» في الثامن عشر[٢] من ربيع الثاني سنة (١٣٤٥هـ)، وتقابلنا في «جدة» بجلالة الملك ابن السعود ، في دار الشيخ محمد أفندي نصيف، فرتَّب جلالته الشيخ أبو السمح إمامًا وخطيبًا لـ «المسجد الحرام»، وتعينَّتُ مُدرِّسًا بـ «المسجد الحرام»، و «المعهد العلمي السعودي»)[٣] اهـ

---

(١) هو الشيخ: فوزان بن سابق، آل عثمان، الدوسري رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣٧٣هـ)، نشأ في «بريدة» نشأةً عِلمية، وطلب العِلم فيها، ثم في «الرياض»، ثم «الهند»، ثم اشتغل بالتجارة في «الشام» و «مصر»، واتربط بالملك عبد العزيز فناصره، وشاركه في بعضِ حروبه، فقرَّبه إليه، وعيَّنه مُعتمدًا له ـ سفيرًا ـ في «دمشق»، ثم في «مصر»، وكان سندًا لـ «السَّلفيين» فيها، وأُعفي بعد طلبه وإلحاحه، بعد تجاوزه التسعين، فحياته حافلةٌ بالعِلم، والجهاد، والسِّياسة، له: «البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد مختار»، و «فهرس قواعد ابن رجب»، وحين وفاتِه، غسَّله وكفَّنه العلامة: محمد حامد الفقي، بوصيةٍ من المُترجَم نفسِه رَحِمَهُمَا اللَّهُ.

انظر ترجمته في: «الأعلام» (٥/ ١٦٢)، و «تسهيل السابلة» (٣/ ١٨٢٨)، و «علماء نجد» (٥/ ٣٧٨)، و «روضة النَّاظرين» (٣/ ٢٢٠)، و «المبتدأ والخبر» (٥/ ١٨).

(٢) في: «الجواهر الحِسان»: (في الثامن من ربيع الثاني).

(٣) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٦٠٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٥٨).

⇦

الرواية الثالثة:

يرويها الشيخُ: عبد الرحمن آل الشيخ[١]؛ فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ في أثناء ترجمة العلامة: محمد بن عبد الرزاق حمزة:

(في عام (١٣٤٤هـ) قدِم «مكة المكرمة»، في صحبة السيد رشيد رضا، والشيخ عبد الظاهر أبي السَّمح، فرشحهما السيد رشيد رضا لدى جلالة الملك عبد العزيز... رَحِمَهُ اللَّهُ، للإمامة والخطابة في «الحرمين الشريفين»، فاختار الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ الشيخ: عبد الظاهر أبي السَّمح، لإمامة «الحرم المكي»، وخطابته، واختار الشيخ: [محمد بن] عبد الرزاق

=

وانظر أيضًا: «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(١) الشيخ: عبد الرحمن بن عبد اللطيف، آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٠٦هـ)، شيخ فاضلٌ، وأديب، ونسَّابة، لازم كبار علماء عصره، وأخذ عنهم، وتُوفي في حادثٍ مروري، له: «نسب آل سعود»، و «علماء الدعوة»، وتحقيق «عنون المجد» لابن بشر.

انظر ترجمته في: «علماء نجد» (٣/ ٨٣)، و «معجم مصنفات الحنابلة» (٧/ ٢٢٣)، و «علماء الحنابلة» (ص ٤٩٢) [وعزا إلى «روضة النَّاظِرين» (١/ ٢٦٥)، وليس فيه]، و «طبقات النَّسَّابين» (ص ٢٠٥)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ١٩٢)، وترجم لنفسِه في كتابه «مشاهير علماء نجد» (ص ٥٢١).

حمزة، لخطابة «الحرم النبوي»، وإمامته...)[١] اهـ

الرواية الرابعة:

يرويها فضيلة الشيخ إبراهيم السِّيف رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فيقول:

(في عام (١٣٤٥هـ) طلبَه الملك عبد العزيز من الشيخ محمد رشيد رضا، وأبرق للسِّفير بـ «القاهرة» الشيخِ فوزان السَّابق، لتسهيل قدومه، فقدِم إلى «مكة المكرمة» في العام المذكور، وعيَّنه إمامًا، وخطيبًا، ومدرسًا، بـ «المسجد الحرام»، فباشر هذا العمل العظيم)[٢] اهـ

ونُلحظ في هذه الرِّواية الرابعة أنَّ القصَّةَ حدثتْ في عام: (١٣٤٥هـ)، وليس في عام: (١٣٤٤هـ)، كما ذُكِر من قبله.

ورأيتُ في بعض مصادر ترجمتِه التي أعدَّها أحدُ رجِالات «جماعة أنصار السُّنة»، أنَّ مجيئ أبو السمح إلى «الحجاز»، كان بسببِ أنَّ الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ دعاهُ ليكونَ عُضوًا في «مؤتمر مكة»، الذي يُعقد في موسم «الحج»، وكان ذلك سنة (١٣٤٥هـ)[٣].

---

(١) «مشاهير علماء نجد» (ص ٥١٤).

(٢) «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٢).

وانظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٤)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٦)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٣).

(٣) انظر: «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة ⇦

ومن البَدَهِي أنَّ من يُدعَى لحضور هذا المؤتمر، يأتي إلى «مؤتمر مكة» حاجًا، لموافقته الموسم.

قلتُ: قد يظهر عند قراءة هذه الرِّوايات، من أوَّل وهلة، أنّها مُتعارضةٌ، ولكن عند تأمّلها؛ نجدُ أنَّ كلاً قد ساق القصة من وجهٍ دون وجهٍ، وكلٌّ قد أورد في كلامه مَزيد علمٍ، ليس عند الأخر، وبمجموعِها ينضح الخبر بأكملِه.

وحاصل القصة:

أنَّه في أواخر عام: (١٣٤٤هـ)، قدِم السُّلطان عبد العزيز «سلطان نجد والحجاز» إلى «مكَّةَ»، لأداء فريضة «الحج»، وفي الوقت نفسِه كان قدوم العلامة رشيد رضا إلى «الحج»، وممن كان في صحبته، العالمين الجليلين: عبد الظاهر أبو السَّمح، ومحمد بن عبد الزاق حمزة[1]، ولعلَّ الأديب الإسكندراني: محمود أفندي منصور، كان معهم في الرحلة نفسِها، أو سبقهم، أو تأخر عنهم، ولكنَّه ـ قطعًا ـ التقى بهم في «الحجاز».

ولأنَّ العلامة رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ ـ أدرى الناس بتلميذيه (حمزة وأبو السَّمح)؛ فقد سهَّل التقائهما بالسُّلطان عبد العزيز، ورشَّحَهما لهذه المهمة

= (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٦).

(١) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٣/ ١١٩٣).

العظيمة، وما أنْ غادرت هذه المجموعة المباركة «الحجازَ» إلى «مِصر»، بعد انتهاء مناسكهم، حتَّى أرسل السُّلطان عبد العزيز إليهما يطلبهما الحضور؛ فاعتنى بهما.

قال الأستاذ: عمر ابن عبد الجبار رَحِمَهُ اللَّهُ عن المُترجَم:

(طلبه جلالة المَلِك الرَّاحل، فقدِم إلى «مكَّةَ»، فشملَه جلالة الملك عبد العزيز برعايتِه، وعطفِه، وعيَّنه إمامًا، وخطيبًا، ومُدرِّسًا، بـ «المسجد الحرام»)[١] اهـ

أمَّا اختلاف التاريخين (١٣٤٤هـ، ١٣٤٥هـ)؛ فالأصل ـ كما تقدَّم ـ رواية المترجم نفسِه وصديقه وصِهره، وهي (١٣٤٤هـ)، ومعهما الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ، وهي مُقدَّمة على رواية السّيف، والتي وافق فيها الزركلي[٢]، وعلي جواد[٣].

وللتوفيق بين التاريخين؛ أقول:

---

(١) «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧).

وانظر: «الأعلام» (٤/ ١١)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥)، و «أعلام المكيين» (١/ ٢٠٣)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤).

(٢) «الأعلام» (٤/ ١١).

(٣) «معجم المطبوعات» (٢/ ٧٧٤).

إنَّ عام (١٣٤٤هـ)، هو العام الذي التقى فيه الملك عبد العزيز برشيد رضا، وبرفقته هذين الشيخين، واتفق معهما على المهمة، حسب سياق رواية المُترجَم وصهره وآل الشيخ وغيرِهما، وأنَّ عام (١٣٤٥هـ) هو عام قدومهما إلى «الحجاز»، أي أنَّهما بعد أنَّ أدَّيا فريضة «الحج» عام (١٣٤٤هـ)، عاد إلى بلدهما «مصر»، ثم قدِما إلى «الحجاز» بصفةٍ رسمية، بأهليهما، وأولادها، واستلما مهامَّهُما، في العام الذي يليه، والله أعلم.

وهذا ما اجتهادٌ مني للتوفيق بين القولين، يؤيده رواية أبو السمح وصِهره، وقول الشيخ يوسف الصُّبْحي في ترجمته للشيخ: محمد بن عبد الرزاق حمزة:

(ثم قَدِمَ «مكة» للحج سنة (١٣٤٤هـ)، وسنة (١٣٤٥هـ)...)[1] اهـ

واختلافُ الرِّوايات في هذا قديمٌ؛ بقرينة قول آل الشيخ في الحاشية عند التاريخ الذي اختاره وهو (١٣٤٤هـ):

(هذه هي رواية الشيخ أحمد علي).

فيكون هناك رواية أخرى، وهي (١٣٤٥هـ).

علمًا بأنَّ هذين التاريخين، هما محل وفاق، ولم يخرج عنهما أحدٌ؛ سوى علي جواد في موضعٍ آخر، حيث قال:

---

(١) «وسام الكرم» (ص ٣٧٠).

(وبناء على الرغبة «المَلَكية» انتقل الشيخان، بأهلهما، وأولادهما، إلى «مكة المكرمة» (١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م))[1] اهـ

قلتُ: لم أرَ هذا التاريخ عند غيره، وهو مخالفٌ لما سبق عنه في موضعٍ آخر.

[تسهيل مُهمة أبو السمح للقدوم إلى «الحجاز»]:

تقديرًا لهذين الشيخين الجليلين (أبو السَّمح وحمزة)، واستعجالا لمجيئهما؛ كلَّفَ الملك عبد العزيز «سُلطان نجد والحجاز» حينها، رجلاً ـ عن ألفِ رجلٍ ـ ليقوم بمتابعة أمرهما، والاهتمام بهما، وتسهيل مهمتهما، حتى يَقدُما إلى «الحجاز»، وهو مندوبُه في «مصر»، السَّفير، الشيخ: فوزان السابق رَحِمَهُ اللَّهُ؛ وهذا يدل على حرص الملك واستعجاله، لما لمس فيهما من عِلمٍ، وسَمْتٍ، وعقيدة، وسُنَّة.

[عدم عِلمه بالوظيفة المُرشَّح عليها]:

العجيب أنّ الشيخَ عبدَ الظاهرِ نفسَه ـ حين استدعاه الملك ـ لم يكنْ يعلم بأنَّه اختُير واستُدعي ليكون إمامًا وخطيبًا لـ «الحرم»، زيادة على التدريس، والتوجيه، والإرشاد، فكأنَّه لم يرَ أهليته لهذه المُهمة، وهذا ـ لا شك ـ من تواضعه.

---

(١) «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٣/ ١١٩٣).

وقد كَتبَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن ذلك فقال:

(انتدبني «ملك الحجاز ونجد»، الإمام: عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، نصره الله، وكان غالب ظنِّي أنَّه انتدبني للتعليم والتدريس، وما وطئتْ قدَماي أرض «الحجاز»، ولقيتُ هذا المَلِك الهمام؛ حتَّى جعلني إمامًا وخطيبًا في «المسجد الحرام»، فالحمد لله...)[١] اهـ

[تولِّيه الإمامة والخطابة بـ «المسجد الحرام»، وما وقع له فيه]:

لِمَا في هذا العلامة الفاضل من سمتٍ، وتواضعٍ، وأسلوبٍ عجيبٍ في مخاطبة العامة، وحرصُه على توجيههم وإرشادهم، ومحبته لـ «العقيدة السَّلفية»، ونصرتها؛ فقد تفرَّس فيه السُّلطان عبد العزيز خيرًا، فولَّاه الإمامة والخطابة بـ «المسجد الحرام»، سنة: (١٣٤٥هـ) إلى سنة وفاته (١٣٧٠هـ).

[أبو السمح ثالث أئمة «الحرم»]:

مما وقع للمُترجَم، أنَّه كان ثالث أئمة «الحرم»، المُكلَّفين في «العهد السعودي» الحديث، والاثنان قبله هما:

١ ـ الشيخ: عبد الله بن حسن آل الشيخ[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) «الرسالة المكية» (ص ٤ ـ ٥).

(٢) مضت ترجمته في المبحث الثاني (ص).

٢ ـ الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ[١] رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد عُيِّن الثاني ـ في أول الأمر ـ نائبًا عن أبيه.

[أبو السمح أول ثلاثة مصريين أزهريِّين تولّوا إمامة «الحرم»]:

مما وقع للمُترجَم رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه كان **أوَّلَ** ثلاثة «مصريين»، من خريجي «الأزهر»، تولّوا إمامة وخطابة «المسجد الحرام»، في بدايات «العهد السعودي»:

والثاني هو تلميذه، العلامة: محمد بن عبد الرزاق حمزة.

والأصل ـ كما مضى في ترجمته ـ أنَّ الملك عبد العزيز ولَّاه إمامة وخطابة «المسجد النبوي»، ولكنَّه كلَّفه ـ بعد ذلك ـ بالقدوم إلى «مكة المكرمة»، وكان ذلك سنة: (١٣٤٨هـ)[٢]؛ فكان معاونًا لشيخه أبو السَّمح، في ثلاثة مهام:

---

(١) ابن السابق رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٠٤هـ)، تتلمذ على: والده، والعلامة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، وواصل تعليمه في «الأزهر»، وتولَّى عدة مناصب منها؛ وزير «المعارف»، وعضو «رئاسة القضاء»، ورئيس «الهيئات»، وإمام وخطيب بـ «المسجد الحرام»، و «مسجد نمرة».

انظر ترجمته في: «علماء نجد» (٣/ ٤٣٣)، و «روضة الناظرين» (٣/ ١٢٣)، و «علماء الحنابلة» (ص ٤٩١)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٤٧٦)، و «تتمة الأعلام» (١/ ٣٠١).

(٢) انظر زيادة على مصادر ترجمته: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» ⇦

ـ إمامة وخطابة «المسجد الحرام».

ـ تأسيس «دار الحديث الخيرية»، كما سيأتي.

ـ التدريس في «الحرم»، و «دار الحديث»[١].

والثالث شقيقه، الشيخ: عبد المُهيْمِن أبو السمح[٢].

ويبدوا أنَّ استقدامه جاء مُتأخِّرًا، ربما لِصِغر سنه عن أخيه عبد الظاهر، وقد تولى إمامة وخطابة «المسجد الحرام» في الفترة (١٣٦٩ ـ ١٣٨٨هـ).

[قوة صوته في صلاتِه بالناس، وتأثير خُطبِه]:

كانَ رَحِمَهُ اللَّهُ ذو صوتٍ جهوري، يُسْمعُ من مسافاتٍ ليستْ بالقريبة، وكان لخطبه تأثيرٌ ويُحدِّثُنا عن ذلك أحد أبرزِ تلاميذه، وهو الشيخ عبدالله خيَّاط، فيقولُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(لقد أُعطِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ موهبةً، لا في الخطابة والإلقاء البارع المُؤثِّر، ولا في تِلاوةِ «القرآن»، بل لصوتِه الجهوري، الذي كان يَبلُغ بِنايةِ «وزارة المالية»،

= (٣/ ١١٩٣).

(١) انظر مصادر ترجمته السابقة.

(٢) مضت ترجمته في المبحث الأول (ص).

في «مكَّة» بـ «أجياد»، بل إلى أبعد من ذلك، دُون أنْ يَكونَ ثمَّة مُكبِّرات للصوتِ، إنْ هي إلَّا مِنحةٌ منَ الله، وفضْلٌ وهَبه إياهُ)[١] اهـ

وقال الشيخ المؤرخ: إبراهيم بن عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ ت (١٤٢٥هـ):

(كان لخُطبتِه وقِراءتِه وَقْعٌ عظيمٌ في النفوس)[٢] اهـ

قلتُ: ورَوى بعضُ تلاميذه ومُعاصِروه، أنَّه كانَ ذا صوتٍ مُتميِّزٍ، ويَبْكي حين إلقاء خُطبِه، وفي أثناءِ صلاتِه بالنَّاسِ، وأنَّ النَّاسَ كانوا يتزاحمون وراءَه أثناء الصَّلاةِ، لسماعِ صوتِه[٣].

[أبو السمح أوَّل من استعمل «مُكبِّرات الصوت»]:

مما يتناقله الرُّواة أنَّه أوَّلُ من استعملَ «مُكبِّرات الصوت» = «المكرفونات»، في الصلاة والخُطبة في «المسجد الحرام»، وكان قد اقترح على «الحكومة» وضع هذه الأجهزة على «الحرم»، ولم تكن فيه من قبل.

وفي حج عام (١٣٦٦هـ) وتحديدًا في اليوم العاشر، كانوا قد انتهوا من تركيب «مُكبِّرات الصوت»، ولكنَّ عبدَ الظاهر كان مُتواجِدًا في مشعر

---

(١) «لمحات من الماضي» (ص ٣١٦).

(٢) «تذكرة أُولي النُّهى والعرفان» (٤/ ٣٠٦).

(٣) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٦)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٣).

وسيأتي ـ بعدَ قليلٍ ـ شيءٌ من هذا بقلم أحد معاصريه.

«منى»، ومشغولٌ بأعمال «المناسك»، ووافقَ يومُ عيدِ الأضحى ـ تلك السَّنة ـ يومَ الجُمعة؛ ولم يستطع الحضور إلى «الحرم» للقيام بخطبة الجمعة، وأداء صلاتِها؛ فانتدب ابنَه عبد الرحمن، ليُذكِّر خالَه الشيخ: محمد بن عبد الرزَّاق حمزة[1]، لينوب عن والدِه، فلم يجدِ الابنُ خالَه؛ فخشي ـ عبد الرحمن من حدوث ما يُسيء إلى سمعة والده، لتخلّفه عن واجبه، مع أنَّه معذورٌ! فكان شُجاعًا وجريئًا، فصعد المنبر، وخطب بالناس، ثم صلَّى بهم عن أبيه.

فكان عبدُ الرحمن ـ وفق هذه القصة ـ أوَّلَ من استعمل «مُكبِّرات الصوت».

علمًا بأنَّ من تعرَّضوا لأوَّلية مُكبِّرات الصوت، أفادوا أنَّ عبدَ الظاهر هو أوَّل من استعملها، ولعلَّ حقيقةَ الأمر، حسب التفصيل الذي ذكرتُه، والله أعلم[2].

والحاصلُ أنَّ هذه «الأوَّلية» لم تخرج عن بيتِه.

---

(١) سبق في المبحث الأول (ص) أنَّ المُترجَم مُتزوِّجٌ من الشريفة حبيبة، شقيقةِ العلامة: محمد بن عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُمُاللهُ.

(٢) انظر: «أئمة المسجد الحرام» (ص ٣٧٥) نقلاً عن أ. د. حاتم بن عبد الرحمن بن عبد الله أبو السمَّح، و «الأوائل لمكة في العهد السعودي» للحسني (ص).

والغريب أنَّ بعضَ الناس (كعادتِهم في رفض الجديد)؛ ساءَهم وجود هذه «التقنية» في «الحرم»، وأنَّها على خلاف المعهود، ولا تليق بهيبة هذا المكان «المُقدس»[١].

[انفرادُه بالإمامة والخَطابة]:

من غريب ما وقع للمُترجَم، أنَّه مرَّ عليه وقتٌ كان فيه إمامًا وخطيبًا في «المسجد الحرام»، ولم يكن فيه إمامٌ وخطيبٌ غيره، فتحمَّل ذلك بمُفرده، وقد حكى ذلك في «سيرته الذاتية» فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(عيَّنني [أي الملك عبدالعزيز] إمامًا بـ «المسجد الحرام»، وخطيبًا، وكانَ به أئمةٌ كثيرون، فلم يَزلْ يُقلِّل منهم، حتى ألغاهم جميعًا، ونُصِّبتُ وحدي مع آخر ـ لم يكن منهم ـ للظهر فقط، ثم نقلَه رئيس القُضاةِ[٢] إلى «المدينة» قاضيًا، وأقام مقامه ولده عبدالعزيز)[٣] اهـ

قلتُ: وقد أفاد هذا ـ أيضًا ـ العلامةُ الفقيه علي الهندي رَحِمَهُ اللَّهُ، في ترجمتِه الذاتية، التي كتبها بخطِّه[٤].

---

(١) انظر: «أئمة المسجد الحرام» (ص ٣٧٥).

(٢) العلامة عبدالله بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو من شيوخ أبو السمح، ومضت ترجمته في المبحث الثاني (ص).

(٣) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨١)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٣).

(٤) تقع في ورقاتٍ، وسبق الحديث عنها (ص).

[واقعةٌ عجيبةٌ تدلُّ على فقهه]:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ يخطب في «المسجد الحرام» ارتجالاً، وهو عالمٌ، وأهلٌ لذلك، ولكن لكون «الحرم» ذو صبغةٍ عالميةٍ، وارتجال الخُطبة، قد يكون فيه ما يُؤخذ، مما قد يتراجع عنه الخطيب نفسُه لاحقًا، فقد أمر السُّلطانُ عبدُ العزيزِ الشيخَ عبدَ الظاهرِ ألَّا يرتجل الخُطبة، بل يخطب من ورقةٍ، ومن كلامٍ مُعدٍّ مُسبقًا، وطلب منه أنْ يلتزم «خطب» الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولم يكن ذلك من هذا السُّلطان الذَّكي رَحِمَهُ اللَّهُ شكًّا في قدرات هذا العِالِمِ الجليل، فقد كان الشيخُ محلُّ عنايةٍ ورعايةٍ وتقديرٍ من السُّلطان = ولكن سياسة هذا السُّلطان كانت تنظر إلى ما هو أبعدُ من ذلك.

يقول المُترجَم رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا الأمر:

(كنتُ أخطبُ ارتجالاً، حسبَ الأحوالِ والظروفِ، ومضيتُ على ذلك قريبًا من عامٍ، ثم جاءَ الأمرُ من المَلِك بالتزامِ «ديوانِ» شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب؛ فالتزمتُه، طاعةً لولي الأمر)[1] اهـ

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨١)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٤).

وانظر أيضًا: «وسام الكرم» (ص ٢٥٢)، وقد انفرد بنقلِ هذا النص، ولم يذكره ـ على أهميته ـ مترجموه.

قلتُ: وقولُه: (فالتزمتُه طاعة لولي الأمر)؛ يدلُّ سعة فِقه، فهو مع كونه عالمًا، صحيحَ المعتقدِ، ويستطيع ـ بنفسِه ـ إعداد الخُطبة السَّليمة، المُناسبة للزمان والمكان، ومع قناعتِه بأفضلية ارتجال الخُطبة، وكون ذلك أشدُّ وقعًا على الناس، وأنْ يكون موضوعُها حسبَ ما يكون من وقائع الناس = إلا أنَّه رأى طاعة ولي الأمر في مثل هذا، وامتثل له، ديانةً، وفِقهًا، وحِكمةً، ومُراعاةً لـ «السِّياسة الشرعية»، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وربما لو كان غيره، لتبّرم من ذلك، وتشَّكى، وعصى، وشغَّب، ولو لم يكن علَّامةً على درجة المُترجَم، ولربما حمله ذلك على الطعن على ولاة الأمر، وإساءة الظن فيهم.

[مُدةُ بقائِه في إمامة وخطابة «المسجد الحرام»]:

ظلَّ الشيخُ إمامًا وخطيبًا في «المسجد الحرام»، منذ تعيينه إلى وفاتِه، وكانت المدة خمسة وعشرين سنة (١٣٤٥ ـ ١٣٧٠هـ)، كان خلالَها محلَّ احترامٍ وتقديرٍ من ولاة الأمر، والعُلماء، والوجهاء، وعامة الناس[1].

[قراءتُه، وأثرُه في الناس]:

---

(١) انظر: «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٦)، و «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

كان رَحِمَهُ اللَّهُ ذوتٍ مُميز، وخاشع، يَبكي، ويُبكي، وصاحب تلاوة، ويتزاحم الناس حوله... هذا ما رواه من عاصره، وصلى خلفه، ورأى حالَه.

يقول الأستاذ: عمر ابن عبد الجبار رَحِمَهُ اللَّهُ:

(صليتُ خلفَه، فكان في خُطَبِه وصلاتِه يَبكي، ويُبكي مَن خلفه، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحافظ على تلاوة «القُرآن»، في حصوة «باب الصفا»، بصوته الرَّخيم، وقراءتِه المُرتَّلة.

وكان الحُجَّاجُ يتزاحمون على الصَّفِ الأول؛ ليسمعوا صوت الشيخ، قبل أنْ يكون في «المسجد» مُكبِّراتٌ للصوتِ.

وقد فقدَ «المسجد» بوفاتِه، إمامَه الورِع، وخطيبَه المُؤثِّر، وداعيتَه إلى الله، فرحمه اللهُ، وأسكنَه فسيح جناته)[1] اهـ

وقال الشيخ إبراهيم السِّيف رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨).

قلتُ: يشتبه عليَّ أنَّ هذا الكلام بنصِّه للعلامة د. تقي الدين الهلالي، وهو جزءٌ من كلامٍ طويلٍ له، وسيأتي تتمة لهذا الكلام في المبحث الرابع عشر ـ (ص)، ولكن ربما سقط من كتاب عبد الجبار (قال الهلالي).

وانظر ما علَّقتُه عند تحقيق نسبة هذا القول، في المبحث المذكور.

(كان رَحِمَهُ اللَّهُ ذا صوتٍ مُتميِّزٍ، ويَبكي حين إلقاء خُطبتِه، وفي أثناء صلاتِه بالنَّاسِ، وكان الناسُ يتزاحمون وراءه، لسماعِ صوتِه.

رَوى ذلك بعضُ تلامذتِه ومُعاصِريه)[1] اهـ

وقال ـ أيضًا ـ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(يُقال عن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه... صاحبُ صوتٍ رخيم، كثيرًا ما أطربَ الناسَ، وجذبَهم، حينما يقرأُ «كتاب الله»، ترتيلاً، وتجويدًا، وتفسيرًا.

كان إمامًا وَرِعًا، وخطيبًا بارعًا، حتَّى قالَ عنه أحدُ العُلماء: إنَّه يَقرأُ «القرآن» كما أُنزل)[2] اهـ

ويقول الشيخ فتحي أمين عثمان:

(كانَ اللهُ قد جَعلَ من الشيخِ وِعاءً كريمًا من أوعية «القرآن»، وأعطاهُ مزمارًا من «مزامير آل داود»، فقد طلبَ إليه جلالةُ الملكِ عبدالعزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ أنْ يكونَ إمامًا وخطيبًا لـ «الحرمِ المكي»، لما أعجبه من رخامة صوتِه، وعذوبة تلاوتِه لـ «القرآن».

---

(١) «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٢).

(٢) «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧).

وانظر أيضًا في هذا الموضوع: «تاريخ أُمة» (٣/ ١١٧٥)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٦، و ١٩١)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٣).

وقد أشجى الشيخُ أبو السمحِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وأَبْكَى المُصلِّين خلفَه، من الوافدين إلى «بيتِ الله» من كُلِّ فجٍّ عميقٍ، خصوصًا في صلاة «الفجر»، رُبعَ قرنٍ منَ السِّنين)[1] اهـ

* * * *

(١) «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٦).

المَبْحَثُ السَّابِعُ

[إِنْشَاؤُهُ «دَارَ الحَدِيثِ الخَيْرِيَّةِ»، وَتَدْرِيسُهُ فِيهَا]

[أهمية «الحديث»، ودَور «مدرسة أهل الحديث»]:

أشهر المدارس العلمية، وتحديدًا الفقهية، مدرستَي «أهل الحديث» ومدرسة «أهل الرأي»، أو «المدرسة الحجازية» و «المدرسة الكوفية»، ولكل مدرسة خصائصها وفوائدها، وفي كُلٍّ خير، ولا غنى للأمة عن «الحديث» و «الفقه» مجتمعين، وهما أمران متلازمان.

ولكن حين يغلوا أتباع «المدرسة الحديثية»؛ يخرج لنا فقهٌ ظاهريٌّ جامدٌ، لا يَقبل قولاً آخر خلافًا لظاهر «النص»، ولو مِن عُلماء مُعتبرين استندوا إلى نصوصٍ أخرى، حتى ولو كان «النص» محتملاً للتأويل، أو العمل على خلافِه، بموجب نصوص أُخرى.

وكذلك حين يغلوا أتباع «المدرسة الفقهية»، يخرج لنا تقديس «الرأي»، و «التقليد» المذموم، الذي يجعل قول «المذهب» فوق «النص».

وعلى أهمية «المدرسة الفقهية»، إلّا أنَّها لا شيء دون «المدرسة الحديثية»، فـ «عِلمُ الحديث» بفروعِه، من خصائص هذه الأمة، وإرجاع كلام الفُقهاء إلى «الدليل»، أصلٌ علمي، يجب ألا يُحاد عنه.

[اجتهاد أبو السمح، وفكرة إنشاء «دار الحديث»]:

عند قدوم العلامة عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ إلى «الحجاز»، وَجد أنَّ حلقات العِلم في «الحرم» معمورةٌ في مختلف العلوم، ولكن ليس فيه حلقاتٍ لـ «الكتاب» و «السُّنة»، بالطريقة المعروفة لدى «أهل الحديث».

فـرأى ـ حينهـا ـ أنْ يُنشـئ فيـه مدرسـةً علميـة، تُـدرِّس «الكتـاب» و «السُّنة»، و «أصـولهما»، و «أدلـة الأحكـام»، عـلى منـهج «أهـل الحـديث»، ولاسيما أنَّ «الحجازَ» هي منطقة «أهل الحديث» الأوائل؛ كـ: عبـد الله بـن عمر، وعبد الله بن عباس ﷺ، ومالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ.

كان هَمُّ الشـيخِ رَحِمَهُ اللَّهُ إيجـادَ طلبـة عِلـم، ذو تأصـيلٍ شرعـي عـالٍ، لهـم قـدرةٌ عـلى الـدعوة إلى الله، وِفـق «الكتـاب» و «السُّـنة»، ومُحاربـة البِـدع، والخُرافات، والمبادئ الهدَّامة، والأفكار المُستوردة.

فـاجتمع في سـاحة «الحـرم» مـع بعـض العُلـماء، لبحـثِ هـذه الفِكـرة، ومناقشتِها؛ فرأوا أهميتِها، وجديتها... لكـن الـدَّعم المـالي كـان يَقـفُ دون تحقيقِ هذه الرغبة[1].

[دور العالِمِ في التَّفكُّر فيما يحتاج إليه الناس]:

نستلهم مما سبق أنَّ العـالِمِ (ومثلَه طالـب العِلـم والداعيـة)، يجـب ألا يقتصر دوره فيما يُوكل إليه من مهام، بل يجب أنْ يتعدَّى دوره إلى التَّفكّـر، فيما يحتاج إليه الناس، وما ينقصهم، ومـا يعينهم عـلى فهـم الـدِّين، وعليـه

(١) انظر: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ١٧)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٢)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٧)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٤).

تلمُّس الحلول بنفسِه، والتواصل مع غيره، ومشاورتهم، وهذه من أبرز صفات من حملَ همَّ الدِّين.

[دور مُحدِّثي «الهند» في إنشاء «دار الحديث»]:

صادفت هذه الرغبة قُدوم حجاج «الهند» سنة (١٣٥١هـ)، والتقى الشيخ أبو السمح في ذي القعدة ـ من السُّنة المذكورة ـ بجماعةٍ منهم من «أهل الحديث»؛ فطلبوا منه الفكرةَ نفسَها، وقدَّموا له الدعم المعنوي والتشجيع، وتبرعوا له بـ «المال».

يقول الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذه المرحلة الأولية إنشاء «دار الحديث»:

(في ذي القعدة سنة (١٣٥١هـ) طَلب مني كثير من إخواننا «أهل الحديث» من حجاج «الهند»، أنْ أنشئ مدرسةً لدراسة «السُّنة» و «علوم القرآن»، وكنتُ أنا ـ في الحقيقةِ ـ عازمًا على ذلك، وما كان يُؤخِّرُني إلا ما تحتاجه المدرسة إلى نفقاتٍ كثيرةٍ.

فتبرَّع بعضُهم بمبالغَ من «الرُّبِّيَّاتِ»[1]، وشجعوني ووعدوني بالمساعدة، والاشتراك فيها، ففتحتها مُتوكِّلاً على اللهِ سنة (١٣٥٢هـ)، وما

(١) واحد «الرُّبِّيَّة»، وهي العُمْلة النقدية الرسمية لـ «الهند».

زالت تتوالى التَّبرُّعات من أهل الخيرِ، لدى أمين الصندوق، التاجر الشهير، الشيخ: عبدالله الدهلوي بـ «بمكة المكرمة»...)[١] اهـ

قلتُ: ذكر الشيخ هذا في «سيرته الذاتية»، وانفرد به، ولم يذكر هذا كل من ترجم له، ولم أجد ـ أيضًا ـ دور «محدثي الهند» في هذا المدرسة عند كل تكلَّم على تاريخ المدرسة، وهذا من فوائد «السير الذاتية»!

[حِكمة الملك عبد العزيز تسبق إنشاء «دار الحديث»]:

عند عزم الشيخ أبو السمح القيام بإنشاء هذه المدرسة، رأى أنَّ الحكمة تقتضي الكتابة لولي الأمر، وتكفلَّ لعلماء «مكة» ـ الذين تباحثوا معه في إنشاء هذه «الدار» ـ بالكتابة عن هذا الفكرة إلى الملك عبد العزيز، لأخذ الموافقة منه[٢].

وعلى أهمية «المدرسة الحديثة»، وهذا ما لم يكن يشك فيه الملك عبد العزيز؛ إلا أنَّه لم يغبْ عن ذِهنه، أنَّ هذه المدرسة قد تُبْتَلى بـ «ظاهريِّين» غُلاة، يحاربون «المذاهب الأربعة» الفقهية السُّنية، التي أجمعتِ الأمة على قبولها، ويثيرون ـ بأقوالٍ شاذة ـ فتنةً بين عامة المسلمين، ويشككونهم في

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨١)، وعنه: «الجواهِر الحِسان» (٢/ ٣٦٤).

(٢) انظر: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ١٧)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٢)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٧)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٤).

كتب الفقه، ويرفضون «المذاهب الأربعة» = فقد كان هذا الرأي محل تأمل من الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

لم تكن الفكرة محل قبولٍ مباشرٍ منه، قبل أنْ يُفكر فيها، وينظر لأثرها؛ فرأى رَحِمَهُ اللَّهُ أنْ يستوضح من صاحب الفِكرة عن هذه «المدرسة»، وطريقتها، والهدف منها، فهو مُحبٌّ للعِلم، داعِمٌ لأهله، ويُريد الخيرَ للناس، ولكنَّه لا يرغب في أمرٍ حسن، قد يؤل إلى أمرٍ له آثار غير حميدة.

فكتب للشيخ عبد الظاهر كتابًا، يُظهر فيه إجلاله لـ «الحديث»، وأهله، واحترامه لـ «الفقه» وأهله، وفي الكتاب مِن الحِكمة و «السياسة الشرعية» في الحُكم الشيء الكثير.

يقول الملك رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابٍ أرسله للشيخ عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ:

(بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الشيخ: عبد الظاهر أبو السمح، سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد؛ فقد وصلَ إلينا كتابُكم الذي بشأن المدرسة، وأُحطنا علمًا بما ذَكرتم به، ومن قِبَل المدرسة وفتحِها، فهذا أبركُ ما يصيرُ.

ولكن بارك الله فيك تعرف حالة الناس اليوم، وتَخَالُفَهم، وتعاطيهم أمورًا ليست في «الشَّرع»، إنَّما هي بعضُها عن تعنُّتٍ، وبعضُها عن جهلٍ.

والمقصد من ذلك؛ تعرفون أئمة الإسلام، وأنَّهم «الأئمة الأربعة»، وأنَّ لهم ـ مما بيَّنوه من الأمور الفقهية التي من «الكتاب» و «السُّنة»، و «مذهب السَّلف الصالح» ـ اليد الطُّولى بذلك، ولا يَعترِض عليهم، إلا كُلُّ إنسانٍ ما له معرفةٌ بالدِّين الحقيقي.

ولا شكَّ أنَّ المرجعَ «كتاب الله»، و «سُنة رسولِه ﷺ»، وكلُّ أمرٍ يخرجُ [عنهما] باطلٌ، فإذا وُجد الدليلُ من «كتاب الله»، و «سُنة رسولِه ﷺ»، وما عليه «السَّلف الصَّالح»؛ فهو البرهان والدليل، فإذا ما وُجِدَ، المرجِعُ من «المذاهب الأربعة»، أولى من الجهل به، أو الاجتهاد الذي ما تحمد عُقباه، لأنَّه ثابتٌ عند الأمة، ولا يَشكُّ في ذلك إلا ناقص العقل.

إنَّ «الأئمة الأربعة» ما خالفوا «الكتاب» و «السُّنَّة»، ولا بيَّنوا ما يخالفها، إلا اللهم أنْ يكونَ أحدُهم، يُشكِّكُ في حديث المنقولٍ عن صاحبِه، ولعدم صحَّتِه، ويختار غيره، أو أحدٌ ما يطلع على «الحديث».

ومعلومك قول الرسولِ ﷺ، أنَّ كل قولٍ رُوي عنه، يُوافق ما كان عليه، وما أُرسل به؛ فهو أحقُّ به، وكُلُّ قولٍ مُخالفٍ لذلك أنَّه باطلٌ.

والأئمة اجتهدوا فيما يلزم عليهم، جزاهم اللهُ عن الإسلامِ والمسلمين خيرًا.

فإذا كان المدرسة التي تريدون فتحها، أنَّه يُعلَّم فيها «الحديث» و «الفقه»، وبالأخصِّ «فقه الإمام أحمد»، وعدم الإعابة على أحدٍ من

الأئمة؛ فهذا نحنُ ممنونه منه، ونُوافق عليه. فإنْ كان تخشى أنْ يصيرَ[١] اعتراضٌ، أو كلامٌ يشوش الأُمة كُلَّها، فهذا لا فائدة فيه.

فأنت يجبُ عليك تتراجع مع الشيخ: عبد الله بن حسن[٢] في ذلك، وتنظرون في الأصلح، وتُقرِّرون قرارًا اعتمد عليه، فبهذا نفتح المدرسة، ونحنُ نُساعد في كُلِّ شيءٍ.

نسألُ اللهَ أنْ يوفقَ الجميعَ، لما فيه الخير والسداد، في الأقوال، والأفعال.

هذا ما يلزم بيانه، والله يحفظكم، والسَّلام.

١ صفر ١٣٥٢هـ «ختم الملك عبد العزيز»)[٣] اهـ

---

(١) بمعنى: (يحدُث)، لذا رُفع ما بعدها.

(٢) رئيس قضاة «الحجاز» حينها، وتقدَّمت ترجمته في المبحث الأول (ص).

(٣) «خطاب ملكي» برقم (٦٢)، وتاريخ: (١/ ٢/ ١٣٥٢هـ)، وقد نُشر في صحيفة «البلاد»؛ عدد: (٧٤١٤)؛ بتاريخ: (٥/ ١١/ ١٤٠٣هـ)، وصورته ملحقة بآخر الكتاب.

وانظر: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ١٨)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٣)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٧)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٤)، وعندهم ـ سوى الأول ـ أنَّ تاريخ «الخطاب الملكي» هو: (٤/ ٢)، وهذا يتعارض مع ما سيأتي؛ فلعلَّه سهوٌ.

⇦

استلم الشيخ هذا الخطاب الملكي، فاجتمع فورًا مع سماحة الشيخ: عبد الله بن حسن رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان وقتها «رئيس القضاة» في «الحجاز»، بالإضافة لكون إمامًا وخطيبًا بـ «المسجد الحرام»، وتباحثَا حول هذا «المدرسة» المباركة، ووضعا «نظامًا» لها[1].

ثم قام الشيخ عبد الظاهر بعرض مشروع المدرسة بنظامها، على الملك عبد العزيز، فوافق عليها، ورد عليه بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

(بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الشيخ: عبد الظاهر أبو السَّمح، سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

= وكتبتُ هذا الخطاب باطلاعي على صورتِه، رغم رداءة التصوير، وقد وجدتُ نصَّه في بعضِ المصادر، ولكن مع الأسف بتعديلٍ، وإضافةٍ، وحذفٍ، حملهم على ذلك رداءة التصوير، وعد اتضاح بعضِ كلماته، زيادة على كونه كُتِب بعفويَّة دون تكلُّف، وهذا لا يعيبه، بل هي صفةُ مدحٍ، تُعبِّر لنا عن بساطة جلال الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، وعفويَّته فيما يمليه، ويأمر بكتابته، فليس لهم الحقُّ في التَّعدي على ما أملى به.

(١) انظر: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ١٩)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٢)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٩)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٦).

وبعد؛ فقد وصل إلينا كتابكم المؤرخ في (٢ [صفر ١٣٥٢هـ)، وأُحطنا] علمًا بما ذكرتم به، وقد اطلعنا على «النظام» وضعتموه لـ «مدرسة [دار الحديث»، ونحنُ نُوافق] على ذلك «النظام».

هذا ما لزم بيانه، والسلام.

حُرِّر في: (٣ صفر ١٣٥٢هـ))[1] اهـ

قلتُ: ما إنْ وصلتْ للشيخِ عبد الظاهر «الموافقةُ الملكية»، حتى بدأ بتنفيذ المدرسة على بركة الله، فجلس مع سماحة الشيخ عبدالله بن حسن، وتباحث معه في شأنِها؛ ثم أسَّس هذه المدرسة المباركة، وتم له ذلك بجهودِه، وبمشاركة تلميذه الشيخ: محمد بن عبد الرزاق حمزة.

وكان معهما جماعة من «أهل الحديث»[2]؛ وذلك لكون المدرسة حديثية، فتنظيمُها، وإعدادُها، ووضعُ مناهجِها، يحتاج إلى لجنةٍ مختصَّةٍ، من «أهل الحديث».

---

(١) «خطاب ملكي» برقم (٦٥)، وتاريخ: (٣/ ٢/ ١٣٥٢هـ)، وقد نُشر في صحيفة «البلاد»؛ عدد: (٧٤١٤)؛ بتاريخ: (٥/ ١١/ ١٤٠٣هـ)، وصورته ملحقة بآخر الكتاب.

وانظر: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ١٩)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٥)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٩)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٦).

(٢) انظر: «مشاهير علماء نجد» (ص ٥١٥)، و «معجم المطبوعات العربية في ⇦

واختار لها بيتًا مُستأجرًا بحي «القشاشية» بـ «مكة المكرمة»، وتم الافتتاح في (١٢/ ٣/ ١٣٥٢هـ)، وأُقِيم حفلٌ كبيرٌ بهذه المناسبة العظيمة، حظره العلماء، والأعيان، والأهالي[١].

وكان لهذه المدرسة «مجلس إدارة»، تم تعيينه من قِبل الملك عبد العزيز، في السَّنة نفسِها؛ وهم:

١ ـ عبد الظاهر أبو السَّمح ـ إمام وخطيب «الحرم»، ومدير «الدار» ـ (رئيسًا).

٢ ـ محمد بن حسين نصيف ـ من عُلماء ووجهاء «جدة» ـ (عضوًا).

٣ ـ محمد بن عبد الرزاق حمزة؛ إمام وخطيب «الحرم» ـ (مُدرِّسًا وعضوًا)[٢].

= المملكة» (٣/ ١١٩٤)، [جاء فيه أنَّ تأسيسها كان سنة: (١٣٥٠هـ)، وهو وهمٌ]، و «أعلام المكيين» (١/ ٢٠٣).

(١) انظر: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ٢٣)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٥)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٩)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٦).

(٢) جاء في: «وسام الكرم» (ص ٣٧٠) ضمن ترجمة: محمد بن عبد الرزاق حمزة: (ثم رجع إلى «مكة» سنة: (١٣٤٧هـ)، وفيها عُيِّن مُدرِّسًا في «دار الحديث الخيرية»...) اهـ

قلتُ: «الدَّار» لم تكن موجودة هذا التاريخ!

٤ ـ سُليمان بن عبدالرحمن الصنيع؛ أمين مكتبة «الحرم» ـ (عضوًا).

٥ ـ محمد بن سياد[١]؛ رئيس مطوِّفي «جاوه» ـ (عضوًا).

٦ ـ عبد الرحمن مظهر؛ رئيس مطوفي «الهند» و «باكستان» ـ (عضوًا).

٧ ـ عبيد الله الدهلوي؛ من أعيان «مكة» ـ أمين «الصندوق» و (عضوًا)[٢].

---

(١) كذا في: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ٢٤)، ورُسِم في: «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٦)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩٠)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٧): محمد ابن سيتاد. والأول ينقل من «مجلة دار الحديث المكية» العدد الأول، والله أعلم.

(٢) انظر: «مدرسة دار الحديث المكية» (ص ٢٤)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٦)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩٠)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٧).

قلتُ: جاء في هذه المصادر قائمةً طويلة، للأعضاء الذين عيَّنهم الملك عبدالعزيز في مجلس الإدارة الأول سنة (١٣٥٢هـ)؛ منهم:

ـ عبد الله عبد الغني خيَّاط؛ إمام وخطيب «المسجد الحرام» ـ (عضوًا).

ـ عبد الله بن عبد الرحمن البسَّام؛ عضو «هيئة التمييز» ـ (عضوًا).

ـ عبد الله بن محمد العوهلي؛ من عُلماء «نجد» ـ (عضوًا).

ـ سعيد الدَّعجاني؛ من عُلماء «جدة» ـ (عضوًا).

وهذا وهمٌ منهم؛ فبعض مَن ورد اسمه كان عضوًا في مجالسَ لاحقة بسنواتٍ، فمثلاً الشيخ عبدالله البسَّام كان عمره حين تأسيس هذه المدرسة، (٦) سنوات، فهو من ⇦

وقد مرَّت هذه المدرسةُ بعِدة مراحل، ابتداء من «دار الأرقم»، ثم انتقلت إلى عدة مبانٍ، وهي لا تزال قائمةٌ حتَّى اليوم، ولكنَّها ارتبطت بـ «الجامعة الإسلامية» بـ «المدينة المنورة»، وأصبحت ضمن «المعاهد» التابعة لها، ولكن فرقٌ كبيرٌ بين مُقرَّراتها الدراسية عند تأسيسها، وبين مُقرَّراته الحالية.

وتولَّى الشيخ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ رئاستها ما يُقارب (١٨) سنة، ثم استلمَ رئاستها من بعدِه، تلميذُه وصديقُه وصِهرُه العلامة: محمد بن عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد كان ـ هذا الأخير ـ مُدرِّسًا بـ «الدَّار»، ومساعدًا لأبو السمح[1].

[الهمة العالية، ومقارنتها الإخلاص]:

= مواليد سنة: (١٣٤٦هـ)، كما في ترجمة ابنه له في «علماء نجد» (١/ ٨١)، وحينها كان في «عُنيزة»، وهذا من عيوب نقل بعض المصادر عن بعضٍ، دون تأملٍ للنص، ولا إحالة على مصدر!

ولم يرد في المصادر المذكورة تسمية الشيخ محمد نصيف، وأضفتُه من موقع «الدار» تحت هذا الرابط:

[https://darallhadith.com/Biography?page=5]

(١) انظر: «مشاهير علماء نجد» (ص ٥١٥)، و «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٦)

يُلاحظ أنَّ «الخطاب الملكي» الأول في الاستيضاح عن هذه المدرسة كان بتاريخ: (١/ ٢/ ١٣٥٢هـ)، وجواب الشيخ عبد الظاهر عليه كان بتاريخ: (٢/ ٢/ ١٣٥٢هـ)، فيكون اجتماعه بالشيخ عبد الله بن حسن، والتباحث في شأن «المدرسة»، ووضع «نظامها»، تم كل ذلك في يومٍ واحد.

وجاءت موافقة جلالة الملك، على إنشاء المدرسة بنظامها المرفق بتاريخ: (٣/ ٢/ ١٣٥٢هـ)، أي بعد يومٍ واحدٍ فقط من إرسال «المشروع» بصيغته النهائية.

وهذه همةٌ عاليةٌ، واجتهادٌ ليس له نظيرٌ، ولو قُورن ذلك بالمشاريع التعليمة اليوم، ووضع «الأنظمة» لها، وكم من الجهد والوقت تستغرقه مراحل تأسيسها، وإنشائها؛ لشاب الرأس! ولكنَّ الهِمَّة العالية، إذا قارنها الإخلاص، بارك الله فيها، ووفقها، وسددها.

[بيان أبو السمح حول مدرسة «دار الحديث»]:

كتب الشيخ «بيانًا» إعلاميًا حول هذه «المدرسة»، تحدَّث فيه عنها، مُبيِّنًا: علوم المدرسة، وكيفية التعليم فيها، وطريقته، والأعضاء المستشارون، وطريقة الإعانة المالية، وفي «البيان» تظهر دقة الشيخ، في إدارة هذه المدرسة، وجودة منهجه، وحُسن تنظيمه، وأمانته وحرصه في جمع التبرعات، واحتياطه لذلك.

وقام شيخُه رشيد رضا بنشر ـ هذا «البيان» في «مجلة المنار»[١]، وهذا نصُّه:

(مدرسة «دار الحديث» بـ «مكة المكرمة»[٢]:

أُسِّسَتْ في «مكة المكرمة» مدرسةٌ لإحياء «علم الحديث» بهذا الاسم، وقد جاءنا من مديرها «بيانٌ» لذلك؛ قال فيه بعد مقدمةٍ وجيزةٍ ما نصُّه:

ولما كان المسلمون في أشدِّ الحاجة إلى إحياء سنة رسول الله ﷺ؛ لأنَّ حياتَهم مُتوقِّفةٌ على ذلك، وكانت «مكة المكرمة» مهبط «الوحي»، ومشرق نور «الرِّسالة»، وفيها «قبلة» المسلمين = فكَّر جماعةٌ من أهل الغيرة في إنشاءِ مدرسةٍ بها، لهذا الغرض.

وقد وفَّقنا الله تعالى ـ وله الحمدُ والمِنَّة ـ لافتتاحها في: ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ، بعد الاستئذان من أُولي الأمر، ولم يبقَ إلا مُساعدة المسلمين لها بآرائهم السديدة، وبما تجود به نفوسهم الكريمة، من مبرَّاتٍ وخيراتٍ، وبكل ما استطاعوا من معونةٍ؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ

---

(١) «مجلة المنار»؛ عدد: رجب، لسنة: (١٣٥٢هـ)، مجلد (٣٣)، صفحة: (٤٧٩).
وقد حذف الشيخ رشيد ـ اجتهادًا منه، ولضيق الصفحة المُخصَّصة للبيان ـ مقدمة البيان، التي في أوَّله، وبيان أسماء الأعضاء والمستشارين والمُؤسِّسين.

(٢) هذا عنوان المقال وهو من وَضْعِ رشيد رضا، وكذلك الديباجة الآتية، وبعدها بيان الشيخ عبد الظاهر، كما يتَّضح من السِّياق.

عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة: ٢]، [وقوله تعالى][1]: ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر].

ولا ريب أن هذا العمل من خير الأعمال وأفضلها، ومن الجهاد في سبيل الله فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران]. وقال ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً؛ فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ؛ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**» رواه «البخاري».

وغير خَافٍ أن «مكة المكرمة» هي «أم القرى»، وموضع احترام المسلمين جميعًا، ويَسرُّ-هم أنْ تكونَ كما كانت من قبل مورد العلماء، ومُلتقى الفُضلاء.

فهذا أوان العمل، ومن وَثق بما عندَ الله، ووعْدِه؛ أَنفق في سبيلِه، قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [الحديد]. وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبأ]. وقال سبحانه: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ

---

(١) ساقطة من مطبوعة «مجلة المنار».

وقد حذف الشيخ رشيد ـ اجتهادًا منه، ولضيق الصفحة المُخصَّصة للبيان ـ مقدمة البيان، التي في أوَّله، وبيان أسماء الأعضاء والمستشارين والمُؤسِّسين.

بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

علوم المدرسة:

أما علوم المدرسة؛ فهي: «الحديث» دراية ورواية، و «التفسير»، وكيفية التَّفقُّه فيهما، اقتداءً بـ «أئمة الهدى»، ولا بُد من قراءة «الكتب الستة»، التي هي «دواوين السُّنة»، والتَّفقه في أسانيدِها، ومتونِها، وحفظ جملةٍ صالحة منها، مع حُسنِ استحضار كثيرٍ من مظان «الحديث»، و «اللغة العربية»، ألفاظًا، وأُسلوبًا، وقواعدَ، وآدابًا.

التعليم فيها:

أمَّا التعليمُ فيها؛ فمُقرَّرٌ مجانًا، وتُصرف الكتب والأدوات للطلبة بلا مقابل، وبعضُ الطلبة تُعطى لهم إعاناتٍ مالية أيضًا.

ومُدَّة الدِّراسة ثلاث سنين مؤقتًا، وقد تُزَاد إذا دعت المصلحة.

طريقة التعليم:

أمَّا طريقةُ التعليم؛ فهي كما يأتي:

الأول: إلقاء الدروس بـ «اللغة العربية الفصحى»، وتعويدُ الطلبةِ الكلام الفصيح.

الثاني: تعليم «القواعد»، بطريقة الاستقراء، والاستنتاج، والإكثار من التمرينات.

الثالث: إشراك الطلبة في الدَّرسِ؛ حتَّى لا يكون كالخطابة، والمحاضرة، تُلقى عليهم وهم سكوت، ثم يَنصرفون.

الرابع: تعويد الطلبة التفكير الصحيح، وحرية الرأي، وتثقيف عقولِهم.

وللمدرسة «هيئةٌ إداريةٌ» مُتشكِّلةٍ من أعيان «الحجاز»، وعُلمائه، الموقعين على هذه النشرة[١].

الأعضاء المستشارون:

وكذلك لها «أعضاء مستشارون»، في سائر «الممالك الإسلامية»، منَ العُلماء والأعيان، فـ «المدرسة» تُرحِّب بكلِّ غَيورٍ على «السُّنة»، وتدعوه إلى معاونتِها بكلِّ ما أمكنَ من جاهٍ، ومالٍ، ورأيٍ، وعِلمٍ، واللهُ لا يضيع أجرَ من أحسن عملاً.

طريقة الإعانة المالية:

(١) إذا كان المتبرع بـ «مكة المكرمة»، فنرجوه أنْ يُسلِّم الإعانة لمدير المدرسة، أو لأمينِ صندوقِها، ويأخذ سند الاستلام.

(٢) وأمَّا من كان في الخارج فعليه أنْ يُرسل «الأوراق المالية»، ضمن ظروفٍ مُسجَّلة باسم المدير، أو يرسل حوالةً على «البريد»، أو أحدِ «البنوك»[٢]، أو أحد التجار المعتبرين، باسم المدير، ويوضح: اسمَه، وعنوانَه؛ حتَّى نرسل إليه «الوصولات»، وكلَّ من لم يصله الوصل في

---

(١) حذف الشيخ رشيد أسماءهم؛ لضيق الصفحة كما سيأتي.

(٢) «البنوك» ـ عندنا ـ في «الحجاز»، قبل (٩٠) سنة!

ظرف شهرين، فله أن يراجع المدير بشأن إعانته.

وليس لـ «دار الحديث» وكيلٌ طوَّافٌ، متنقلٌ في البلاد، يجمع باسمِها الإعانات؛ فنحذر الناسَ من المحتالين، وننصحُهم ألا يعطوا أحدًا شيئًا، باسم «دار الحديث»، وليعلموا أنْ ليسَ في «الحجاز» كُلِّه دارُ حديثٍ مُصرَّح لها رسميًّا، غير التي بـ «مكة».

وفي الختام؛ نسألُ اللهَ ـ تعالى ـ أنْ يُوفِّقنا لما يحبه ويرضاه، وينجحنا في مقصدنا، وهو تخريجُ طائفةٍ من العُلماء المُحقِّقين، المُستقلِّين في الفِكر، والمتبعين لـ «السَّلف الصالح» في فهمهم للدِّين، والعمل به، والدَّعوة إليه، وما ذلك على الله بعزيز.

[وقد ضافت الصفحة عن ذكر أسماء سائر المؤسِّسين][1].

مدير المدرسة

عبد الظاهر محمد أبو السَّمح) اهـ

قلتُ: يظهر من هذا الكلام: عِلمُ الشيخِ، وحِكمتُه، وحُسنُ تنظيمِه، وإلمامُه بأصولِ التربية، وإبداعُه في التخطيط الإداري والمالي، وقطعُه الطريقَ على المُحتالين باسم «الدار».

---

(١) هذه جملةٌ مُدرجة من الشيخ رشيد رضا، سبق التنبيه عليها.

وقد كان لأبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ دورٌ كبير في تعليم الناس ـ من خلال هذه المدرسة ـ وتوجيهم وإرشادهم إلى «العقيدة الصحيحة»، والمنهج في تلقِّيها، وقد تخرج على يديه الكثير من الطلاب والدعاة، ولاسيما من كانوا من خارج هذه البلاد، وكان صديقه ـ وتلميذه ـ الشيخ: محمد بن عبد الرَّزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ، مُعينًا له في كل خطواتِه.

قال الأستاذ: عمر ابن عبد الجبار رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أسَّس «مدرسة دار الحديث» بـ «مكة المكرمة»، وكان الشيخُ: [محمد بن] عبدُ الرزاق حمزة سندَه الأكبر في بثِّ الدَّعوة، ونشر العقيدة، بهذه المدرسة، التي تخرّجَ منها الكثير من طلبة العِلم، ودُعاة التوحيد)[1] اهـ

قلتُ: وقد كانت هذه «الدَّار»، إحدى المنارات العلمية في «الحجاز»، وقد تخرَّج منها أفواج من طلبة العِلم، الذين أصبحوا علماء، على عقيدة ومنهج صحيح، ونفع الله بهم الأمة.

يقول الشيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن أوائل خريجي هذه المدرسة:

---

(١) «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧).

وانظر: «أعلام المكيين» (١/ ٢٠٣)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٦)، و «وسام الكرم» (ص ٢٥٢)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٥).

(تخرَّج منها في هذه السنوات القليلة، طلبةٌ عديدون؛ منهم: الهندي، والجاوي، والبُخاري، واليَمَني، والحَبَشي، والنَّجْدي، والتَّكْرُوري، والحِجازي، ولله الحمد والمنة)[١] اهـ

وكانت ـ أيضًا ـ محل عناية ودعم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، حتَّى وفاته ت (١٤١٩هـ)، وحين استلامه «جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام»، تبَّرع بقيمتها لصالح هذه المدرسة[٢].

[الحسنات الجارية]:

أنشأ الشيخ أبو السمح هذه المدرسة لنشِر العِلم، والرجوع بالناس إلى «الكتاب» و «السُّنة»، والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ على ضوئهما، والمدرسةُ ـ منذ إنشائها سنة (١٣٥٢هـ) ـ باقية حتى اليوم تنشر العِلم، ومرَّ على إنشائها أكثر من تسعين سنة، وأخرجت للأمة آلاف المُتعلِّمين من طلبة العِلم، من جنسياتٍ مُتعددة، وهي ثمرةٌ من ثمار الشيخ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ، وحسنةٌ جارية له إلى يوم القيامة[٣].

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٢)، وعنه: «الجواهِر الحِسان» (٢/ ٣٦٤).

(٢) انظر: «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٦)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٨٩)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٧).

(٣) انظر: «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

[تنبيهٌ]:

كلام الزركلي[١] يُوهم بأنَّ «دار الحديث الخيرية»، كانت موجودةٌ في «مكَّة»، قبل مجيئ الشيخ عبد الظاهر، فلما استقدمه الملك عبد العزيز من «مصرَ» إلى «الحجاز»؛ ولَّاه إدارتَها؛ يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

(استقدمه الملك عبد العزيز ابن سعود إلى «مكة»؛ وولَّاهُ الخَطابة، والإمامة بـ «الحرم المكي»، وإدارة «دار الحديث» (١٣٤٥هـ)) اهـ

قلتُ: الصّواب؛ ما رأيتَهُ ـ هنا ـ في هذا المبحث، وأنَّ أبو السمح أسَّسها بعد قُدومِه بسبع سنواتٍ، ورُبَّما لم يرد الزركلي ذلك، ولكنَّها الصياغة المُجملة لمثل هذا الكتاب الكبير، والله أعلم.

* * * *

(١) «الأعلام» (٤/ ١١)، وعنه كحالة في: «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥)، وصاحب «المقالات السَّلفية» (ص ٥).

المَبْحَثُ الثَّامِنُ
[مَنْهَجُهُ فِي الحُسْبَةِ]

حياة الشيخ عبدالظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ كلُّها دعوةٌ واحتسابٌ، في «مصر» و «الحجاز»، كما تقدَّم وسيأتي، فبعد أنْ أتمَّ تعليمه، وأنارَ اللهُ دربَه، بدأ يسيرُ على خُطى الأنبياءِ والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وورثتِهم، والصورُ التي تجسد دعوته واحتسابه كثيرةٌ، تقدَّم بعضُها، وسيأتي غيرُها.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ مشهورًا بتوجيه الناس، وإرشادِهم، ودعوتِهم إلى العقيدة الصافية، النقيَّة، ومحاربة البدع، والخرافات، ومجادلة الداعين لها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

وقد لقيَ في سبيلِ ذلك الكثير من العَناء، والظلم، الذي وصل إلى التعدي على النفس، وما زاده ذلك إلَّا صَبْرًا وثباتًا.

وسيأتي بيان ما لقيه في هذا الباب ـ مُفصَّلاً ـ في محلِّه[1].

وفي هذا المبحث سأتكلَّم على منهجه في الحسبة، وذلك من خلال دورِه في «هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في «مكة المكرمة»، وهو جِهازٌ رسميٌّ مُنظَّمٌ من قِبل الدولة.

[احتسابُه في «هيئات مكة»]:

(١) انظر المبحث الثامن عشر (ص).

صدر «مرسومٌ» ملكيٌّ بتوليه رئاسة «الهيئة» في «مكة المكرمة»، وقد أورد تلميذه الشيخ عبدالله خيَّاط رَحِمَهُ اللَّهُ صورةً تامَّةً عن هذه المرحلة في حياةِ شيخِه؛ فقالَ:

(كانَ كثيرًا ما يُوجِّهُني إلى الطريق السَّليم في الحياةِ، ومعاملةِ النَّاسِ، وكنتُ إذْ ذاكَ عُضْوًا في «هيئةِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عنِ المُنْكرِ» في «مكَّة».

وهذا المِرْفقُ يتطَلَّبُ الكثيرَ منَ الحِكمةِ، لِشدِّ [كذا] ما كانَ سُروري كبيرًا، عندما كانَ يَبْسُطُ لي القولَ في الدَّعوةِ الحكيمة، وعدمِ أَخْذِ الناسِ بالغِلْظةِ والشِّدَّةِ؛ تمشِّيًا مع التوجيه النبوي الكريم: ((**سَدِّدوا وَقَارِبُوا**))[1]، وأَخْذًا بالتخطيطِ القُرآني: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومِن وافِرِ حظِّي في الفترةِ التي كنتُ فيها عُضْوًا في «الهيئة»، أنْ صدرَ مَرسومٌ ملكي، بإسنادِ رِئاسة «الهيئة» لفضيلَتِه، فسَارَ في الدَّرْبِ الذي كانَ يُوجِّهُني إليه.

---

(١) جملةٌ وردتْ في غيرِ حديثٍ؛ منها ما أخرجه أحمد في: «مسنده»؛ برقم: (٨٢٥٠)، وآخر في «المسند» ـ أيضًا ـ برقم (٩٧٦٣)، كلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.

ولم تطل فترة رئاسته لأنَّه كانَ يُفضِّلُ السَّيْرَ على سياسةٍ أقرب إلى استجلابِ قُلوبِ النَّاسِ، وتوعيتِهم بالتي هي أحسنُ، وكانَ غيرُه ـ مِمَّن يَشْتَرِكُ معه في «الهيئة» ـ يرى غير ذلك.

وكانتِ النتيجةُ أنِ استقالَ واستَراح وأراحَ)[1] اهـ

* * * *

(١) «لمحات من الماضي» (ص ٣١٦).

المَبْحَثُ التَّاسِعُ
[مُؤلَّفَاتُهُ]

مع أنَّ الشيخَ رَحِمَهُ اللَّهُ عالمٌ، وفقيهٌ أزهري، ولم يستقدمه الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلا لعلمِه؛ إلا أنَّه فضَّل الانشغالَ بإمامة وخطابة «المسجد الحرام»، مع التعليم، والتوجيه، والدعوة، والاحتساب، ولم ينشغل بالتأليف، وإنَّما كتب رسائل صغيرة، لا تدل على سعة عِلمه.

لذا قال الأستاذ: خير الدين محمود الزركلي رَحِمَهُ اللَّهُ:

(له رسائلُ مطبوعةٌ، ليستْ على اتِّساعِ عِلمهِ)[1] اهـ

قلتُ: بعد التتبع والاستقراء؛ وقفتُ له على:

١ ـ رسائل صغيرة، قال بعضُ مترجموه إنَّها ثلاث، وهي أكثر.

٢ ـ مقالات؛ منشورة في المجلاتٍ والصُّحف، وهي مُتعدِّدة الموضوعات؛ فمنها: العقيدة، والفقه، والدعوة، والمنهج، والتوجيه والإرشاد...

٣ ـ قصائد؛ منشورة في المجلات والصحف، وهي مختلفة المناسبات.

٤ ـ تحقيق وتصحيح بعض الكتب العلمية.

٥ ـ نشر بعض الكتب العلمية على نفقتِه.

---

(١) «الأعلام» (٤/ ١١).

نقل كحالة ـ في: «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥) ـ ترجمة عبد الظاهر من «الأعلام» بنصِّها، إلا هذه العبارة.

وهذا بيانُ ما وقفتُ عليه من آثاره العِلمية والأدبية:

أولاً: الكتب التي ألَّفها:

١ ـ «الرسالة المكِّية في الردِّ على: (الرسالة الرَّملية)».

رسالةٌ مفيدةٌ، تحكي قصةَ عقيدةٍ، وعِلمٍ، وجهادٍ، وابتلاءٍ، وفيها فصولٌ من حياة الشَّيخ عبد الظاهر، ولمحةٌ عن عصره، ومهمة لمن يُترجِم له[(١)].

كتبها الشيخ ردًّا على «الرِّسالة الرَّملية»[(٢)]، وحكى فيها ـ تفصيلاً ـ عن أحدِ أهم الأحداث في حياته، وما صاحبها من مُناقشاتٍ عقدية، وتحقيقاتٍ جائرة، ومحاكماتٍ مُنصِفة.

و «الرَّملية» نسبة لـ «رمل الإسكندرية»، موقع الحادثة المذكورة.

وسيأتي الكلام على هذه الحادثة، تفصيلاً[(٣)].

---

(١) انظر: «الأعلام» (٤/ ١١)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥)، و «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٨)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٤)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٦).

(٢) سيأتي الحديث ـ تفصيلاً ـ عن هذه الرسالة، ومؤلِّفها، وسبب تأليفها في المبحث التاسع عشر (ص).

(٣) انظر المبحث الثامن عشر، والتاسع عشر (ص ،).

وخرجتْ طبعتُها الأولى عن «مطبعة المنار» بـ «القاهرة»، سنة (١٣٤٩هـ)[١].

وجاء مُلحقًا بها: «القصيدة الرَّملية» للمُترجَم، وستأتي.

٢ ـ «حياة القلوب بدعاء علام الغيوب».

رسالةٌ في «توحيد الألوهية»، وإفراد الله بالعبادة، انتهى منها (جُمادى الآخرة ١٣٤٢هـ)، وفرغ من تحريرها سنة: (١٣٥٢هـ)[٢].

قال الشيخ عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمتِها:

(هذه رسالةٌ في «توحيد الألوهية»، أي إفرادُ الله ـ تعالى ـ بالعبادة، عُنيت بها، وكتبتها، لَمَّا وجدْتُ كثيرًا من العُلماء، فضلاً عن العامَّة، يؤلِّهون غير الله بدعائِهم، ونذرِهم، وطوافِهم، وحُبِّهم، وخوفِهم... ويُسمُّون ذلك توسلاتٍ، ووساطةً، واستشفاعًا)[٣] اهـ

---

(١) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٨).

(٢) انظر: «الأعلام» (٤/ ١١)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥)، و «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٦، ٧٧٧)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٤)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٨)، و «وسام الكرم» (ص ٢٥٢)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٦)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩٢).

(٣) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٧).

قلتُ: الغريبُ أنَّ الشيخ عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ يذكر هذه المظاهر الشركية الصريحة، وهو في القرن الرابع عشر، و «مصر» في وقت إعداد رسالتِه، بلد العِلم، والإقراء، و «الأزهر»، وبلد التمدُّن، والحضارة والتقدَّم، ومع ذلك يُقبل كلامُه، ولا يُعترض عليه.

ولكن حين دعاء الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ إلى التوحيد الخالص، وذَكَر مظاهر «الشرك» في عصره، وهو في القرن الثاني عشر، وفي بلد ليس فيه تقدَّم، ولا حضارة، ولا جامعات؛ أنكر بعض الجهلة، أنْ يكون «الشرك» في بلده موجودًا ـ آنذاك ـ بين المسلمين!

وقد قلتُ في أكثر من مناسبة: (إنَّ مناوئي ابن عبد الوهاب المعاصرون له، والمعاصرون لنا، لا يجادلون بالحق، بل يُكابرون، ويعاندون).

وقد وَصف الشيخُ عبدالله خيَّاط رَحِمَهُ اللَّهُ كتاب شيخِه بقولِه:

(مِن أَرْوعِ ما أُلِّفَ في «العقيدة»، وبيان حقيقة «التوحيد»)[1] اهـ

قلتُ: طُبعت في حياته أكثر من ثلاث طبعات[2]، وصدرتْ طبعتها الأولى عن مطبعة «الصَّاوي» بـ «القاهرة»، عام: (١٣٥٣هـ).

---

(١) «لمحات من الماضي» (ص ٣١٦).

(٢) انظر: «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٨).

وتضمَّنتِ الطبعة نفسُها: «ترجمةً للمُصنِّف»، و «القصيدة النونية» له، وستأتي، و «عقيدة أبي الحسن الأشعري»، وهي مُستلّةٌ من كتاب: «مقالات الإسلاميِّين»[١].

ثم أخرج المُؤلِّف الطبعة الثانية للكتاب ـ مُصحَّحة، ومنقَّحَة، ومَزيدة ـ عن «مطبعة الإمام» بـ «مصر»، سنة: (١٣٦٦هـ)، ولم يُلحق بها ما أُلحق بطبعتها السابقة، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمتِها:

(لما نفدتِ الطبعة الأولى... وكثُرَ طلبُ النَّاسِ له، وإقبالُهم عليه، دعاني ذلك لإعادةِ طبعِه، وتنقيحِه، مما كان من زيادةِ المُباشرين لطبعتِه الأولى[٢]، وأنْ أُلحقَ فيه مواضيعَ إصلاحيةً، تهمُّ القُرَّاء، وانتهزتُ فرصةَ وجودي بـ «مصر»... فباشرتُ بنفسي تنقيحِه، وتحقيقه)[٣] اهـ

قلتُ: رأيتُ له طبعةً مُهذَّبة؛ بقلم الشيخ: فهد بن سليمان الفهيد[٤].

---

(١) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٧).

(٢) هذا الدَّاءُ لا يزال موجودًا إلى اليوم، وتدخّلُ المُحقِّق، أو النَّاشر، في نصِّ المؤلف، مخالفةٌ للأمانة العِلمية، حتى ولو كان التدخل بإضافة كلام حق، أو حذف كلام باطل، وقد تحدَّثتُ عن ذلك بالتفصيل، مع ذكر الأمثلة، في كتابي: «نظرات في تحقيق التراث»، وهو في «السِّرداب» عجَّل الله بفرجه!

(٣) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٧).

(٤) أصدرها «مكتب الدعوة» بحي «السَّلام» بـ «الرياض».

٣ ـ «الأولياء والكرامات».

خرجت طبعته عام: (١٣٦٨هـ)، عن «مطبعة الإمام» بـ «مصر»[١].

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمته عن سبب تأليفه:

(لما رأيتُ النَّاسَ... لا يُميزون بين أولياءِ الرحمن وأولياءِ الشيطان، ولا يُفرِّقون بين الكرامات والخُرافات...؛ بدا لي أنْ أكتبَ هنا فُصولاً، مُبيِّنًا ما اشتبه عليهم)[٢] اهـ

قلتُ: وقد رأيتُ من جعله كتابَيْن: «الأولياء»، و «الكرامات»[٣].

٤ ـ «مناسك الحج وفق السُّنة المحمدية».

رسالةٌ سمَّاها عمر عبد الجبار «المناسك»[٤]، وسمَّاها الزامل: «الحج وِفق السُّنة النبوية»[٥]، وطبعها الشيخ محمد بن أحمد سيد أحمد[١] رَحِمَهُ اللَّهُ ت

---

(١) انظر: «الأعلام» (٤/ ١١)، و «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨)، وسماه: «كرامات الأولياء»، و «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٦)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٤)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٦).

(٢) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٦).

(٣) انظر: « » (ص).

(٤) «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨)، وعنه: «وسام الكرم» (ص ٢٥٢).

(٥) «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(١٤٣٩هـ)، بالاسم المذكور، ونُشِرتْ عن «مطبعة مكة»، ولم أطلع عليها[٢].

٥ ـ «تفسير القرآن الكريم».

وهو غيرُ كاملٍ، بل تفسيرٌ لبعض أجزاء «القرآن الكريم»[٣].

٦ ـ «آداب تلاوة القرآن واستماعه».

رسالةٌ، ولم أطلع عليها، ووَرَدَتِ الإشارة إليها في الطبعة الثانية من كتابه ـ السابق ـ: «حياة القلوب»، ولا أعلم عنها غير ذلك[٤].

٧ ـ «رسالة الصلاة».

لا أعلمُ عنها شيئًا، وقد انفردَ بذكرها الشيخ: يوسف الصُّبْحي[٥]، واللهُ أعلم.

---

(١) مضت ترجمته في التمهيد (ص).

(٢) انظر: موقع «علماء مكة»، تحت هذا الرابط:

[https://makkahscholars.org/scholar/86#resume]

(٣) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨).

(٤) وانظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٦)، و «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(٥) انظر: «وسام الكرم» (ص ٢٥٢).

ثانيًا: الكتب التي ساهم في إخراجها.

كان للشيخ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ عنايةٌ بإحياء التراث، وقد اهتمَّ بتحقيقِ وتصحيحِ ونشر بعض الكتب، والتعليق على بعضِها، وبعضُها طبعه على نفقته؛ منها:

١ـ «عُمدة الفقه»؛ لابن قدامة ت (٦٢٠)[(١)].

تكفَّل الشيخ عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ بطبع ونشر الطبعة الثانية من هذا الكتاب على نفقته.

وشاركه:

١. الشيخ إبراهيم الشُّورى[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٠٤هـ)، وقد كان وقتها وكيلاً لـ «المعارف» في «الحجاز».

---

(١) شيخ الإسلام، وإمام «الحنابلة» في عصره: أبي محمد، عبد الله بن أحمد، الموفق، ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو كتابٌ خاصٌّ بالمبتدئين، اقتصرَ فيه على روايةٍ واحدةٍ، وهي القول المعتمد في «المذهب»، مع ذكر الدليل على كثيرٍ من مسائلِهِ، وشرطُه فيما يذكره منَ الأدلة أنَّها منَ الصِّحَاح.

انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ١٦٥)، و «الذيل على: (طبقات الحنابلة)» (٢/ ١٣٣)، و «معجم مصنفات الحنابلة» (٣/ ٦٩).

وانظر عن كتابه «العُمدة»: «المدخل» (ص ٤٣٣)، و «المدخل المفصَّل» (٢/ ٧١٩)، و «المذهب الحنبلي» (٢/ ٢١٨).

٢. الأديب: عبد الكريم الجُهَيْمان[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٣٣هـ)[٣].

=

(١) هو: الشيخ: إبراهيم بن محمد الشُّورى، نشأته، وتعلّمه بـ: «القاهرة»، وانتدب سنة: (١٣٤٦هـ) إلى «السعودية» ليعمل مفتشًا بـ: «المعارف»، ثم تقلَّد عدةَ مناصبَ؛ حيث عُيِّن: مديرًا لـ: «المعهد العلمي السعودي» بـ: «مكة المكرمة»، ووكيلاً لـ: «إدارة الدَّعاوي والحج» بـ: «مكة المكرمة»، ثُمَّ: مديرًا لـ: «إدارة الثقافة الإسلاميَّة» بـ: «رابطة العالم الإسلامي»، في آخر أعماله، وقد رأيتُ له مقالاً في «مجلة الحج» في العدد (السابع)، السنة (١٣٦٨هـ).

من مؤلفاته: «طريق السلام وقواعد الإسلام»، و «العهد والميثاق في الإسلام»، وحقَّق: «عمدة الفقه» لابن قدامة، وشاركَ في تحقيق: «اجتماع الجيوش الإسلاميَّة» لابن القيِّم ت (٧٥١هـ).

انظر ترجمته في: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (١/ ٢٢٩)، و «إتمام: (الأعلام)» (ص ١٨)، و «تتمة: (الأعلام)» (١/ ٢٠)، و «ذيل: (الأعلام)» (١٨/٢).

(٢) صحفيٌّ، وأديبٌ معروفٌ، اشتهر بـ «أساطير شعبية»، و «الأمثال الشعبية».

(٣) انظر: «صحيفة صوت الحجاز»، العدد (٩)، وتاريخ: (١٥ رمضان ١٣٥٢هـ)، ونقل عنها: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٦٩٧، و ٧٧٨).

ولم يرد في الموضع الثاني ذكر الجُهَيمان، ويبدو أنَّه ينقل عمَّا كُتِب على غلاف الكتاب، وقد جاء في الموضع الأول منه: (طبع على نفقة عبد الظاهر محمد أبو السمح، إبراهيم الشُّورى، عبد الكريم بن جُهَيْمان، ط٢، القاهرة، مطبعة العلوم، ⇦

٢ ـ «الجواب الكافي» = «الداء والدواء»؛ لابن القيِّم ت (٧٥١هـ).

التزم الشيخ عبد الظاهر، والأستاذ: محمد صالح نصيف[(١)]، طبعه على نفقتِهما، وصدرت طبعته الثالثة عن مطبعة «أمين عبد الرحمن» بـ «القاهرة»، عام: (١٣٤٦هـ)[(٢)].

٣ ـ «الرسالة التبوكية»؛ لابن القيِّم.

= ١٣٥٥هـ... ط٣ على نفقة: إبراهيم الشورى، وعبد الكريم بن جهيمان، القاهرة، مطبعة العلوم، ١٣٥٧هـ...).

وجاء في الموضع الثاني: (قام بخدمته ونشره، الأستاذان الجليلان: أبو السَّمح عبد الظاهر محمد، والشيخ إبراهيم الشورى، وكيل «المعارف» في «الحجاز»). والله أعلم.

(١) صحفي حجازي رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٩٣هـ)، من وجهاء «جدة»، أصدر في آخر «العهد الهاشمي» جريدة «بريد الحجاز»، وفي بداية «العهد السعودي» أصدر جريدة «صوت الحجاز»، وتولَّى عضوية «مجلس الشورى» مرتين.

انظر: ترجمته: «الأعلام» (٦/ ١٦٦).

وهو غير «وجيه الحجاز»: محمد نصيف رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٩١هـ)، الآتي في المبحث السادس (ص).

(٢) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٦)، ومقدمة مُحَقِّق «الدَّاء والدواء» (ص ٣٦)، وجاء في المصدر الأول، أنَّها الطبعة الثانية، ولعلَّه خطأ مطبعي؛ لأنَّه قال بعد ذلك: (لم أطَّلعْ على الطبعتين السابقتين).

قام الشيخ عبد الظاهر، بمراجعتِها، والاهتمام بطبعِها، لدى «المطبعة السَّلفية ومكتبتها»[(١)] بـ «مكة المكرمة»، عام: (١٣٤٧هـ)[(٢)].

٤ ـ «شرح حديث أبي الدَّرداء ﷺ فيمن سَلك طريقًا يَلتمس فيه عِلمًا»؛ لابن رجب ت (٧٩٥هـ).

قام الشيخ عبد الظاهر، بمراجعتِه، والاهتمام بطبعِه، لدى «المطبعة السَّلفية ومكتبتها» بـ «مكة المكرمة»، عام: (١٣٤٧هـ)[(٣)].

٥ ـ «التعليق على المغني» لابن قدامة.

---

(١) مطبعةٌ أهليةٌ، أُنشئت سنة: (١٣٤٧هـ)، لأصحابِها: عبد الفتاح قتلان، ومحمد صالح نصيف، وشركائهما، وهي فرعٌ لأصلِها التي «مصر»، وسبب إنشائها كان لمواجهة حركة النشر السَّلفية الجديدة، التي كان وراءها الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

يقول الشيخ: عبد الفتاح قتلان رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة فِهرسِ مطبوعاتِها المنشور سنة (١٣٤٧هـ):

(إنَّ المطبعةَ قد عزمتْ ـ بحولِ الله وقوَّته ـ على بذلِ ما في الطَّاقة، لتحقيق أماني جلالة المَلِك المُعظَّم، بنشر المعارف الإسلامية، وطبع الكتب التي ألَّفها أئمةُ السَّلفِ الصالح، وعُلماء الأُمة، في بيان الدين الخالص) اهـ

انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٨)، و (٣/ ١٣٤٤).

(٢) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٧).

(٣) انظر: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٨).

عندما أراد شيخُه رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ طباعة كتاب «المغني» للموفق ابن قُدامة رَحِمَهُ اللَّهُ، استعان بتلميذه عبد الظاهر، في التعليق على الكتاب، فقام بذلك خير قيام، وهذا الجهد العلمي للشيخ عبد الظاهر يخفى على كثيرٍ من طلبة العلم.

وهي تعليقاتٌ علمية مفيدةٌ، تجمع بين «الدليل» و «التعليل»، وفيها تخريجٌ، ونقدٌ للأحاديث، ومناقشةٌ فقهية لبعض المسائل، والتعرَّض في بعض الأحيان للمناقشة من الجانب «المقاصدي»[١].

ثالثًا: المقالات.

للشيخ باعٌ كبير في فن المقالة، يستحق أن يفرد بالدراسة؛ وسبق الإشارة إلى جهادِه بقلمِه، ومقالاته، واحتسابِه في ذلك قبل قليلٍ، وقد خصَّصتُ لها مبحثًا مستقلاً[٢]؛ وإنما ذكرتها هنا، لأنَّها جزء من آثاره العلمية الكتابية، حتى لا يُقال أنِّني سهوت عن ذكرها.

ومما وقفتُ عليه:

١ ـ «الوسيلة الشرعية»[٣].

---

(١) انظر كتابي: «قصة طباعة المغني والشرح الكبير» (ص).

(٢) انظر المبحث العاشر (ص).

(٣) انظر: «المقالات السلفية» (٤/ ٤٥).

رسالةٌ صغيرةٌ، قام بنشرها في «مجلة الإصلاح»، على مقالاتٍ، في عِدَّة حلقاتٍ مُتتابعةٍ[١]، ولا أعلمُ أنَّه قام بنشرِها، في طبعةٍ مستقلةٍ.

وظاهرٌ من نصِّها أنَّها رسالةٌ مُؤلَّفةٌ، ولكنَّه ـ استعجالاً للخير ـ نشرها على مقالاتٍ؛ فإنَّه في أوَّلها، وبعد «البسملة»، ذكر «خطبة الحاجة» كاملة، ثم قال:

(أما بعد؛ فهذه «رسالةٌ» في بيان «الوسيلة الشرعية»، دعاني لكتابتِها، ما رأيتُ من خلطِ العوام...) اهـ

قلتُ: وليستْ هذه افتتاحية «المقالات»، بل افتتاحية المُصنَّفات.

٢ ـ «المقالات السلفية».

وهي مجموع مقالاته، وسيأتي حديثٌ مُفصَّلٌ عنها في موضعِه[٢].

رابعًا: قصائده.

١ ـ «قصائد منوعة».

كان الشيخ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ ينظمُ الشِّعرَ، وكتبه في مناسباتٍ عدة، وله قصائد علمية، ورثاء، وغير ذلك، ومن قصائدِه التي وقفتُ عليها:

---

(١) انظر: «مجلة الإصلاح» الأعداد: (١٥ ـ ١٨)، لسنة: (١٣٤٧ ـ ١٣٤٨هـ).
وانظر نص هذه المقالات كاملة في: «المقالات السلفية» (ص ٤٥)، وما بعدها.

(٢) انظر المبحث العاشر (ص).

١. «القصيدة الرملية».

٢. «يا صحاب الهدى إنَّ العُمْي قد كثُروا».

٣. «القصيدة النونية».

٤. «شعلةٌ أُطفِئت وشمسٌ توارت».

٥. «حياة القلوب بذكر الله».

ولأهمية قصائده، ولكونِها تجلي جوانب من حياته؛ جعلتُ لها مبحثًا مستقلاً، تناولتها تفصيلاً[١]، واكتفيت بالإشارة إليها هنا، لكي لا يُظن أني سهوت عنها.

[خطُّه، ونَسخُه]:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ ذا خطٍّ حسنٍ، وقام بنسخ عدة مخطوطات؛ منها: «مسائل أحمد» برواية ابنه صالح، و «الموطأ» للإمام مالك.

يقول الشيخ إبراهيم بن محمد السِّيف رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٣١هـ):

(كان رَحِمَهُ اللَّهُ حسنَ الخطِّ، وله شغفٌ في نسخِ المخطوطات النَّادِرة، نسخَ بخطِّه كتاب «مسائل» صالح ابن الإمام أحمد، و «موطأ» الإمام مالكٍ)[٢] اهـ

---

(١) انظر المبحث الثالث عشر (ص).

(٢) «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٨).

⇦

قلتُ: سبق ضمِن الكلام على أعمالِه رَحِمَهُ اللَّهُ، أنَّه كانَ يُدرِّسُ مادَّة «الخطِّ» في مدارس «مصرَ»[١].

* * * *

=

وانظر: «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩٢)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٩).

(١) انظر المبحث الخامس (ص).

المَبْحَثُ العَاشِرُ

[جِهَادُهُ بِقَلَمِهِ ، ومَقَالاَتُهُ]

[تمهيد]:

كان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يحمل هَمَّ أُمَّته، ويحملُ هَمَّ ما يُحاكُ ضدَّها، كما كان يحملُ همَّ توعيه الناس بدينهم؛ لذا احتسبَ كتابة «المقالات»، في الصحف والمجلات؛ لبيان «العقيدة الصحيحة»، وتصفيتها مما لحقها، مما ليس منها، ومحاربة «أهل البدع والضلالة»، ودعوة الناس، وتوجيههم، وإرشادهم، وكان حريصًا على المشاركة في هذا الباب أشدّ الحرص، وقد دارتْ بينه وبين مناوئيه مُطارحاتٍ عِدَّةٍ.

وقد كان الأستاذ الفاضل عمر ابن عبد الجبار رَحِمَهُ اللَّهُ، حريصًا على تتبع جميع مقالاته، وقراءتها، وكذا تتبع ردود مناوئيه ـ من دعاة الخرافة والإلحاد ـ عليه.

يقول الأستاذ: عمر ابن عبد الجبار رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قرأتُ في صُحف: «الأخبار»، و«وادي النيل»، و «مجلة المنار»، ما كان ينشره فضيلة الشيخ: عبد الظاهر أبو السَّمح، منذ عام: (١٣٤٨هـ)[١]، وكنتُ أتتبعُ جميعَ ما نشره، ورُدود مناوئيه، من دعاة الخرافة، والإلحاد)[٢] اهـ

(١) سيأتي ـ بعد قليلٍ ـ أنَّ له مقالاتٍ، قبل هذا التاريخ.

(٢) «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨).

⇦

وقال الشيخ: إبراهيم السِّيف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(كان رَحِمَهُ اللَّهُ يكتب بالصُّحف في عام (١٣٤٨هـ)، حيث كان رَحِمَهُ اللَّهُ يرد فيها على دعاة الخرافة، والإلحاد.

وكان كاتبًا إسلاميًّا، كتب في بعضِ صُحف «مصر»، وفي «مجلة الإصلاح»، التي كانت تصدر عام: (١٣٥٤هـ)، في «مكة المكرَّمة»، ثم احتجبتْ.

وكانَ يكتبُ في «صحيفة أُم القرى»، سلسة أحاديث، في: «التوحيد»، و «التفسير»، و «الدعوة إلى الله تعالى».

كما كتب في غيرها من الصُّحف، التي كانت تصدر في وقته)[1] اهـ

[بداية كتاباته في «الصُّحف» و «المَجلَّات»]:

من الصعب تحديد هذه البداية، لطول العهد بيننا وبينه، ولكثرة الصحف والمجلات التي كتب فيها، ولكن من خلال القولين السابقين، يتضح أنَّه كان يكتب عام (١٣٤٨هـ)، وهذا ـ بلا شك ـ ليس أول كتاباته،

=

قلتُ: يشتبه علي أنَّ هذا الكلام بنصِّه للعلامة د. تقي الدين الهلالي، وسيأتي التنبيه على هذا مُفصلاً، في المبحث الرابع عشر (ص).

(١) «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧)، باختصار.

وانظر أيضًا: «تاريخ أُمة» (٣/ ١١٧٥)، و «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩١)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٨).

بل هو تاريخ ما قرأه صاحبا القولين، ولاسيما أنَّي وجدتُ له عشر مقالات كتبها قبل ذلك بسنة، أي في سنة: (١٣٤٧هـ)، ونشرها في «مجلة الإصلاح»[(١)].

بل وجدتُ له مقالاً أقدم من هذه المقالات بسنوات، وهو مقالُ «أبدية النار»، حيث كتبه تعقيبًا على مقالٍ لشيخِه رشيد رضا، ونشره له شيخُه في «مجلة المنار»، في منصف سنة (١٣٣٩هـ)[(٢)].

وهذا يدل على أنَّ أبو السمح كتب مقالاته قبل بلوغِه الأربعين، وسيأتي أنَّها مقالات علمية مؤصلة، ولكن لم أهتدِ ـ حتى الآن ـ إلى تاريخ أول مقالةٍ له.

[المحاور العلمية لـ «مقالاته»]:

اطلعتُ على الكثير من مقالاتِه، وقرأتُها بعنايةٍ؛ فوجدتها مقالاتٍ قيِّمة، كتبها بنَفَسٍ علمي مؤصل، على خلاف المقالات التي تُكتب بطريقةٍ أدبيةٍ مُرسلةٍ، وقرَّرَ فيها عقيدة «أهل السُّنة والجماعة»، وردَّ على من خالفهم.

---

(١) وهذه المقالات منشورةٌ بنصِّها كاملة في: «المقالات السَّلفية» (ص ٧)، وما بعدها.

(٢) سيأتي الكلام على هذا المقال، ونصه كاملاً، في المبحث الثاني عشر (ص).

وغالبها يدول حول:

تأكيده على «التوحيد»، والاعتصام به، والدَّعوة إليه، وتأثره بشيخ الإسلام، وكثرة استدلاله بـ «الكتاب» و «السُّنة»، والدعوة إلى الاعتصام بهما، وشفقته على الأمة من كثرة الخلاف بينهم، ودعوتهم إلى التَّوحد، ونبذ الخلاف، وتعظيم عُلماء الأمة، وعلى رأسهم «الأئمة الأربعة»، وتحذيره من الشرك، والبدع، وتحذيره من أحاديث «لا تصح»، زيادة على النصائح، والتوجيهات الإرشادية.. وقد حملت مقالات له عنوان: «الدين الخالص».

[أسماء «الصُّحف» و «المَجلَّات» التي كتب فيها]:

هذا بيانٌ لبعض ما كتب فيه من «الصُّحف» و «المَجلَّات»:

فمن «المَجلَّات» التي كتب فيها:

١. «مجلة المنار»؛ لرشيد رضا.

٢. «مجلة الإصلاح»[١].

---

(١) أنشأها سنة: (١٣٤٧هـ)، العالم: محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٧٨هـ)، وأصدرها في «جدة»، عند قدومه إليها، وهي أول مجلة سعودية، ولكنَّها توقَّفتْ مُبكِّرًا، لعدم امتلاكه ـ حينها ـ مطبعة تخصّها، حيث كانت تُطبع مرة في «مكة»، ومرة في «مصر».

انظر: « » (ص).

٣. «مجلة الهَدْي النبوي»[١].

٤. «مجلة الحج»؛ وكانت تصدرها و «زارة الحج والأوقاف» بـ «السعودية».

ومن الصُّحف:

١. «صحيفة الأخبار»[٢].

---

(١) أنشأها سنة: (١٣٥٦هـ)، العالم: حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال العلامة أحمد الشقيري، مُؤلِّف «السُّنن والمُبتدعات» رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٧١هـ) عند ظهور هذه «المجلة»: (أبشروا أيها المؤمنون بظهور «الهَدْي النَّبوي»، وتحقيق «التوحيد» السَّماوي، وبيان «العقائد» الثابتة، الصحيحة، السَّليمة، والهداية القُرآنية، والحقائق الإسلامية، والعبادات المُحمدية) اهـ

قلتُ: كانت هذه «المجلة» لسان حال «جماعة أنصار السُّنَّة المُحمَّدية»، وكان العلامةُ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ مُشرفَ التحريرِ لها سنة: (١٣٧٠هـ)، ومن كُتَّابِها: حامد الفقي، وعبد الظاهر أبو السَّمح، وأحمد شاكر، ومحب الدين الخطيب، وعبد الرحمن الوكيل، ومحي الدين عبد الحميد، وخليل هراس، ومحمود شلتوت، وغيرهم، مما يُؤكد علو منزلتها في وقتِها.

انظر: «السَّلفيِّون في مصر»، ضمن ترجمة: الشقيري، وشاكر، وفقي (ص ١٦٩، و ١٧٢، ١٩٧).

وعجِبتُ لجامِع «المقالات السَّلفية»، يُسمِّيها دومًا بـ: «صحيفة الهَدْي النبوي».

(٢) صحيفة سياسية، أنشأها سنة: (١٣١٥هـ)، النصراني اللبناني: يوسف الخازن ت ⇦

٢. «صحيفة وادي النيل»[١]؛ وكلاهما من «مصر».

٣. «صحيفة صوت الحجاز».

٤. «صحيفة أُم القرى».

٥. «صحيفة البلاد»؛ وكُلَّها تصدر من «الحجاز»[٢].

وقد كتب هذه المقالات في الأعوام (١٣٤٧ ـ ١٣٦٩هـ)، حسب ما وقفتُ عليه، وهي مُنوعةٌ قد شملت: العقائد، والأحكام، والإرشاد، كما شملت النثر والشِّعر[١].

= (١٣٦٣هـ)، كاتب صحفي، سكن مصر، وهو منشئ: «مجلة الخزانة»، و «صحيفة بريد الأحد»، وكان يتحرَّى صحة الأسلوب وطلاوته، وساعده على إنشاء الأخبار الكاتب الصحفي: داود بركات ت (١٣٥٢هـ)، ثم ابتاعها الكاتب السياسي، قوي الحُجَّة: أمين الرافعي ت (١٣٤٦هـ)، وقد حصل لها ما يوقفها فترة، ثم عادت للظهور.

انظر: «مجلة المنار»؛ عدد محرم؛ سنة (١٣٢٥)؛ مجلد (١٠)؛ صفحة (٦١)، و «الأعلام» (٢/ ١٧، و ٣٣١)، و (٨/ ٢٢٨).

(١) أنشأها سنة: (١٢٨٤هـ)، عبد الله أبو السُّعود ت (١٢٩٥هـ)، قاضي، أزهري، وأول صحفي سياسي، في تاريخ «مصر» الحديث، ومن تلامذة رفاعة الطَّهطاوي.

انظر: «الأعلام» (٤/ ١٠٠).

(٢) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧)، و «المقالات السَّلفية».

[جَمْعُ مقالاته]:

وأنا أُقلِّب في المراجع والمصادر بحثًا عن سيرة العلامة عبد الظاهر، وما تفرَّق من تُراثه؛ عُنيت بتتبع مقالاته، لجمعِها ونشرِها، وكان لدي عزيمةٌ للسفر إلى مصر، والبحث عن مظان هذه المقالات، واستخراجها، ونشرها.

ولكن رأيتُ أنَّ خلف هذا العمل مشقةً، ولاسيما أنَّ مقالاتَه قد نُشِرت في صُحفٍ ومجلاتٍ «مصرية»، و «حجازية»، قبل (٩٠) سنة، وبعضها حُجِب، منذ عشرات السنين، ثم إني كُفيت ببعضِ هذا، حين رأيت بعضًا منها منشورًا؛ حيث قامَ شخصٌ بجمعِ هذه المقالات، وتوثيقها، والتعليق عليها، وتخريج أحاديثها، وترجمت للشيخ في مقدمتها، وأخرجتها مطبوعةً في مجموعٍ، بعنوان: «المقالات السَّلفية لفضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السَّمح».

---

(١) حدَّدت تاريخ «المقالات»، وموضوعاتها، بعد اطلاعي على كتاب «المقالات السَّلفية»، وهو مجموع مقالاتِه، وقد يكون كتب قبل هذا التاريخ، وفي غير المجلات والصُّحف المذكورة، فالله أعلم.

وقد رأيتُ هذا «المجموع» مطبوعًا، ولم يكتب على غلافه ـ ولا في مقدمته ـ أيُّ بياناتٍ تتعلّقُ بمن اعتنى به، ولكن حسبُه أنَّ اللهَ يعلمه[1].

وهذا «المجموع» لم يحتوِ ـ قطعًا ـ على كل مقالات الشيخ؛ وذلك لما يأتي:

أولاً: ذكر مترجموه أنَّه كتبه في عدة صُحف، ومجلات، وسمّوها، بينما «المجموع» المذكور حوى مقالاتٍ بعضها؛ على النحو الآتي:

١. «صحيفة صوت الحجاز» (١٦) مقالاً.

٢. «صحيفة أم القرى» (٤) مقالات.

٣. «صحيفة البلاد السعودية» (١) مقالاً واحدًا.

٤. «مجلة الإصلاح» (١٦) مقالاً.

٥. «مجلة الهَدْي النبوي» (٢٢) مقالاً.

٦. «مجلة الحج» (٢) مقالان.

ثم إنَّها لم تأتِ مُرَّتبة حسب مصدر المقالات، ولا تاريخها، ولا موضوعاتِها.

---

(١) أخبرني أحدُ طلبة العِلم من المُهتمِّين بالإرث العِلمي لـ «جماعة أنصار السُّنة المحمدية»، بأنَّ المُعْتني بجمع هذه «المقالات»، هو الشيخ: محمد عوض عبدالغني المصري.

ولم يأتِ في «المجموع» مقالاً واحدًا، مما كان ينشره في: «صحيفة الأخبار»، و «صحيفة وادي النيل»، وقد كان يَرُدُّ فيها على دعاة «الإلحاد»، و «الخرافة»[١].

ثانيًا: لم يحتوِ «المجموع» على مقالاته في «مجلة المنار»، وقد كان يَرُدُّ فيها ـ أيضًا ـ على دعاة «الإلحاد»، و «الخُرافة»[٢]، والشيخُ تلميذٌ بارٌّ لـ «صاحب المنار»، وقد استكتبه فيها، واستجاب له، وكتب فيها[٣]، ولا أشكُّ أنَّه كان مُراجِعًا فيها، أو على الأقل مُستشارًا في بعضِ ما نُشر فيها.

وقد وجدتُ له بعض المقالات في «مجلة المنار»؛ وهي:

١ ـ مقال: «أبدية النار».

٢ ـ مقال: «فناء النار والرد على ابن القيِّم»[٤].

٣ ـ مقال: «المنار والإصلاح».

٤ ـ مقال تعريفي (بيان) عن «مدرسة دار الحديث».

---

(١) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧).

(٢) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧).

(٣) صرَّح بذلك في مقاله «المنار والإصلاح»؛ المنشور في «مجلة المنار»، وسيأتي نصُّه بعد قليلٍ.

(٤) وهو تتمةٌ للسابق، كما سيأتي في المبحث الثاني عشر (ص).

ومساهمةٌ مني في لَمَلَمة «التراث العِلمي» لهذا العالِم الجليل، فقد ضمَّنتُ هذه المقالات الأربع في هذا الكتاب، وسبق وضع «بيانه» التعريفي عن «دار الحديث»، في موضعه المناسب له[١].

وسأضع في هذا المبحث المقال الثالث: «المنار والإصلاح»[٢].

أمَّا المقالان الأول والثاني، فقد خصَّصتُ لهما مبحثًا مُستقلاً؛ لأهمية المسألة المعنية بالبحث[٣].

* * * *

(١) انظر المبحث السابع (ص).

(٢) سيأتي بعد قليلٍ.

(٣) انظر المبحث الثاني عشر (ص).

«المنار والإصلاح»
مقالٌ للشيخ عبد الظاهر أبو السَّمح

[تمهيد]:

هذا أحدُ مقالات هذا العالم الجليل، نشره في «مجلة المنار»، بعد وفاة شيخِه رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، ولم أرَه ضمن كتاب «المقالات السَّلفية»، الذي عُنِيَ بجمع «مقالات» الشيخ عبد الظاهر أبو السَّمح رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فوضعتُه هنا، إتمامًا الفائدة.

[نصُّ المقالِ]:

(المنار والإصلاح

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام «الحرم المكي»

كانت «مجلةُ المنار» مجلةَ إصلاحٍ إسلامي، لا يُجاريها في مِضمارها مُجَارٍ، ولا يَسبقها في حلبتِها سابقٌ، كانت تُعْنَى بتفسير «القرآن الكريم»، وشرحه من «السُّنة المُحمدية»، على طريقة الأستاذ الإمام الشيخ: محمد عبده[1] رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) تقدمة ترجمته في المبحث الأول، مع ما أُخذ عليه (ص).

⇦

فبعد أنْ تُقَرِّر المعنى تفضِي بما في «الآياتِ» من العِبر، مُقارنةً بين ما كان عليه المسلمون الأولون، وتمسُّكهم بـ «القرآن»، وعملهم به، وما عليه مسلمو هذا الزمان، مهيبةً بهم، منذرةً لهم، مبينةً ما يُحدثه «المبتدعون» في الدِّين منَ «البدع»، مُجليةً شُبَه الضَّلال والمُلحدين من الأمة، بالأدلة الواضِحة، والحُجج السَّاطعة.

وكان صاحُبها أستاذنا، العلاّمة، السيد: رشيد رَحِمَهُ اللَّهُ لا يخشى في الحقِّ لومة لائم، ولا سطوة حاكم، ولا يُجامل صديقًا، ولا يُصانع عدوًّا، ولا يَرعى غنيًّا لِغناه، ولا فقيرًا لفقره.

وكانت خاتمتُه الحُسنى، ما علمه الخاص والعام، مما انتهى إليه تفسيره ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف].

يا لها من خاتمةٍ حُسنى! وموقفٍ جميلٍ! لم يكن إلا بتوفيقٍ منَ اللهِ، لعبدٍ رضيَ اللهُ عنه، وتولَّاه، وأدخلَه في عبادِه الصالحين، وأوليائه.

= ولم تكن طريقته في «التفسير» مرضِيَّة، ويُوجَّه إليه ما وُجِّه إلى «تفسير المنار» لتلميذه رشيد رضا، وسيأتي الكلام عليه، وعلى المصادر التي نقدته في المبحث الخامس عشر (ص).

ولما تُوفِّي السَّيِّد رَحِمَهُ اللَّهُ قلتُ، وقال الناس معي:

شعلةٌ أُطفئتْ وشمسٌ توارتْ وكـــأن الحيـــاةَ لمـــعُ سراب

ووقف «المنار» وتوارى عن الظهور، وخلا الكرسي، ولم نجدْ من يملؤه بعده، ولا من يسد مَسدّه ذبًّا عنِ الإسلام، ودرءًا لشبهاتٍ، وبيانًا لحقيقة الإسلام، حتَّى مضت ثلاثُ سنين أو أكثر، ونحنُ ندعو اللهَ أنْ يَهَبَ الإسلامَ مُرشدًا «رشيدًا» يضيء النهج، وليل الجهالات قاتم، وكأنَّ اللهَ سمعَ دُعاءَنا، فقيَّض لـ «مجلةِ المنار» مَنْ يبعثها بعثًا جديدًا، مُصقعًا إذا خطب، مِدْرَهًا[1] إذا كتب، ذكي الفُؤاد، قادرًا على حمل الأعباء، عالِـمًا ألمعيًّا، وشُجاعًا عبقريًّا، ذلك هو الأستاذ، المُرشد الجليل، الشيخ: حسن البنَّا[2]، المُرشد العام لجماعة «الإخوان المسلمين» حفظه الله.

فنُهنِّئُه بهذا التوفيق، ونهنِّئُ «مجلةَ المنار» وقُرَّاءَها، بتولِّي حضرته رئاسة

---

(١) قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ اللَّهُ في: «القاموس المحيط» (ص ١٢٤٥):

(المِدْرَه، كمِنْبَر: السيِّد الشريف، والمُقدَّم في اللِّسان واليد، عند الخُصومة والقِتال) اهـ

قلتُ: وفي المصدر نفسِه: دَرَهَ عليهم: هَجَمَ عليهم. ودَرَهَ عنهم، ولهم: دَفَعَ عنهم، والدَّرَهْرَهَة: الكَوْكَبة الوقَّادة.

(٢) ستاتي ترجمته في المبحث الخامس عشر ـ (ص)، مع تفسير علاقته بالشيخ أبو السمح، وقراءة نقدية لهذه المقالة.

تحريرها، ونسألُ اللهَ له التوفيقَ، والسَّداد، والعونَ، على القيام بها[١].

وقد انتدبني حضرته للكتابة فيها بحُسنِ ظنِّه، وما كنتُ لأخالفه، لولا أشغال كثيرة وأعمال مُتواصِلة تستنفذُ الوقتَ كُلَّه؛ ولكن لا بُدَّ من تلبية الطَّلب، كُلَّما وجدتُ إلى ذلك سبيلاً، بحول الله وقوته، وإنْ كُنتُ مُزجى البضاعة، عاجز اليراعة، واللهُ المستعان، وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وسيكونُ موضوعُ كتابتي ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ: «الكتابَ» و «السُّنةَ»، والدعوةَ إلى الله، والأمرَ بالمعروفِ، والنَّهيَ عن المُنكرِ، والإصلاحَ ما استطعتُ.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ، وإليه أنيبُ.

كتبه

أبو السَّمح)[٢] اهـ

* * * *

(١) هذا من أدبِ الشيخ، ولطفِه من أعلام عصرِه، كما سيأتي بيانه في المبحث الخامس عشر (ص).

(٢) «مجلة المنار»؛ عدد جُمادى الآخرة؛ سنة: (١٣٥٨هـ)؛ مجلد (٣٥)، صفحة: (٦٨).

المَبْحَثُ الحَادِي عَشَر

[مُجَادَلَتَهُ «أَهْلَ الحَدِيثِ»، فِي مَسْأَلَةِ «التَّمَذْهُب»]

[تمهيد]:

تحدَّثتُ في أكثرِ من موضعٍ من هذا البحث، على أهمية مدرسة «أهل الحديث»، وعلى خيرِها، وبركتِها، على الأمة الإسلامية، كما تحدَّثتُ عن مخاطر غُلاة هذه المدرسة تجاه «الفقه الإسلامي»، وخاصة «المذاهب الأربعة»، وأصولها، وأتباعها.

كما تحدَّثتُ ـ غير مرَّة ـ عن موقف العلامة عبد الظاهر أبو السَّمح رَحِمَهُ اللَّهُ، من المدرستين: «الحديثية»، و «الفقهية»، وبيَّنتُ أنَّه على منهج المدرسة الأولى، ولكنَّه ـ مع دعوته لـ «الاتباع»، وشدة نبذه لـ «التقليد» ـ مُعظِّمٌ لـ «الأئمة الأربعة»، ولم يكن يُنكر «التمذهب» الذي عليه عامة أهل الإسلام[١].

وهذا مقالٌ له رَحِمَهُ اللَّهُ، كنتُ قد أشرتُ إليه عند الحديث عن «مقالته»[٢]، وفيه موقفُه بجلاءٍ، من مسألة «الاتباع والتقليد» بصفةٍ عامة، ومن اتباع الناس لـ «المذاهب الأربعة» بصفة خاصة.

---

(١) انظر المبحث الثالث، والخامس عشر (ص ،).

(٢) انظر المبحث العاشر (ص).

[نصُّ المقال]:

(جماعة «أهل الحديث» في «الهند»

حديثٌ مع بعضِهم

في «الهند» جماعةٌ عظيمةٌ من «أهل الحديث»، كثَّرها اللهُ تعالى، ونصرَها، لا تعملُ إلا بـ «الكتاب» و «السُّنة»، وتُنكر «التقليد» الأعمى[١] أيما إنكار.

نشأتْ هذه الجماعة في «الهند» من أفرادٍ قليل عددهم، فلما قاموا بالدَّعوةِ إلى العمل بـ «الكتاب» و «السُّنة»، وإنكار «التقليد»؛ قامت بينهم وبين أهل المذاهب والفِرق خصوماتٍ شديدة، ثم منازعاتٍ عنيفة، استُعمِلت فيها العصى الغليظة، والمُدى[٢] وغيرها، وذهبتْ فيها أرواحٌ وسالت دِماءٌ.

وكانتِ النتيجةُ أنْ وقفوا جميعًا أمام «المحاكم» القانونية، فحُكِم لـ

---

(١) للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ حكمةٌ في تقييد «التقليد» المُنكر بـ «التقليد الأعمى»؛ لأنَّ التقليدَ على بصيرةٍ غيرُ مُنكرٍ، وعليه عامة عُلماء المذاهب الأربعة، ومن شذَّ منهم، فقد خالف أصول التمذهب الصحيح.

(٢) جمع «مُدْيَة»، وهي الشَّفْرة، وهي مُثلَّة الميم.

انظر: «القاموس المحيط» (ص ١٣٣٣).

«أهل الحديث» على خُصومِهم[١]، وأيدتهم «الحكومة المحلية» بعدم التعرض لهم، فاشتدَّ ساعِدُهم، وكثُرَ عددُهم، وخرج من رِبقة «التقليد»، وقيوده، خلقٌ كثيرٌ.

ومازالوا يَكثرونَ حتَّى صاروا ألوفًا مُنتشرينَ في جميعِ أصقاعِ «الهند»، فنساؤهم وصغارُهم لا يعرفون غير «قرآنٍ» و «حديث».

ولقد سمعتُ من بعضِ عُلمائهم في «الحرم المكي» ما لفظه:

إنَّ «التقليدَ» شركٌ في الرِّسالة.

وسمعتُ من بعضِهم من يقولُ:

كُلُّ عِبادةٍ يعملها «المُقلِّدُ»، ناويًا فيها اتباع أحدٍ، غيرِ رسول الله ﷺ ـ كائنًا من كان ـ؛ فهي باطلةٌ.

ـ قلت له: إذا كان مُقلِّدًا لأحد الأئمة: الشافعي، أو مالك، أو أبي حنيفة، أو أحمد بن حنبل مثلاً، ومعلومٌ هؤلاء الأئمة رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى مُتَّبِعون للرسول ﷺ؛ وهؤلاء المُقلِّدون مُتَّبِعون للمُتَّبعين؛ فتكون عبادتُهم صحيحةً، ضرورة أنَّ عِبادةَ الأئمةِ صحيحةٌ.

ـ فقال صاحبُنا: ليسَ الأمرُ كذلك، وإنَّما جاءها الفسادُ من قِبل «النِّيَّة»، فإنَّ الرسولَ ﷺ يقولُ: ((**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ**)). وهو حديثٌ صحيحٌ،

---

(١) وهم أتباع «المذهب الحنفي»، بل من غُلاتِهم.

رواه البخاري، مُبتدئًا به «كتابه»، ورواه غيرُه[١].

وقد أَمر الناس جميعًا أمرًا يعم الصحابة [ﷺ]، وغيرهم إلى يوم القيامة، باتباع محمدٍ ﷺ، لا فرق في ذلك بين أبي بكر الصديق وغيره.

والمُقلِّد حين يتوضأ، وحين يُصلي، يتبع غير الرسول ﷺ، وينوي تقليدَ غيرِه، مِمنْ لم يُؤمرْ باتِّباعه، وهذا هو السِّرُّ في بُعدِ الناس عنِ الرسول ﷺ، ووقوعِ الوَحْشة في قلوبِهم من اتباعه رأسًا؛ وذلك مصداقُ قولِه تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النُّور].

وأيُّ فتنةٍ أعظم من نسيان الرسول ﷺ، وتركِه، واتباعِ غيرِه، ممن ليس بمعصومٍ، مع أنَّ الإنسانَ حين يُوضع في قبرِه ويُسأل؛ يُقال له: «**مَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ، هُوَ رَسُولُ اللهِ، آمَنْتُ بِهِ، وَاتَّبَعْتُهُ. وَأَمَّا الكَافِرُ ـ أَوْ الْمُنَافِقُ ـ فَيَقُولُ: هَاه، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**»[٢]. وهذا هو «التقليدُ الأعمى» بعينِه.

---

(١) أخرجه أحمد في: «المسند»؛ برقم: (١٦٨)، والبخاري في: «الصحيح»؛ برقم: (١)، ومسلم في: «الصحيح»؛ برقم: (١٩٠٧)، وغيرهم، ولفظُه عند أحمد ومسلم بالإفراد: «**بِالنِّيَّةِ**»، وكذا هو عند البخاري برقم: (٦٦٨٩).

(٢) هذا حديثُ «سؤالِ القبر»، وهو معروفٌ، ولكني لم أجده بهذا اللفظ، ويبدوا أنَّ الشيخ يكتبُ المقالَ ارتجالاً من ذاكرتِه، فساقه بالمعنى.

⇦

فانظر كيفَ أجابَ «المُتَّبِع» لرسولِ الله ﷺ، وكيف أجابَ «المُقلِّد»؛ تَعرف الفرقَ بين «الاتباع» و «التقليد».

ـ فقلت له: ما تقول في قولِ الله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل، والأنبياء:٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء]. أليس في هذا ثبوتُ «التقليدِ»؟!

ـ قال: لا.

ـ قلت: كيف لا؛ واللهُ يأمرُ الجاهلَ أنْ يسألَ «أهل الذِّكر». وفي الآية الثانية: أنَّ من يتَّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين؛ يُوَلِّه اللهُ ما تولَّى، ويُصلِه جهنَّم، و «المُقلِّد» متبع سبيل المؤمنين في الجملة؟!

ـ قال: لا.

ـ قلت: إذن اشرحْ لي الآيتين، وبيِّن لي ما عِندك فيهما.

ـ قال: أمَّا قولُه تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾؛ فمعناه: أنَّ على الجاهل شيئًا من العِلم، أنْ يَسألَ عنه أهل العِلم. أي: أنَّ

= والحديث أخرجه الأئمة، من عدة طرقٍ، عن غيرِ واحدٍ من الصحابة ﷺ، بألفاظٍ مختلفةٍ؛ منهم: أحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٢٦٩٢٥)، والبخاري في: «الصحيح»؛ برقم: (١٨٤)، ومسلم في: «الصحيح»؛ برقم: (٩٠٥)، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

عليه أنْ يتعلَّم ليَعْلَم، وهذا الذي نريده.

ولاريبَ أنَّ السُّؤالَ عن العِلمِ حتَّى يُعلم، يناقض «التقليد»؛ ولذلك قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا؛ إِنَّمَا شِفَاءُ العِيِّ** (الجهل) **السُّؤَالُ**»[1].

---

(١) قطعةٌ من حديثٍ مشهورٍ، يُعرف بـ: «حديث صاحب الشَّجَّة»، والكلمة المُفسِّرة (الجهل)؛ مُدرجةٌ من كاتب المقال ـ أبو السَّمح ـ للإيضاح.

والحديث مختلفٌ في إسناده، فيُروى مرفوعًا، عن عطاء بن أبي رباح، عن كُلٍّ من: جابر بن عبدالله، وعبدالله بن عباس ﷺ.

١ ـ أخرج روايته عن جابر: أبو داود في: «السُّنن»؛ برقم: (٣٣٦)، والدارقطني في: «السُّنن»؛ برقم: (٧٢٩)، والبيهقي في: «السُّنن الكبرى»؛ برقم: (١/ ٢٢٧)، وغيرهم، من طريق الزُّبيْر بن خُرَيْق، عنه، عن جابر، به، مرفوعًا.

واللفظ المذكور في «المقال»، هو لفظ رواية جابر؛ لذا قدمتها.

وإسنادها لا يصح؛ الزُّبيْر بن خُرَيْق الجزري، قال الحافظ في: «التقريب» برقم: (٢٠٠٥): (ليِّن الحديث). **قلتُ**: وقد خالف فيه الأوزاعي كما سيأتي.

٢ ـ وأخرج روايته عن ابن عباس: أحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٣٠٥٦)، وابن ماجه في: «السُّنن»؛ برقم: (٥٧٢)، وأبو داود في: «السُّنن»؛ برقم: (٣٣٧)، والحاكم في: «المستدرك» (١/ ١٧٨)، والبيهقي في: «السُّنن الكُبرى» (١/ ٢٢٧)، وغيرهم، من طريق: الأوزاعي، عن عطاء، عن ابن عباسٍ، بنحوه.

واختُلِف فيه على الأوزاعي، فرُوِي عنه، عن عطاء موصولاً، ورُوِي مُرسلاً حيث ⇦

فالآية الأولى تحث الجاهل على التَّعلُّم؛ ليخرج من ظُلمةِ التقليد إلى نور العِلم. والثانية تُفيد أنَّ سبيلَ المؤمنين هو اتباع الرسول ﷺ، وعدم مشاقته، والمُقلِّدُ مُخالف سبيل المؤمنين، مُشاق للرسول ﷺ، ألا ترى أنَّ المُقلِّد يعمل عملاً في الصلاة ـ مثلاً ـ كإرسالِ يديه، دونَ وضعِهما على صدره، فتُنْكِرُ عليه ذلك فيقول مذهبي «مالكي»، أو أنا على «مذهب مالك»، فتذكرُ له حديثًا نبويًا صحيحًا يرويه مالكٌ نفسُه في «موطئه»، وغيره من «أئمة الحديث» فلا يلتفتُ إليك، ولا يأخذُ إلا بقول عُلمائه المُقلّدين.

ألا يصيرُ مُشاقًّا للرسول ﷺ حينئذ، مُراغمًا لـ «سُنَّتِه»، مُؤثرًا عليها قولَ الغيرِ؟! وكفى بهذا إثمًا كبيرًا.

ـ قلت له: ما العملُ إذًا في العوام والنِّساء؟! وكيف يتَّبعون الرسول

= صرَّح بأنَّه لم يسمعه من عطاء، فقال: (بلغني عن عطاء)، وفي رواية صرَّح بسماع الحديث منه، والصواب منها رواية الإرسال.

وللحديث طرقٌ أُخرى، ولا تخلو من مقالٍ، وقد اختلف فيه الأئمة صحة وضعفًا، وانظر:

وانظر: «العِلل» لابن أبي حاتم (١/ ٥١٢)، و «سُنن الدارقطني» (١/ ٣٥٠)، و «السُّنن الكبرى» للبيهقي (١/ ٢٢٧)، و «البدر المنير» (٢/ ٦١٥)، و «التلخيص الحبير» (١/ ٣٩٨)، و «التعليق المغني»؛ برقم: (١/ ٣٤٩).

ﷺ، وهم لا يعرفون «العربية»، وخصوصًا نِساؤكم، وعوامكم الأعجام.

ـ **قال**: إنَّنا نُعلِّمُ نِساءنا «العربية»، ونُقرئهن «كتب السُّنة» الصحيحة، وكذلك أولادنا، وأمَّا عوامّنا فقد اعتادوا أنْ يسألونا عن حُكمِ الله ورسولِهِ ﷺ، وأعتدنا ولله الحمدُ ألا نجيبهم إلا بـ «النصوص القرآنية» و «الأحاديث النبوية»، فإنْ لم نجدْ بحثنا عن فتاوى الصَّحابة ﷺ، والتابعين، والأئمة المهتدين [رَحِمَهُمُ اللهُ].

ـ **قلت**: قد رجعتُم إلى «التقليد»!

ـ **قال لا**: لأنَّنا ننظرُ مآخذ الأئمة، ونُرجِّحُ ما يشهدُ له «الدليل»؛ وهذا نادرٌ.

ـ **قلت**: ألا يكون العامي الذي يأخذ باجتهادِك وترجيحِك، مُقلِّدًا لك في هذه الحال، مفارقًا هدى الرسول ﷺ.

ـ **قال**: لا؛ لأنَّ العامي مُتبعٌ رسول الله ﷺ في عقائِده، وعبادته؛ وكُلُّ ما يلزمُ العوام منَ الدِّين ظاهرٌ واضحٌ بـ «النصوص»، وإنَّما تعرض بعضُ المسائل، فالواجبُ على العامي، أو من عرض له شيءٌ يجهله من أمر دينِه؛ أنْ يسألَ العالِمِ به، كما أنَّه إذا أرادَ أمرًا دنيويًا لا يُحسنه؛ يبحث عمَّن يُحسنه، ليعمل له، كبناءِ بيتٍ، أو نحو ذلك.

فالدِّينُ أهمُّ عند المُسلم من أمرِ الدُّنيا؛ فهو يبحثُ عن العالِمِ بـ «الكتاب» و «السُّنة» ليسأله، وفي هذا اجتهادٌ منه؛ وبسؤالِ العالِمِ عن حُكم الله ورسوله ﷺ، صار معذورًا. والعالِمُ إذا اجتهدَ في البحثِ عنِ

الصَّوابِ وأصابه، فله أجران، وإذا أخطأ، فله أجرٌ بما بذل من جهد.

ـ قلت: أليس منَ الصَّعب جدًا أنْ يتعلَّم نِساؤكم «العربية»، ثم قراءة «السُّنَّة»، وفهمها، و «القرآن»، وتفسيره.

ـ قال: إنَّ عندنا «مصاحف» عليها تفسيرها بـ «الأردية» و «الفارسية»، وكذلك «كتب السُّنة»، فاللواتي لا يعرفن «العربية» يقرأنَ الترجمة؛ فيفقهنَ معنى قول الله، وقول رسوله ﷺ، وهُنَّ يُعلمن بناتهن وأولادهن عمليًّا، وليس عندنا معشر «أهل الحديث» إلا قال اللهُ، قال رسولُه ﷺ؛ أو كذا فعل الرسول ﷺ، كذا هدى الرسول ﷺ، كما يدور ذكر «المذهب» على لسان «المُقلِّدين».

ـ ثم قال: وأني لأعجبُ منْ «مصرَ»، وهي كما يقولون: (عروس الشرق وزعيمة الإسلام، وفيها «الجامعة الأزهرية»). وليس لـ «أهل الحديث»، فيها ذِكرٌ، ولا لهم وجودٌ.

ـ قلت له: إنَّ في «الأزهر» كثيرًا من «أهل الحديث» السَّلفيين، و «أنصار السُّنة» العاملين، ولهم مجلة تُدعى «الهَدْي النبوي»[1]، غير أنَّهم بالنسبة لـ «جماعة أهل الحديث» في «الهند» قليلٌ، وسيكثرون، وتكون لهم

---

(١) أنشأها صاحبُه؛ العلامة: محمد حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ، وتقدَّم الكلامُ عليها في المبحث العاشر (ص).

مدارس تعليم «القرآن» و «السُّنة» خاصة إنْ شاءَ الله، وأنَّه يوجد في «مصر»، في كُلِّ بلدٍ وقريةٍ منها، جماعةٌ «سلفيِّون»، يُحبُّون «السُّنة»، ويعملون بها.

ـ قال: ولكن هل بينهم أحدٌ من أهل العِلم، يقرأ لهم «كتب السُّنة» بنظام.

ـ قلت: هذا لَمَّا يوجد بعدُ، ولكن في «مصرَ» أفذاذ عُلماء في «الحديث».

ـ قال: هل تعرفُ أحدًا منهم؟

ـ قلت: نعم أعرف:

١ ـ الأستاذ، العلامة، القاضي، المُحقِّق، الشيخ: أحمد [بن] محمد شاكر[1].

٢ ـ والأستاذ، العلامة، رئيس «جماعه أنصار السُّنة»، ورئيس تحرير «الهَدْي النبوي»، الشيخ: محمد حامد الفقي.

٣ ـ والعلامة، المفاضل، الشيخ: عبد ربه مفتاح، رئيس الوعظ والإرشاد.

٤ ـ والأستاذ، العالِم، الواعظ، الشيخ: عبد الوهاب العيسوي.

---

(١) أبو الأشبال، الحسيني، الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٨٩هـ)، من كبار عُلماء عصره، عالِم بالحديث، والتفسير، ومن كبار المُحَقِّقين، حقَّق ونشر جملة من كتب التراث، من أعظمها: تحقيق وشرح: «مسند أحمد»، و «الجامع» للترمذي، و «تفسير الطبري»، ولم يتمّها، والأخير بمشاركة أخيه أبي فهر رَحِمَهُ اللَّهُ، و «المُحلى» لابن حزم. انظر ترجمته في: «الأعلام» (١/ ٢٥٣).

وأعرف غيرهم كثيرين، ولله الحمدُ، لا تحضرني أسماؤهم الآن.

وحسبُكَ أنَّهم قضوا على وقوع «الطلاق الثلاث» بلفظٍ واحد، وقرَّروا «قانونًا»، يُعمل به الآن في «الحكومة»، بعدم وقوعِها، وهو خلاف «المذاهب الأربعة».

والآن في «مصرَ» نهضةٌ علميةٌ، قويَّة مُجددة، تُريد سنَّ نظامٍ من «الشريعة الغرَّاء»، غير مُقيَّدٍ بمذهبٍ خاص.

أما يكفيك هذا كُلَّه في أنَّ بـ «مصرَ» جماعاتٍ كثيرةً من «أهل الحديث»، والفِكر المستقلِّ، وشيخُهم الأكبر شيخ «الجامع الأزهر» أمامَهم يُشَجِّعُهم، وينفخُ فيهم رُوحَ التَّقدُّم، والاستقلال الفِكري، اقرأْ خُطَبه الغَرَّاء؛ ترَ ما يَسُرَّكَ.

انتهت بنا الحديث إلى هنا؛ إذ قامت «الصلاة» فودعته إلى الملتقى)[1] اهـ

* * * *

(١) «مجلة الهدي النبوي»؛ العدد (٥)؛ سنة: (١٣٥٦هـ).

وانظر نصَّ المقالِ كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (١٥٤).

المَبْحَثُ الثَّانِي عَشَر
[بَحْثُهُ لِمَسْأَلَةِ فَنَاءِ النَّارِ، وَاخْتِيَارُهُ فِيهَا]

[تمهيد]:

في أثناء بحثي في سيرة هذا العالم الجليل، رأيتُ له «مقالَيْن» له في مسألةٍ من مسائل «العقيدة»، وهي «فناء النار»، كان قد نشرهما سنة: (١٣٣٩هـ)، في «مجلة المنار»، تعقَّبَ فيهما شيخَه رشيد، على ما قاله في «تفسير المنار» حول المسألة.

ولم أرَ هذا «المقال» في «المجموع»، الذي عني بجمع مقالات الشيخ، بعنوان: «المقالات السَّلفية»؛ فرأيتُ وضعه هنا، إتمامًا للعمل، ولما في «المقال» من تعظيمِ التلميذِ لشيخِه، واحترامِ الشيخِ لتلميذِه رَحِمَهُمَاللهُ[1].

[٢ ـ تحرير محل النزاع في مسألة «فناء النار»]:

«اليوم الآخر» جزءٌ من أحداث الكون، والإيمان به ركنٌ من أركان «الإيمان» السِّتة، وفيه ثوابٌ، وعِقاب، و «جنَّة» يدخلها «المُوحِّدون»، ويخلدون فيها بلا موت، و «نارٌ» يدخلوها ـ مُؤقتًا ـ «عُصاة» المُوحِّدين، ثم مآلهم إلى «الجنة»، ويدخلها ـ أيضًا ـ «المشركون»، ولكن يخلدون فيها بلا موت.

---

(١) وسيأتي ـ بعد قليلٍ ـ أنَّ هذا منهجٌ عام لرشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ في «مجلة المنار»؛ مع مخالفيه.

وهـذه أُمـورٌ ثابتـةٌ بـ «الكتـاب» و «السُّـنة»، وعليهـا اعتقـادُ المسـلمين، ولكن أحدثت بعضُ «الطوائف» خلافًا، لا يعنيـا، كقـول «الخـوارج»: إنَّ أصحاب الكبـائر مـن المُوحِّـدين، مخلـدون في النـار، أو كقـول «المعتزلـة»: إنَّهم في «منزلةٍ بين المنزلتين»، ولكن الذي يعنينا ـ هنا ـ هـو بقـاء «الجنـة» و «النَّار»، بعد دخولها، وانتهاء المحاسبة، واستقرار أهلهما فيها.

أمَّا «الجنة»؛ فبقاؤها أبديٌّ، لا نهاية له، وهذا من فضلِ الله، ورحمتِه على «المُوحِّدين»، وهذا ما جاءتْ به نصوص «الكتاب» و «السُّـنة»، ولم ينكـره إلا أهل الضلال، كـ «الجهمية»، والقول بفنائها، كفرٌ، وتكذيبٌ لما قُطِع بـه في «الشرع».

أمَّا بقاءُ «النَّارِ» ودوامُها، بعد خـروج «عصـاة المُوحِّـدين» منهـا، وبقـاء «المشركين» فيها حقبةٌ طويلـة مـن الـزمن؛ فهـي مسـألةٌ خلافيـةٌ، مشـهورة باسم: «فناء النَّار»، فهل هي تبقى على حالها؟ أو تفنى؟ أم ماذا يحدث لها؟

والذي يعنينا هنا، هو الخلاف في ذلك بين «السَّلف»، دون غيرِهم مـن الفِرق الضَّالة، وما أحدثوه في المسألة.

[٣ ـ اختلاف «السَّلف» في مسألة «فناء النار»]:

اختلف النَّاسُ في هذه المسألة على عدة أقوال، مبسوطةٌ في مظانِّها، أمَّـا «السَّلف»، فقد اختلفوا فيها على قولين مشهورين؛ هما:

١ ـ القول ببقائها ودوامها، كالجنة.

٢ ـ القول بفنائها، اعتمادًا على الاستثناء الواردة في الآية، ولأنَّ فناءها بعد تعذيب المشركين فيها أحقابًا؛ هو الموافِق لسعة رحمة الله.

وأنا هنا لا أبحث المسألة، وأُرجِّح فيها، بل أُصورها، مع تبسيط الخلاف فيها؛ ليكون ذلك مَدْخلاً للموضوع، ومن أرادَ بسطَ الأقوالِ بأدلتِها، فعليه بما سيأتي من مصادر.

[٤ ـ المُصنَّفات في مسألة «فناء النار»]:

هذه من المسائل التي طال فيها الجدل، واتُّهم فيها بعضُ العُلماء، وحُمِلَ عليه ـ ظُلمًا ـ من أجل ما نُسب إليه فيها، ولم يتحقَّقْ قولُه فيها؛ لذا نجد أنَّ العُلماء اهتموا بالتنصيف فيها، ومِمن صنَّف فيها[(١)]:

١ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد كَتب فيها رسالته الشهيرة: «الرد على من قال بفناء الجنة والنار»، ورأيه في المسألة محلُّ بحثٍ ونقاشٍ.

---

(١) سأكتفي بذكر بعض ما طُبع، وفيها غُنيةٌ لمن أراد بحث المسألةِ، وهي مبحوثةٌ في بطون كتب «الاعتقاد»، و «التفسير»، ومن مواضع بحثِها في كتب «التفسير»: الآية (١٢٨) من «سورة الأنعام»، والآية (١٠٧) من «سورة هود»، والآية (٢٣) من «سورة النبأ».

ومن أراد فقه المسألةِ، بالاقتصار على مصدرٍ واحدٍ؛ فعليه بـ «حادي الأرواح» لابن القيِّم (ص ٧٣٠) وما بعدها، أمَّا ما قبلها فعن أصل المسألة، ومنه «بقاء الجنة».

٢ ـ ثم ردَّ عليه السُّبكي الأب ـ وما أنصفَه ـ في: «الاعتبار ببقاء الجنة والنار».

٣ ـ بعده كتب مرعي الكرمي: «توقيف الفريقين على خلود أهل الدَّارين».

٤ ـ ثم تبعه الصنعاني بـ: «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار».

٥ ـ وأخيرًا د. علي الحربي في: «كشف الأستار لإبطال ادِّعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم الجوزية».

[٥ ـ رأي العلامة رشيد رضا حول «فناء النار»]:

عُرف عن العلامة رشيد رضا «الاستقلال» في فكره، ونبذ «التقليد»، ونشر ما يراه ـ باجتهادِه ـ صوابًا، دون تبعيةٍ لأحد، فكان له اختيارات، انتُقد عليها، وكان مما انتُقِد عليه قوله بـ «فناء النار»، مع أنَّ له فيها سلف، وتطرَّق للمسألة في «تفسيره»، عند أحدِ موضِعها، وهو الآية (١٢٨)، من «سورة الأنعام»[1]، وأطالَ ـ جدًا ـ في بحثها، وغالبُ بحثِه نقولٌ مُجرَّدة، ولم يكن له فيه إلا اليسير من الكلام، الذي ربط به بين هذه النُّقول، وشيء من التحليل العلمي اليسير لها؛ وليس هذا لعجره، بل اكتفاء منه ببحثِ ابن القيِّم.

---

(١) «تفسير القرآن الحكيم»، المعروف بـ: «تفسير المنار» (٨/ ٦٩).

أمَّا مصادِرُه في بحثِّه للمسألة، فلم يخرج ـ غالبًا ـ عن:

١ ـ «جامع البيان»؛ لابن جرير الطبري ت (٣١٠هـ)، ونقلَ منه فقرة يسيرة[١].

٢ ـ «حادي الأرواح»؛ لابن قيِّم الجوزية ت (٧٥١هـ)، ونقلَ منه بالنَّص صفحاتٍ كثيرة، متتابعة، وشكَّل هذا المصدرُ، جُلَّ كلامِه في المسألة[٢].

٣ ـ «الدُّرِّ المنثور»؛ لجلال الدين السّيوطي ت (٩١١هـ)، ونقل منه تلخيصًا لكلامِه في المسألة[٣].

٤ ـ «روح المعاني»؛ لأبي الثناء محمود الألوسي ت (١٢٧٠هـ)[٤].

٥ ـ «جلاء العيْنَيْن»؛ لأبي البركات نعمان الألوسي (١٣١٧هـ)[٥].

وقد خَلصَ في آخر نقلِه ـ الطويل جدًا ـ عن ابن القيّم؛ إلى الثناء الكبير على ابن القيِّم، ولاسيما تقريره في هذه المسألة، الذي أفصح عن سعة رحمة الله، وخفي لطفه، وجليل إحسانه، كما قال.

---

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٩/ ٥٥٧)، و (١٢/ ٥٨٢).

(٢) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢/ ٧٣٠)، وما بعدها.

(٣) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٦/ ٢٠١)، و (٨/ ١٤٠).

(٤) «روح المعاني» (٨/ ٢٦)، و (١٢/ ١٤٦).

(٥) «جلاء العينين» (ص ٤٠٩)، ومُؤلِّفُه هو ابنُ السابق.

وعندما رأى النَّاسُ حماسَه لطرح المسألة، وبسطِها، ونقلَه الطويل ـ جدًّا ـ لكلام ابن القيِّم، وثناءَه عليه، دُونَ الاعتراضِ عليه، أو نقدِه؛ ظنُّوا أنَّه يرى فناء النَّار؛ فكان ما سبق كافِيًا في نسبة القول إليه، فثارت عليه المشكلة.

والغريب أنَّ ابنَ القيِّم نفسَه، وهو من بحثَ المسألة، وجلدَها، لم يختر أحدَ قولي السَّلف، واكتفى بقوله عند آخر بحثِه للمسألة:

(فإنْ قيلَ: إلى أين أنتهى قدمُكم في هذه المسألةِ، العظيمةِ الشَّأنِ، التي هي أكبرُ منَ الدُّنيا، بأضعافٍ مضاعفةٍ؟

قيل: إلى قولِه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود]. وإلى هنا انتهى قدَمُ أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فيها؛ حيثُ ذَكرَ دُخولَ أهلِ الجنَّةِ «الجنَّةَ»، وأهلِ النَّارِ «النَّارَ»، وما يلقاهُ هؤلاءِ وهؤلاءِ، وقال: (ثُمَّ يَفعلُ اللهُ بعدَ ذلِكَ ما يَشاءُ). بلْ وإلى هاهُنا انتهتْ أقدامُ الخلائق)[1] اهـ

لذلك لم يجزمْ رشيد رضا برأيٍّ في المسألة، وقال في موضعٍ آخر:

(راجعَنا أفرادٌ من قُرّاء «المنار»، فيما نقلناه عن كتاب «حادي الأرواح»، في مسألة الخلاف في «فناء النار وبقائها»، وما رجوناه من

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢/ ٧٩١).

إقناعِه لبعض المُنكرين، لعدم نهاية عذابها، مع عدم تضرّر المؤمنين بقول الجمهور به، ورأينا بعضَهم فَهِم من كلام ابنِ القيِّم أنَّه يُرجِّح القولَ بـ «فناء النَّار»، ويختاره، وإنَّنا وافقناه على ذلك، بما قفَّيْنا عليه.

ولم نرَ أحدًا منهم فَهِم قولَنا، حقَّ الفهم، ولا قولَه، وقد تيسَّر لنا إفْهامُ مَن كلَّمَنَا في ذلك مشافهةً، حتَّى اتَّفَقْنا فيه رأْيًا)[1] اهـ

قلتُ: فتبَّين من ذلك أنَّ ابنَ القيِّم ـ ومعه رشيد ـ لم يرَ القول بـ «فناء النَّار»، وغايةُ الأمرِ أنَّه رأَى أنَّه قولٌ له حظٌّ منَ النَّظر، فاستدلَّ له، والله أعلم.

[٦ ـ انتقاد العُلماء لرشيد رضا]:

كان رشيد رضا ذا قلمٍ قوي، وكاتبًا مقبولاً، وينتظر الناس ما يجود به قلمه، تأليفًا، أو مقالةً، وما إن نُشِر له هذا القَدْر من التفسير، حتى انتقده بعضُ العلماء، وطلبة العلم؛ ومنهم: العلامة: عبد الظاهر أبو السَّمح، والعالم الجليل: إبراهيم بن محمد عريقات، الأزهري[2].

---

(١) «مجلة المنار»؛ عدد رجب، سنة: (١٣٣٩هـ)، مجلد (٢٢)؛ صفحة: (٣١٥).

قلتُ: لعلَّه عنى تلميذه أبو السَّمح، من بَيْن من عناهم في كلامِه هذا، والله أعلم

(٢) إمام وخطيب «مسجد عز الدين، بـ «برنبال»، بـ «الغربية»، وهو من تلاميذ محمد عبده، ومن كُتَّاب «المنار»، وكان يعدُّ نفسه من تلاميذ رشيد رضا، ومن شجاعته كتب رسالة إلى الملك فؤاد الأول، بعنوان: «الدِّين قبل كل شيء»، يطلب منه تفعيل ⇦

وكان نقدهم لرشيد رضا على محورين:

أولهما: عدم الحِكمة من نشر مثل هذه المسائل، أمام الناس.

وثانيهما: عدم قبولهم ترجيحه لرأي ابن القيِّم، كما سيأتي.

[٧ ـ ترحيب رشيد رضا بنقدِه]:

مع تمسّك رشيد برأيه حوله المسألة، وقناعته بالطرح العِلمي لابن القيِّم، حول هذه المسألة، إلا أنَّه رحَّب بمن انتقده، وتقبَّل اعتراضَهم، بل ونشره في مجلته «المنار»، وهي المجلة التي سبق أنْ نشر فيها ما تم الاعتراض عليه، وهذا من تقديره للعُلماء، وإنصافه لعلمهم، ورحابة صدره معهم.

= المادة الثانية من «الدستور»، التي تنص على أن يكون «الدِّين الإسلامي»، هو الدِّين الرسمي لـ «مصر»، وطالب المَلِك بأسلوبٍ مُؤدَّبٍ يليق به بـ: جعل التعليم الديني، ومنه «القرآن»، إلزاميًا على جميع المدارس الحكومية والأهلية، منع البغاء، والخَمَّارات، ومعاقبة تارك الصلاة، والمجاهر بالفطر في رمضان.

وقد نشرتِ «المنار» هذه الرسالة في عدد محرم، سنة: (١٣٤٩هـ)، مجلد (٣١)، صفحة: (٧٦).

ورأيتُ له ترجمة في «مجلة سنابل الأدبية» بتاريخ (٢٦/ ١/ ١٤٣٧هـ)، ولها موقعٌ إلكتروني.

ولكنَّه خشي من اتساع الأمر، وخروجه عن أصلِه؛ فطلب منهم ألا تخرج مقالاتِهم الاعتراضية، ونقدِهم له، عن المحور الأساس للمسألة.

وسعة صدر الشيخ رشيد رضا مع مخالفيه في هذه المسألة، لم يكن لحساسيَّتِها، ولوجود الخلاف فيها في إطار «السَّلف» من القديم، بل هذا منهجٌ عام له رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجلة المنار»؛ فإنَّه يَهتمّ بآراءِ القُرَّاء، ونقدِهم، وتجدُ ذلك في عدة مواضع منها، بل كان يُخصِّص في مجلتِه بابًا لمن ينتقد «المنار»، ويَعتبر ذلك من «الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر»، وأنَّ مَن يَرى خطأً عليه، ولم ينتقدْهُ؛ فقد عصى!

وكان يَعِدُ مُنتقديه من قُرَّائه، بنشر ما يكتبون به إليه، على وجه الانتقاد، وأنَّه سينظر فيه، فإنْ كانَ النَّقدُ حقًّا سلَّم به، وإنْ لم يرَه كذلك تعقَّبَه، وفي كلا الحالتين ينشره[1]، ومسألة «فناء النَّار» ـ التي نتكلَّم عنها الآن ـ مثالٌ لذلك.

---

(١) وأمثلة ذلك في «مجلة المنار» ظاهرةٌ، لا تحتاج إلى تمثيلٍ، وانظر على ـ سبيل المثال ـ زاوية: «باب الانتقاد على المنار»، وهي في عدة أعداد، ومقال «الدعوة إلى انتقاد المنار»، وغيرها.

وانظر على سبيل المثال: «مجلة المنار»؛ عدد محرم، سنة: (١٣٢٠هـ)، مجلد (٥)؛ صفحة: (٩٥٧)؛ وعدد ذي الحِجَّة، لسنة: (١٣٢١هـ)؛ مجلد (٦)؛ صفحة: (٩٥٩)؛ وعدد محرم، لسنة: (١٣٢٥هـ)؛ مجلد (١٠)؛ صفحة: (٩)؛ وعدد محرم، لسنة: ⇦

[٨ ـ قِراءةٌ في مقالَيْ أبو السَّمح]:

قبل أنْ أسوق نصَّ «مقال» الشيخ أبو السَّمح؛ أُقرِّب مقصده في «مقاله»؛ فقد كان له على «تفسير» شيخِه رشيد مأخذان: مقاصديٌّ، وعِلميٌّ، وهذا بيانهما:

١ ـ **المأخذ المقاصدي**: أَخذ على شيخِه رشيد نشرَه هذه المسألة ـ تفصيلاً ـ بين الناس؛ لما تُحدِثه من فتنةٍ، وكأنَّه لا يرى مُناقشةَ مثل هذه المسائل، وتركها في بُطون الكتب، وهذا نابعٌ من غيرته على دينِ الله، وحرصِه على عامة المسلمين، من اطلاعهم على خلافاتٍ في دقيق المسائل، التي قد تضرهم، ولا تنفعهم.

قلتُ: لا أرى أنَّ هذا المأخذَ في محلِّه؛ لأنَّ هذه الخِلافات، بأقوالِها، وأدلتِها، مبسوطةٌ في الكتب، ومتاحةٌ للناس، ولو سلَّمْنا بهذا المأخذ، لكان محلُّ نقدٍ على الأئمة السَّابقين، ومنهم: ابن تيمية، وابن القيِّم، ثم إنَّ «تفسيرَ المنار»، لخواصِّ المثقفين منَ العُلماء، وغيرهم، ولا يَمدُّ يدَه إليه ـ عادة ـ عامة الناس.

لذلك؛ قال رشيد ردًّا على من انقده بطرح مثل هذه الأمور على العامَّة:

= (١٣٢٦هـ)؛ مجلد (١١)؛ صفحة: (٦)؛ وعدد ربيع الأول، لسنة: (١٣٣٣هـ)؛ مجلد (١٨)؛ صفحة: (٣١).

(ونُذكِّرهم ببعض ما سبق لنا من القول، في أمثال هذه المسائل:

١ ـ إنَّ المسألةَ خلافية بين المسلمين، لا إجماعية، وقد نقلَ الإمام الطَّحاوي فيها ثمانية مذاهب في «عقيدته»[١]، عز اثنين منهما لـ «أهل السُّنة».

أحدُهما: أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يُبقيها ما يشاء ثم يفنيها.

والآخرُ: قول الجمهور المشهور.

وابنُ القيِّم لم ينقلْ إلا سبعةَ أقوالٍ.

وقد ذُكِرَ الخلافُ في كثير من كتب: «العقائد»، و «التفسير»، و «الحديث».

٢ ـ إنَّ الطحاويَّ لما ذَكر القولين، اللذين عزاهما إلى «أهل السُّنة»؛ قال: وليُنظر في دليلِهما[٢].

---

(١) «عقيدة» الإمام أبو جعفر الطَّحاوي ت (٣٢١)، متنٌ مختصرٌ، في ورقاتٍ، لا يحتملُ ذِكرَ مُجرَّدِ الخلاف، فضلاً عن عرضِ ثمانيةِ أقوالٍ، لمسألةٍ واحدةٍ، وإنَّما أراد رشيد «شرح العقيدة الطحاوية» للإمام ابن أبي العز الحنفي ت (٧٩٢هـ)، وما ذكره موجودٌ فيه (٢/ ٦٢٠).

ومُرادُه ظاهِر، ولكن سبق قلمه، ونبَّهتُ عليه، لأنَّ ذلك تكرَّر معه، كما سيأتي.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٦٢٦).

فجاء بعده ابنُ القيِّم، وبسط دلائلهما، ولم يجزمْ بهذا، ولا ذاك، بل فوَّض الأمرَ فيه إلى إرادةِ الله، ومشيئتِه، وهو القول الثامن، أو التَّاسِع، لـ «أهل السُّنة».

٣ ـ إنَّ «المنار» لم ينشرْ مطويًّا، فالكتب التي ذكر فيها الخلاف متداولة بين الناس، ولا سيما «الدُّر المنثور» للسيوطي، و «شرح عقيدة السَّفاريني»، وما زاد «حادي الأرواح» على غيره إلا تلك المسائل الدقيقة، في حكم الثواب والعقاب، ورحمة الله تعالى، وحكمته في الجزاء، والتفرقة بين صفات الذات، وصفات الأفعال، وهي التي نوهنا بفضلِه، وأثنينا على سعة عِلمه، ومعرفته، لأجلِها دون أصل المسألة المشهورة قبله)[1] اهـ مختصرًا

٢ ـ المأخذ العِلمي: وهو على ابن القيِّم، ومن قال بقولِه في المسألة.

وقد اختصر أبو السَّمح في مناقشة المأخذ الأول، وأطال، واستطرد في الثاني، حتَّى أنَّ مُناقشتَه على هذا المأخذ، استغرقت مقالَيْن متتابعين، ووعد بثالثٍ، ولكني لم أرَ له ـ بعد البحث ـ مقالاً ثالثًا، يُكمل به بيان هذه المسألة؛ فلعلَّه انشغلَ بعدُ، ولم يكتب بعد ذلك شيئًا، والله أعلم.

وأخيرًا؛ أُنبِّه إلا أنَّ «مقال» أبو السَّمح، لن يُفهم في بعض المواضع، إلا عند استحضار كلام مَنْ كُتِب «المقال» للرَّدِّ عليه، وهما: ابن القيِّم،

---

(١) «مجلة المنار»؛ عدد رجب، سنة: (١٣٣٩هـ)، مجلد (٢٢)؛ صفحة: (٣١٥).

ورشيد؛ لذا قد تضطر في بعض المواضع، للرجوع إلى «تفسير» رشيد، و «حادي» ابن القيِّم.

ولم أُعنَ ـ كثيرًا ـ ببيان ذلك كثيرًا، ولا مُناقشة المسألة تعليقًا؛ لأنَّ هدفي نشر «مقال» الشيخ عبد الظاهر، لا مناقشة المسألة.

[٩ ـ نص المقال الأول «أبدية النار»(١)]:

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي تنزَّه عن الخطأ والنسيان، وجعلَ ذلك في الإنسانِ، دليلاً على كمالِ ربوبيته، وأنَّه الواحدُ الدَّيَّان، وأشهدُ ألا إله إلا هو، مُنزل «القرآن»، بالوعد والوعيد، على سيِّد الأكوان، محمدٍ خاتم النَّبيين، وإمام الغُرِّ المُحَجَّلين، صلى الله عليه، وعلى آله، ومنَ اقتفى أثره، واتَّبع سُنَّته إلى يوم الدِّين.

أما بعد؛ فقد رأيتُ لأستاذِنا العلامة «صاحب المنار»، نقلاً في «فناء النَّار»، معزوًّا لابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابِه «حادي الأرواح»، أعقبَ به تفسيره في آية الأنعام: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ** ﴾ [الأنعام: ١٢٨] إلخ.

---

(١) ذكر السَّيِّد رشيد في افتتاحية «المقال»، أنَّه ورده بدون عنوان، والعنوان الذي اخترتُه، هو نص عنوان المقالات التي دار حولها النقاش والبحث، وهو مُعبِّرٌ عن رأي الشيخ في المسألة، وهو ـ أيضًا ـ عنوان المسألة نفسِها الوارد في «حادي الأرواح» لابن القيِّم (١/ ٧٣٠)، والذي دار حوله مقال السِّيد رشيد رضا.

فدُهشتُ من قولِ ابن القيِّم، وأنكرتُ عليه ذلك القولَ، كما أنكرتُ على أستاذِنا «صاحب المنار» نقلَه في «منارِه» ونشرَه بين الناس، وقد كتبتُ له في ذلك وكتبَ لي، وقد ذكرَ الأسبابَ التي دعتهُ لإيرادِ ما نقلَ.

ولما رآني مُصِرًّا على إنكاري، خاشيًا عواقبَ هذه النُّقول على العامة؛ كتب لي ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ بأنْ أكتبَ ما يدفعُ الضَّررَ الذي أخشاه، ريثما يعودُ هو للموضوعِ نفسِه في تفسير آية «هود»، إذا كنتُ أظنُّ أنَّ المُدَّةَ إلى ذلك الوقتِ تطولُ؛ فكتبتُ ما سيأتي، مُستعينًا بالله، مُتحرِّيًا الاختصارَ المفيد، راغبًا عن التطويل المُمِل، إلا ما دعتْ إليه الحاجة.

وقبل البِدْءِ في كتابةِ ما أردتُ، أُقدمُ شُكري لأستاذي العلامة، السَّيد: محمد رشيد، على سعة صدرِه لي، وقبولِه نقدي، واحترامِه رأيي ـ مع أني تلميذه ـ، ولو لم يكنْ في هذا الانتقادِ، إلا بيانُ فضلِ الأستاذ، السيد: محمد، أستاذِنا في سَنِّه سُنَّةً[1] أَماتَها الذين لا يُحبون الحقَّ، ويخافون أنْ تظهرَ عيوبُهم، أو تُنتقص شيوخُهم، لو لم يكن إلا ذلك لكفاه فخرًا، ولا سيما أن المنتقد تلميذه، وقد أفسح له صدرًا «مناره» للانتقاد عليه، وعلى

(١) السُّنة التي سَنَّها، أي: الطريق والمنهج الذي سلكه، وهو فيما سيأتي يمدحُ شيخَه رشيد، في طريقته مع تلميذه، لأنَّه يباحثه، ويحاوره علميًا، ويكاتبه، ومن ثقته فيه، وتقديره له، أنَّه يسمح له أنْ يردَّ عليه، ويتعقَّبه، ثم يقوم بنشر ما كتبه، في مجلتِه التي سبق له أنْ نشر فيها المقال الذي يرد عليه!

شيخنا ابن القيِّم العلامة رَحِمَهُ اللَّهُ فلْيَحْيَ «المنار» وصاحبه، رافعًا راية الحق، مُرشدًا الناس إليه، بالقول، والعمل، والسَّلام.

قال أستاذي «صاحب المنار» بعد تفسيره الآية على الوجه الأكمل[١]:

وقد استوفى ذلك بالإسهاب المُحقِّق ابن القيِّم في كتابه «حادي الأرواح»[٢].

فقال: (فصل): وأمَّا «أبدية النَّار» إلخ، وساق أقوالاً سبعة.

وكأنَّه لم يرضَ إلا القول السَّابع، وهو فناؤها.

وقال[٣]: قال شيخ الإسلام:

وقد نُقل هذا القول عن: عُمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد [رضي الله عنهم]، وغيرهم.

وساق رواية عبد بن حميد في «تفسيره»، وطفق يُقوِّي السَّند بما يشيد من ذكر بعض الشيوخ، ويقول: وحسبُك بهذا الإسناد جلالة.

ونحنُ نقول له[١]:

---

(١) قال ذلك في: «تفسير القرآن الحكيم»، المعروف بـ: «تفسير المنار» (٨/ ٧٠)، عند تفسير الآية: (١٢٨)، من «سورة الأنعام».

(٢) «حادي الأرواح» لابن القيِّم (١/ ٧٣٠).

(٣) أي ابن القيِّم، وكذلك قوله فيما يأتي: (وساق)، (ويقول)، ولم يقصدْ شيخه رشيد.

حسبُك أنَّ الحسن لم يَسمع من عمر، وإنْ اعتذرَ عن ذلك بقوله: وإنْ لم يَسمع من عمر إلخ، وجَزَمَ الحسنُ بصحَّة الخبر عن عمر.

بل صحته عن عُمرَ نفسِه، لو صح لم يجز التَّعلُّق به، في مسألةٍ سمعيةٍ، اعتقاديةٍ، غيبيةٍ، زِدْ على ذلك أنَّ عُمرَ ليس رسولاً، ولو كان رسولاً، ورُوِيَ عنه بمثل هذا الإسناد المعلول؛ لما ساغَ لنا الأخذُ به، والتعويل عليه، فما بالك وعمر ﷺ ليسَ رسولاً، ولا السَّندُ إليه صحيحًا.

وكيفَ يقولُ عمرُ هذا القول، ويُروى عنه، وهو الذي عُرِفتْ شدته في الدين؟! وهو الذي ضرب أبا هريرة [ﷺ] في صدره بين ثدييه، ضربةً ألقاه على اسْتِه، وفي يده نَعْلا رسول الله ﷺ إذ بعثَه يُخبر: ((**مَنْ لَقِيَ اللهَ يَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبَه دَخَلَ الجَنَّةَ**)). فذهبَ أبو هريرة مُجهِشًا إلى النَّبي ﷺ، شاكِيًا له من عُمرَ، فجاء عُمرُ في خلْفِ أبي هريرة، فقال ﷺ: ((**مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟**)). قالَ: يا رسولُ الله، بأبي أنتَ وأُمِّي، أَبعثتَ أبا هريرة؟ فقال ﷺ: ((**نعم**)). قال: فلا تفعلْ، فإني أَخشى أنْ يتَّكِلَ الناسُ عليها، فخلِّهم يَعملونَ. قال رسول الله ﷺ: ((**فَخَلِّهِم**))[٢].

هذا معنى ما رواه مسلم في «الصحيح»، فهل عُمر بعد هذا يقول ما

=

(١) من هنا يبدأ ردُّ أبو السَّمح على ابن القيِّم.

(٢) أخرجه مُسلمٌ في: «الصحيح»؛ برقم: (٣١)، عن أبي هريرة ﷺ، مرفوعًا.

رواه عنه ابن حُمَيْد والحسن؟! وأيُّ الإسنادَيْن أصح؟! وأيُّهما أحقُّ أنْ نأخذَ به عن عُمر؟!

على أنَّ شدة عمر في الدِّين، لا تخفى على أحدٍ، ممن شَمَّ رائحةَ الإسلام؛ وقد رُوِيَ عنه أنَّه كانَ يقولُ: يا ليتَ أُم عُمرَ لم تلدْ عُمرَ(١).

وكان يقولُ: ليتني شجرةً تُعضد(١).

---

(١) مشهورٌ عنه ﷺ بهذا اللفظ، ولم أجدْه به مُسندًا.

وقد أخرج ابن المبارك في: «الزهد»؛ برقم: (٢٣٤)، ومُسدَّد في: «المُسند»؛ برقم: (٣٩٠٢)، وابن أبي شيبة في «المُصنَّف»؛ برقم: (٣٤٤٨٠)، والبيهقي في: «شعب الإيمان» (٢/ ٢٢٨)؛ عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: رأيتُ عمرَ بن الخطاب ﷺ أخذ تِبنةً من الأرضِ، فقال: (يَا لَيْتَنِي هَذِهِ التِّبْنَةُ، لَيْتَنِي لَمْ أَكُ شَيْئًا، لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، لَيْتَنِي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا).

وفي إسناده: عاصم بن عُبيد الله العدوي، قال عنه الحافظ في: «التقريب» (٣٠٨٢): (ضعيفٌ)، ولكن قالَ بثبوت الخبر عن عُمر ﷺ: ابن بطَّال في: «شرح صحيح البخاري» (٣/ ٣٨٢)، وابن المُلَقِّن في: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٠/ ١٩٢).

وفي الباب عنه ﷺ أنَّه: ضرب بدُرَّتِه الأرضَ، ثم نادى بأعلى صوتِه: (أَلَا لَيْتَ أَنَّ أُمَّ عُمَرَ لَمْ تَلِدْهُ، يَا لَيْتَهَا كَانَتْ عَاقِرًا، لَمْ تُعَالِجْ حَمْلَهَا، أَلَا مَنْ يَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا وَلَهَا).

أخرجه أبو نعيم في: «حلية الأولياء» (٢/ ٨٣)، في سياق قصةٍ طويلةٍ في خبر أُويسٍ القرني، ولا يصحُّ إسنادُه.

=

(١) لم أجده من قول عُمر ﷺ؛ لكنِّي وجدته موقوفًا على أبي ذرٍّ ﷺ، جاء مُدرجًا من كلامِه في آخرِ حديثٍ مرفوعٍ إلى النبي ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ... الحديث**». قال أبو ذر: (وَالله لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ).

أخرجه: أحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٢١٥١٦)، وابن ماجه في: «السُّنن»؛ برقم: (٤١٩٠)، والترمذي في: «السُّنن»؛ برقم: (٢٣١٢)، والبزَّار في: «البحر الزَّخَّار»؛ برقم: (٣٩٢٥)، عن أبي ذرٍّ ﷺ، عن النبي ﷺ مرفوعًا.

وجاء التصريح بالإدراج عند أحمد، ولم يُصرَّح بذلك عند ابن ماجه، وعند الترمذي جاء ضمن المرفوع، فقال الترمذي بعده:

(هذا حديثٌ حسنٌ غريب، ويُروى من غير هذا الوجه أنَّ أبا ذرٍّ ﷺ، قال: لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ، ويُروى عن أبي ذرٍّ ﷺ موقوفًا).

وقال البزَّار: (هذا الحديثُ لا نعلمه يُروى عن أبي ذرٍّ ﷺ إلا من هذا الوجه، ولا نَعلم له طريقًا غيرَ هذا الطريق، ولا نَعلم رَوى مُجاهد، عن مُورِّقٍ، عن أبي ذرٍّ إلا هذين الحديثين، قال أحمد: وأَحْسَبُ أنَّ هذا الكلامَ الأخيرَ من قولِ أبي ذرٍّ أعني: لَوَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ).

قلتُ: الحديث ضعيفُ الإسنادِ، وحسنٌ بشواهده، والصَّوابُ في الجملة المعنِيَّة بالتخريج، أنَّها مُدرجةٌ من قولِ أبي ذرٍّ ﷺ، وجاء التصريح بكونها مُدرجة من قولِه ﷺ، عند جماعة؛ منهم البيهقي في: «السُّنن الكبرى» (٧/ ٥٢)، و «الجامع للشُّعب»؛ برقم: (٢/ ٢٢٦، ٢٢٨).

كما رُوِي الحديثُ كاملاً موقوفًا على أبي ذرٍّ ﷺ.

ولكن ثبتت عبارة: (وَدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ) من قول أبي ذرٍّ ﷺ.

⇦

ونحو هذا كثير في «السِّير»(١).

ثم كيف يقول هذا القول أبو هريرة، وهو صاحب القصة؟! ويتكلَّم في «فناء النار»، وهو وغيره من الصحابة [ﷺ] كانوا أحرصَ النَّاسِ، على قول رسول الله ﷺ، وأرغبَهم عن الخوضِ فيما ليس لهم به علم؟! وقد كان يكون عندَ بعضِهم الخبرَ عن رسولِ الله ﷺ يكتمه، خشيةَ افتتانِ النَّاسِ به، فلا يُفْشِه إلا عندَ موتِه تأثمًا؛ يعلمُ هذا كُلُّ من قرأ «الصَّحيحيْن»، وغيرهما من «كتب السُّنة».

ولستُ أَظنُّ أنَّ ابنَ القيِّمِ لم يرَ ذلك، وهو الإمام الحافظ، المُطَّلِع على ما لعلنا لم نطلعْ عليه، ولم نرَه للآن، ولكن لم يكن معصومًا من الخطأ

= وانظر للاستزادة: «الزُّهد» لوكيع؛ برقم: (٣٣، ١٥٩)، و «المُصنَّف» لابن أبي شيبة؛ برقم: (٣٤٦٨٢)، و «الزُّهد» لأحمد (ص ١٨٢)، و «الزُّهد» لهنَّاد؛ برقم: (٤٤٩، ٤٥٠، ٤٦٨)، و «الزُّهد» لأبي داود (٢٠٣، ٢٠٤)، و «الزُّهد» لابن الأبي عاصم (٦٦)، و «المُستدرك» (٢/ ٥١٠)، و (٤/ ٥٤٤، ٥٧٩)، و «حلية الأولياء» (١/ ١٦٤، ٢١٦)، و (٢/ ٢٣٦)، و «شرح السُّنة» (٤١٧٢).

وأخرج ابن أبي شيبة في: «المُصنَّف»؛ برقم: (٣٤٥٢١)، العبارة المعنية، من قول عبد الله بن مسعود ﷺ.

(١) وانظر أيضًا: «الزُّهد» لهنَّاد (١/ ٢٥٨)، و «الجامع لشعب الإيمان» (٢/ ٢٢٦)، و «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٠/ ١٩٢)، و (٣٢/ ٦٢٢).

والنسيان.

ومَنْ لم يكن عنِده علمٌ باصطلاح المُحدِّثين، وتحريهم صحة السَّند، وقولِهم في الرِّجال، وقبولِهم الحديث الصحيح، وردِّهم ما لم يصح، ولو كان في سندِه أقلُّ عِلَّةٍ، مَن لم يكن عالِمًا بذلك؛ فحسبُه «مقدمة صحيح مسلم»؛ لِيَعلم ما شَرْطُه ـ وهو دون البخاري ـ وهذا كُلُّه دائرٌ حولَ حديث رسول الله ﷺ، لا عُمر [رضي الله عنه]، ولا غيره.

فلهذا؛ يَرى مُريدُ الحقِّ، أنَّ هذه الرِّوايات غيرُ صحيحةٍ عنِ الصحابة رضي الله عنهم، وهي أشبَهُ بقولِ «اليهود» الذين غرَّهم في دينِهم ما كانوا يفترونَ، وأرادوا تغريرَ المسلمين، وخدعهم.

وقوله[1]: قال النبي ﷺ: «(**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا**)) إلخ، فلم نذْرِ حالَه، ولم يسندْه، ولم يَعزُه[2].

---

(١) أي: ابن القيِّم، وانظر: «حادي الأرواح» (٢/ ٧٣٥).

والنص في «المنار»: (وقوله: قال النَّبي ﷺ ص ١٨ من الجزء الأول: «(**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ**...)»...). وهي إحالةٌ إلى مصدره، ولم تتبَيَّن لي هذه الإحالة، أهي لـ: «مجلة المنار»، أو «تفسير المنار»، أو «حادي الأرواح»، ولكنَّها غيرُ مُتوافقةٍ مع المواضع الموجودة فيها، والله أعلم.

(٢) **قلتُ**: الحديث الذي ذكره ابن القيِّم، أخرجه مُسلمٌ في: «الصحيح»؛ برقم: (١٨٥)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعًا، وتتمةُ الحديث: «(**فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ**

⇦

ثم قال: ولا يناقض هذا قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البقرة: ١٦٢][(١)]، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر]، هكذا قلت[(٢)]، والصحيح: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، ولم أدْرِ ممن الخطأ في الآية؛ لأنَّ ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾، قيلت في أهل «الجنَّة» من «سورة الحِجْر» فليُعلم[(٣)].

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تناقض بين إخباره ـ تعالى ـ عن أهل «النَّار» بأنَّهم خالدون فيها، وما هم بخارجين منها، ولهم عذاب مقيم بعد التصحيح، وبين فنائها؛ أي: إنَّ خلودَهم فيها، يكونُ ما دامت، ويالله العجب! ومن أين له عدم دوامها، وقد دلَّت «الآيات» و «الأحاديث» على بقائها

=

فِيهَا، ولَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ قَوْمٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ...)) الحديث. ولكن ذهل عنه أبو السَّمح رَحِمَهُ اللَّهُ!

(١) وردت هذه الآية في مواضع عدة من «القرآن الكريم»، وهذا أوَّلُ موضعٍ لها.

(٢) كذا؛ ولعلَّها: (قال).

(٣) ما قاله أبو السَّمح صوابٌ؛ فالآية التي استدل بها ابن القيِّم، وتبعه فيها رشيد، متعلقةٌ في بدوام أهل «الجنَّة» فيها، وهذا خارج محل النزاع، والصَّوابُ في الاستدلال، الآية التي ذكرها أبو السَّمح؛ لأنَّها في أهل «النار»، وهذا هو موضع النزاع.

ولعلَّ هذا سبق قلم من ابن القيِّم، لتشابه الموضعين، ولم ينتبه لهذا مَنْ حقَّق كتابه.

باللزوم، وإنْ كانت لم تُصرِّح ببقائها؛ لأنَّها ليست مقصودة بالذَّات، ولأنَّها لم تُخلق إلا لأهلها؟!

فما داموا فيها فهي دائمةٌ، فهُم المحور الذي يدور عليه الجزاءُ، بقاءً وفناءً، لا «النَّار» التي لم تكنْ لولاهم، ولم تُوجد إلا لهم، فكيف عكس الأمرَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وجعلَ الأخبار دائرةٌ حول «النَّار» ولها؟!

فإنْ قيل: إنَّهم خُلِقوا لها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] إلخ، قلنا: هذا يدل على بقائِها أيضًا، وكان خلْقُهم أدلَّ على بقائِها؛ إذ قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة]، وقد أخبر الله ـ تعالى ـ عن بقاء «النَّار»، وأهلِها، بكلِّ لفظٍ أخبر به عن بقاء «الجنَّة»، وأهلِها، يَعلم هذا من قرأ «القرآن»، وتدبَّره، فكما قال ـ تعالى ـ في «الجنَّة»: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧][1]، كذلك قال في «النَّار».

فلا يستطيع أحد ـ بعد هذا ـ أنْ يُوجِد فرقًا بين الخبرين واللفظُ واحدٌ، ولئن قالَ في «الجنَّة»: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود]، فقد قال في النار: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة]، بل قال في الجنَّة بهذا اللفظ: ﴿نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة].

---

(١) وردت هذه الآية في مواضع عدة من «القرآن الكريم»، وهذا أوَّلُ موضعٍ لها.

ولا ريبَ أنَّ «النَّعيمَ المُقيم» هو و «غير المَجْذُوذ» شيءٌ واحدٌ في الدلالة، زِد على ذلك أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أخبر أنَّ أهل «النَّار» لا يَدخلون «الجنَّة» حتى يلجَ الجملُ في سمِّ الخِياط[1].

وهذا نحو قوله: لا يدخلونها أبدًا، وليس بعد هذا قاطعٌ لأطماع الطامعين في «الجنَّة»، الهاربين من «النَّار»، فقد عبَّر لهم بأعظم محال، وهو دخول جسم عظيم، في خرق صغير، ومتى يلج الجَملُ في سمِّ الخِياط، ويسوغ في العقل دخوله فيه، حتى يسوغ دخول «الجنَّة»، لمن ليس من أهلِها، ولم يخلق لها؟! أيكذبُّ اللهَ نفسَه، أم تكون عبثًا حكمتُه؟!

يقول: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] إلخ، ثم يعيدهم إلى «الجنَّة»، هذا محال، وقد ذكرنا ما قالوه في الاستثناء بـ (إلا ما شاء الله)، وردَّ أقوالَهم كُلَّها، ولم يختر إلا الوجه الذي يدل على مخالفة (إلا) لما قبلها، وذِكر «المشيئة» هنا، وفي «هودٍ»؛ دالٌّ على ثبوت هذه الصفة لله ـ تعالى ـ لا غير، وأنَّه لا مُكرِه له فيما يفعل، وقد أكَّد هذا المعنى في «سورة هودٍ» بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هو: ١٠٧].

---

(١) «سورة الأعراف»، الآية: (٤٠).

وكثيرًا ما تُذكرُ «المشيئةُ» في «القرآن»، لهذا الغرض؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

ومن «أهل العربية»(١) من قال في استثناء «سورة سبّح»: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعلى]، وهو كالذي هنا، لم يشأ اللهُ أنْ تُنسى شيئًا.

وذكر ابن جرير هذا القول، وقال: وهو كقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هو: ١٠٧]، ولا يَشاءُ، قال: وأنت قائلٌ في الكلام: لأُعْطِينَّك كُلَّ ما سألتَ إلا ما شِئتَ، وإلا أنْ أشاء أنْ أمنعكَ، والنِّيةُ ألا تمنعَه، ولا تشاءَ شيئًا، وعلى هذا مجاري «الأَيْمان»(٢)، يُستثنى فيها، ونيةُ الحالِف التَّمام(٣) اهـ

وترى «المُحدِّثين» يقولون في السَّند: «صحيحٌ إنْ شاء الله»، ويذكرونَها غيرُ مقصودٍ بها تعليقَ شيءٍ عليها، بل يذكرونَها فيما وقع تبرُّكًا، واستذكارًا أنَّ ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يشأ لم يكُنْ، وهو سبحانه لا يشاء إلا ما وافق

---

(١) وهو الفرَّاء، ويُنظر كتابُه: «معاني القرآن» (٣/ ٢٥٦).

(٢) في الأصل: «الإيمان»، والصَّوابُ بالفتح، لأنَّه يُريد جمع «يَمِين»، فلعلَّه خطأ مطبعي.

(٣) «جامع البيان» (٢٤/ ٣١٦).

الحِكمة.

فأنتَ ـ أيَّدك اللهُ ـ ترى أنَّ الأخبارَ عن «الصحابة» غيرُ ثابتةٍ، ولو ثبتتْ لما كان فيها دليلٌ على «الفناء»، بل تؤول على الخارجين منها، وترى «الآياتِ القرآنية» مُصرِّحةً بخلود وأبدية «أهل النَّار» فيها، وأنَّ «الجنَّةَ» مُحَرَّمةٌ عليهم، ودُخولَها محالٌ عليهم، كدخولِ الجَمل في سَمِّ الخِياط.

ولئن لم تدل هذه الآيات على كثرتِها، وذِكر ألفاظِ بقاء أهلِها فيها، وتنوّعِها من الخلود للإقامة للأبدية، إلى غير ذلك = لئِنْ لم تدل على «بقاءِ النَّار»، وعدمُ فنائِها بالمطابقة؛ فلعمرُ الله! لقد دلَّت عليه باللزوم والاضطرار، كدلالة وجود السَّقفِ على الجدار، فما داموا خالدين فيها أبدًا، فهي خالِدةٌ أبدًا.

إلا إنْ ادَّعى مُدَّعٍ أنَّ: ﴿ خَٰلِدِينَ ﴾، و ﴿أَبَدًا﴾، و ﴿مُّقِيمٌ ﴾، وما شاكلَها، لا تدلُّ دائمًا على البقاء، وعدمُ التَّحوُّلِ، فيكون لنا إذنْ أنْ نرُدَّ هذه الدَّعوى بـ «الكتاب» و «السُّنة»، أيضًا و «اللغة» التي بها نزل «كتاب الله».

وسننقُضُّ ما عدده ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ منَ الأوجهِ في «فناءِ النار»، وما أوردَه منَ الشُّبه، إنَ اتسع «المنارُ» لذلك، وما قصدنا إلا إزالة شُبَه الذين يغْترُّون بقولِه.

والبقيةُ تأتي إنْ شاءَ اللهُ.

عبد الظاهر محمد أبو السَّمح

معلمٌ ـ بـ «رمل الإسكندرية»)[1] اهـ

[١٠ ـ تعقيب رشيد رضا على «مقال» أبو السَّمح]:

في آخر هذا «المقال» المبارك، أورد «صاحب المنار» هذا التعقيب عليه:

(«المنار»: نشرنا هذه «الرسالة» بنصِّها، وفيها تكرارٌ، وتطويلٌ بالاستطرادٍ، ليس من الموضوع، كـ:

ـ الكلامِ في شدة عمر [رضي الله عنه] في الدِّين.

ـ وضَرْبِه لأبي هريرة [رضي الله عنه]، على تبليغ الصحابة حديثًا صحيحًا، حدَّث به بعد ذلك، ونقلَه «أئمة الحديث»، وغيرهم.

حتَّى الكاتب لمن يخشى عليهم من الغرور والاتكال، ما لم يكن يخشى على أصحاب الرسول ﷺ، ورضي عنهم.

وكان جمهور الصحابة [رضي الله عنهم] ينكرون على عُمر هذه الشدة، ولا حاجة إلى هذه الخطابيات، مع إنكاره صحة الرواية عن عُمر [رضي الله عنه]، وعدمِ الاحتجاجِ بقولِه.

فإنَّ دَفعَ هذه الخطابة سهلٌ؛ بأنْ يُقال:

---

(١) «مجلة المنار»، عدد شعبان؛ سنة: (١٣٣٩هـ)؛ مجلد (٢٢)، صفحة: (٣٧٩).

إذا كان عُمر [ﷺ] قد قال ذلك، فما قالَه ـ وحالُه ما ذَكر الكاتب ـ إلا لثبوتِه عِنده، واعتقادِه أنَّه لا فتنةَ في ذِكره، وكذا أبو هريرة [ﷺ].

فلعلَّه في بقيَّةِ الرَّدِّ يجتنب التِّكرار، والاستطراد، وحكاية أقوال ابنِ القيِّم على الطريقة التي جرى عليها في هذه «النُّبذة»؛ فإنَّ القُرَّاء لا يُراجعونَها، ليفهموا المُراد، وخيرٌ منها أنْ يُقسِّم الكلامَ إلى مسائل يُبيِّن ما يراهُ الحقَّ فيها)[1] اهـ

قلت: نقدُ الشيخِ لتلميذه مُتَّجِهٌ، من جهة ترك الاستطراد، ومناقشة أصل المسألة مباشرة، ولكن يُعتذر للتلميذ أبو السَّمح، بأنَّ ما قدَّم به مقالَه، وإنْ لم يكن من صلب بحث المسألة، من جهة القول بـ «أبدية النَّار» أو «فنائها»، إلا أنَّه أرادَ به بيان أمران:

الأول: أنَّ من صدرَ عنه مثل هذا؛ فلن يتجاسر على القول بـ «فناء النَّار»، مخالفًا الأصل بـ «أبدِيَّتِها»، دون «دليلٍ»، وهذا من باب «ردِّ الأثر»، لمعارضته ما ثبت عن قائله.

الثاني: أنَّ منهجَ الصَّحابة ﷺ، منع تحديث الناس بما يفتنهم، وموافقة النبي ﷺ لهذا المنهج، والله أعلم.

[١١ ـ نص المقال الثاني لأبو السَّمح: «فناء النَّار والرد على ابن القيِّم»]:

---

(١) «مجلة المنار»، عدد شعبان؛ سنة: (١٣٣٩هـ)؛ مجلد (٢٢)، صفحة: (٣٧٩).

(«فناء النَّار والرَّد على ابن القيِّم ـ ٢»[1]

قسَّمنا الموضوع في الكلام على فنائها ثلاثة أقسام:

الأول: في الآثار التي استشهد بها العلامةُ ابنُ القيِّم على فنائِها.

الثاني: على الآيات الثلاث.

الثالث: على مُقتضى الصِّفات، ومجالِ العقلِ فيها.

أما الأول؛ فقد تكلَّمنا عليه في «النُّبذة الأولى»، وبَيَّنا أنَّ الآثارَ لا تصحُّ عن عُمر [رضي الله عنه]، ولا عمَّن روى عنه من الصحابة رضي الله عنهم. وقُلنا: حتى لو صحَّ لما كانَ حُجَّةً في هذه المسألةِ الكُبرى الاعتقادية.

وأمَّا الكلام على الآيات الثلاث؛ فمدارُه على:

ـ تحقيقِ معنى «الخلود» المُستثنى منه أولاً.

ـ و «المشيئةِ» ثانيًا.

ـ والمقصودُ من «الاستثناء» ثالثًا.

ـ وهل هذه الآيات من المُحْكَم أو من المتشابه.

---

(١) وضع الشيخ عبد الظاهر عنوانًا لمقاله الثاني، بخلاف الأول، حيث لم يضع له عنونًا.

أما «الخلود» المذكور في هذه الآية «آية الأنعام»، و «آية هود»، وجميع آياتِ «القُرآن»، فهو لا يُعرف إلا من «كتب اللغة»، وقد رأينا «لسان العرب» الذي هو أكبر قاموس، وأعظمُ مُعجم عربي[١] يقول:

«الخُلد»: دوامُ البَقاءِ في دارٍ لا يَخرجُ مِنها. خَلدَ، يَخْلُدُ، خُلْدًا، وخُلودًا: بَقِيَ وأَقامَ، ودَارُ الخُلْدِ: الآخِرةِ، لبَقاءِ أَهْلِها فيها[٢] اهـ

ومما يَدلُّ على أنَّهم يَستعملونَ الخالِد «مجازًا»، فيما لا يَبقى لطُولِ مدته؛ قولُ صاحب «اللسان»:

والمُخلَّدُ منَ الرِّجالِ: الذي أَسَنَّ ولم يَشِبْ، كأَنَّه مُخَلَّدٌ لذلك. وخلُد يخلُد[٣] خَلْدًا وخُلُودًا: أَبطأَ عنه الشَّيْبُ، كأَنَّما خُلِقَ ليَخْلُدَ.

---

(١) على جلالة المُعجمِ العربي «لسان العرب»، وضخامتِه، وجَمْعِه ما شاء الله من مواد كتب: «غريب القرآن»، و «غريب الحديث»، و «غريب اللغة»، وغيرها، حتى أصبحَ عُمدةَ من أتى بعده؛ إلا أنَّه ليس كما قاله أبو السَّمح: (أكبر قاموس، وأعظم معجم عربي)، فـ «تاج العروس» لمرتضى الزبيدي ت (١٢٠٥هـ)، أحقُّ بهذا الوصف، ولا أظنَّه يجهله، لكنَّه لم يَستحضره في أثناء كتابة «المقالة».

(٢) «لسان العرب» (٣/ ١٦٤).

(٣) ضُبِطت في «المنار» بضم اللام: (وخلُد يخلُد)، وفي «اللسان»: (وخَلَدَ يخلِدُ ويخلُدُ).

قال: والخَوالِدُ: الأثَافِيُّ في مَواضِعها، والخَوالِدُ: الحِجارةُ، والجِبالُ، والصُّخور؛ لطُولِ بقائِها، بعد دُرُوسِ الأطْلالِ[١] اهـ

فانظر إلى قولِه فيمن أبطأ عنه الشيب (كأنَّما خُلِقَ ليَخْلُدَ) وقولِه (لطُولِ بقائِها) لـ: الأثَافِي، والحِجارة، والجبال؛ فإنَّهم شبَّهوها بما لا يَبقى، ولا يَزولُ، وتصوَّرُوا فيها ـ لِطولِ البَقاءِ ـ ما يَصحُّ أنْ يُطلقَ عليه لفظُ «الخُلودُ»، الذي لم يُوضع إلا لدَوامِ البَقاءِ، كما ذكرَ معناه الأوَّل أوَّل المادة.

ومنه؛ تَعلمُ أنَّ «الفنَاءَ» مُناقضٌ له كل التناقضِ، لأنَّه قَطعَ البَقاءَ، الذي أَخبرَ اللهُ به، وعْدًا ووعيدًا، في سبعمائة آية من «كتابِه»، في «الجنَّة» و «النَّارِ».

ففرَّق قومٌ بين الأخبارِ بدونِ «دليلٍ» يُصارُ إليه، ويقومُ حُجَّةً على خصمِهم.

تقول لهم: يا قومُ ـ هداكُم اللهُ ـ في كُلٍّ منَ «الجنَّة» و «النَّار» قال الله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[٢]، و ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾[٣]، دُون أبدًا.

---

(١) «لسان العرب» (٣/ ١٦٤).

(٢) وردتْ في «الجنَّة» و «النَّار» في عدة سور؛ منها في «الجنَّة»: [النِّساء: ٥٧، ١٢٢، والمائدة: ١١٩، التوبة: ٢٢]، وفي «النَّار»: [النِّساء: ١٦٩، والأحزاب: ٦٥، و الجن: ٢٣].

(٣) وردتْ في «الجنَّة» و «النَّار» في عدة سور؛ منها في «الجنَّة»: [المائدة: ٨٥، التوبة: ⇦

فبأي شيء فرَّقتُم بين الخُلودَيْن والأَبدَيْن؟!

فلا تجد إلا تعليلاتٍ واهيةٍ، وكلامًا طويلاً، ضررُه أَكثرُ منْ نفعِه، كأنَّهم لم يجدوا غير الخِلافِ صِناعةً، ولا سوى الكُلامِ بضاعةً، حتَّى اضْطرَّ أنْ يُجارِيهم مَنْ لم يكن منهم ـ ابن قيِّم الجوزية ـ وحسبُنا اللهُ، ونِعم الوكيل.

وأما «الأَبَدُ»؛ فقال في «اللسان» في مادة «أَبَدَ»:

والأَبَدُ: الدَّائِمُ، والتَّأبيدُ: التَّخْلِيدُ، وأَبَدَ بالمكانِ يَأْبِدُ ـ بالكسر ـ أُبُودًا: أَقامَ به، ولم يَبْرَحْهُ[1] اهـ

فعلى هذا لا يُستدَلُّ بما اصطلح عليه الناسُ ـ كـ «المَصريِّين» ـ في «التأبيد»؛ إذ جعلوا له مدةً مَحدودةً، ولم ينزلْ «القرآنُ» بلغتِهم، ولا عبرة باصطلاحٍ، ولا عُرف، يخالفُ أصلَ «اللغة»، التي نزلَ بها كلامُ الحكيم الخبير.

فاسمع لقولِه ـ تعالى ـ يخاطب رسولَه ﷺ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء].

فانظر كيف قابل الخُلد بالموت، الذي هو الفناء؟! وتأمل معناه؛ تجده كما قال صاحب «اللسان»: إنَّه دوام البقاء. فكأنَّه يقولُ لرسولِه ﷺ: وما

=

٨٩، وطه: ٧٩]، وفي «النَّار»: [الأنعام: ١٢٨، والتوبة: ٦٨، والنحل: ٢٩].

(١) «لسان العرب» (٣/ ٦٨).

جعلنا لبشرٍ من قَبْلِك دوامَ البَقاء أفإنْ مِتَّ، فهم الباقون، كُلُّ نفسٍ ذائقة الموت إلخ. وهذه الجملةُ الثانيةُ مُؤكِّدة لمعنى ما قبْلَها، فغفرَ اللهُ لنا، ولهُم، وهدانا وإياهم سواءَ السبيلِ.

وإذ قد عرفنا[1] معنى «الخلود» الوارد في الآية، وإنَّه هو الذي به عَلِمْنا دوام بقاء المؤمنين في «الجنَّة»، كما علِمْنا به دوام الكافرين في «النَّارِ»، وأنَّه هو الأوَّلُ في الألفاظِ الدَّالة على معنى «البَقاءِ»، و «الأَبَدُ» بعدُه في الترتيب، ولا يُعرفُ في «اللغة» لفظٌ أدلُّ على «البقاءِ» منهما في المخلوقات

---

(١) «المنار»: ليس في بقية الكلامِ جوابٌ لقولِه: (وإذ قد عرفنا).

قلتُ: هذا التعقيب من رشيد، في محلِّه، ويدلُّ على اهتمامِه بمقال تلميذه، وقراءته بتأمل، ولعلَّ التلميذ أبو السَّمح سها عن ذلك، فكتابة «المقالة»، لا يُبذلُ فيها الجهد العلمي، المبذول عادة في تأليف الكتاب، وأرَى أنَّ جوابَ ما تقدَّم له احتمالان:

الأول: أنْ يكونَ الجوابُ ما سيأتي ـ بعد قليلٍ ـ عند قولِه: (إذا عرفْنا ما تقدَّم؛ أمكننا أنْ نَنظرَ في...). ولكن لبُعدِ الجوابِ، لم ينتبه له رشيد.

والثاني: أنْ يكون الجوابُ واضحًا من خلال سياق «المقالة» نفسِها؛ فيكونُ تقديرُ الجوابِ:

(وإذ قد عرفنا... عَلِمنا أنَّ خلودَ المشركين في النَّار، خلودٌ لا نهاية له، وعَلِمْنا أنَّ مَن قال بأنَّه خلودٌ يَؤُلُ في آخرِهِ إلى فناءٍ وانتهاءٍ، قد أخطأ من جهة «الشرع»، و «اللغة»). والله أعلم.

على ما أظن.

وأما ما ذُكِرَ في «الأساس»[١] من مثل قولِهم: رَزقكَ اللهُ عُمرًا طويلَ الآبادِ، بعيدَ الآمادِ؛ فهو مَبنيٌّ على التَّوسُّعِ، وتَصويرِ ما لا يكونُ في حيِّزِ الكائنِ، على حدِّ قولِ الشَّاعر:

..... وَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ[٢]

ومِثلُ هذا كثيرٍ في قولِهم[٣].

---

(١) يقصد: «أساس البلاغة» للزمخشري ت (٥٣٨هـ)، وانظر (١/ ١٧) منه.

(٢) المصراع من بيتٍ للمُتنبِّي؛ وهو:

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إنَّه لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ [المنار]

قلتُ: البيت ليس للمتنبي، ولا يوجد في «ديوانه»، ولا في «شروحِه»، بل هو ثابتٌ لأبي نواس، ومشهورُ نسبته إليه في المصادر القديمة، وإنْ لم يوجد في بعض نُسخ «ديوانه».

وانظر: «ديوانه» (ص ٣٢٤)، و «الشِّعر والشُّعراء» (٢/ ٨٠١)، و «الموشَّح» (ص ٩٧).

(٣) جَعَل عبارة «الأساس» من «المجاز»، وهي فيه من «الحقيقة»، ومَزيةُ «الأساسِ» على سائر «كتب اللغة»، التفرقة بين: «الحقيقة»، و «المجاز». [المنار]

قلتُ: الأمر كما قال رشيد، فإنَّ الزمخشري جعلَ الجملة المذكورة من باب الحقيقة، لا المجاز.

ولكنَّنا نُسائِلهم في أصلِ وضع «الخُلود»، و «الأَبد»، وقد عرفتَ معناهما عن «اللسان» فيما تقدَّم[١]، على أنَّ اللهَ ـ تعالى ـ أَخبر بكلِّ لفظٍ مُفيد الدَّوام، والبقاء، عن كِلتا الدَّارين كِلا الفريقَيْن؛ فقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ [فُصِّلت: ٢٨]، وقال: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة].

إذا عرفنا ما تقدَّم؛ أمكننا أنْ نَنْظرَ في «الاستثناء»، المذكور في آية «الأنعام»، جاعلين نصبَ أعيُنِنا ما ورد في «آيات الله» ـ تعالى ـ من وَعْدِه للمؤمنينَ، ووعيدِه للكافرين، وكذلك «الأحاديث الصحيحة» المُصرِّحة بخُروجِ عُصاة المؤمنين من «النَّار»، أمَّا «الآياتِ» المُصرِّحة بدخولِ الكافرين «النَّار»؛ فهي كثيرةٌ، وعلى كثرتِها «مُحْكَمةٌ»، لا «ناسِخَ» فيها ولا «مَنسوخَ»، ولا «مُتشابِه»[٢].

---

(١) «المنار»: ما نقله عن «اللسان» في تفسيرهما، لا يدلُّ على معنى «البقاء»، الذي لا نهاية له، فإنَّ المُقيمَ في دارٍ لا يخرجُ منها، كالمالِك لدارِه، ليس بباقٍ هذا البقاء، لا هو، ولا داره، بل كانوا يطلقون هذا على من شأنِه المُكث، وعدم التَّحول، كما يتحولُ البدويُّ، والذي يقيم في الدُّور المستأجرة، وإنَّما «البقاء» الذي لا نهاية له، «اصطلاحٌ شرعيٌّ»، لا «لغوي»، فلم يكن هذا المعنى معروفًا عند «عرب الجاهلية».

(٢) لا معنى لنفي «النَّسخِ»؛ لأنَّه خاصٌّ بـ «الأحكام». [المنار]

ولا يَصحُّ أنْ نُؤوِّلَ كُل هذه «الآياتِ»، ونَرْكبُ كُلَّ صعبٍ وذَلولٍ، حتَّى نَجعلُها كُلَّها من بابِ الرعد[1]، الذي ليس وراءه شيءٌ، لننظمها في سلك آيةٍ، وَجَدَ فيها ذوو الشُّبه، ما يُوافِق أهواءَهم، ويُثبِّطونَ به هِمَمَ غيرِهم، ويشغلونَ به الأفهامَ، وكم مُني «الإسلامُ» بهم، ونفذتْ فينا سِهامَهم، حتَّى اختلفنا في «كتابِنا»، كما اختلفوا في «كتابِهم»، وكان ذلك قَدَرًا مَقدورًا.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأنعام].

فالمعنى: خالدين فيها يا أهل «النَّار»، وهُم مَن مرَّ ذكرهم، إلا ما شاء اللهُ من هذا الخلود، أنْ يُخرجهم من دارِه؛ لأنَّه حكيمٌ لا يخلد إلا الكافر، الذي أخبر عنه، في كثيرٍ من «آياتِه»، عليمٌ بما يُخرج من أهل الإيمان، المُوحِّدين.

فالآيةُ قد جمعتْ وعدًا ووعيدًا، وكثيرًا ما يذكر اللهُ في «آياته»، أحدهما بعد الآخر، على حدِّ قولِه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا

(١) كذا؛ ولعلَّها: (الوَعْد).

لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأعراف][1].

وكقولِه تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم].

فما يُخبرُ ـ سبحانه ـ بوعيدٍ، وإنذارٍ، إلا ويَعقبُه بوعْدٍ، وبشارةٍ ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النَّجم].

فلما أَنذرَ قومًا في هذِه «الآية» بالخلودِ في «النَّار»، على استمتاعِ بعضِهم ببعضٍ، ومُوالاةِ بعضِهم بعضًا، وكانَ بعضُ المؤمنينَ الذين أَلَمُّوا ببعضِ الذُّنوبِ، ولحقَهُم منَ الوصفِ، شيءٌ يحزنهم ذلك، حتَّى يُؤديهم إلى اليأس؛ لا جرمَ استثنى اللهُ، تبشيرًا لهم، وإخبارًا بحكمتِه، وعِلمِه، وعدلِه في «آيةٍ» واحدةٍ، ولا يبعدُ هذا بِهم، فقدْ وردَ أنَّ بعضَ الصَّحابةِ [ﷺ] لما سمعَ قولَه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ

(١) في أصل «المقال» كُتِبت الآيتان (٤٠، و ٤٢) مُتَّصِلتان، بدون الآية (٤١)، فأدرجتها.

﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام]؛ قالوا: وأيُّنا لم يظلمْ نفسَه؟ فقال ﷺ: ((ذَاكَ الشِّرْكُ))، وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان][1]، فلولا أنَّ فسَّرها لهُم رسولُ الله ﷺ بالآية الأُخرى؛ ليئسوا، وقنطوا.

ومثلُ ذلكَ ما جَرى عندَ نُزولِ قولِه تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ إلخ [البقرة: ٢٨٤]، ثم أنزلَ اللهُ لهم: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلخ [البقرة: ٢٨٦].

إذا تقرَّر هذا؛ وعُلِم أنَّ الإنذارَ في آية «الأنعام» بالخلودِ شديدٌ، وأنَّ السكوتَ عليه قصورٌ، لو كانَ في كلامِ النَّاسِ لعُدَّ مَعيبًا؛ فكيف بأبلغِ الكلامِ، الذي أُنزلَ «رحمةً للعالمين»؟!

فهل بعدَ هذا يَستنكر ذُو فهْمٍ وتَأَمُّلٍ في كلامِ الله، أنْ يجمعَ بينَ وعْدٍ، ووعيدٍ، ونَذارةٍ، وبِشارةٍ، في آيةٍ واحدةٍ؟! على أنَّ النَّذارة بالخلودِ لمن يستحقونه، كما أشارَ بذلك الحكيمُ، للحكماء الذين يفهمونَ، وأنَّ البِشارةَ لمن يستحقُّون، ممن عرفنا خبرهم في «القرآن» و «الأحاديث»، واللهُ أعلمُ بهِم، وبما اقترفوا، وجزاءِ ما كانوا يَقترفون.

---

(١) أخرجه بنحوه: أحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٤٠٣١)، والبخاري في: «الصحيح»؛ برقم: (٣٤٢٨)، ومسلم في: «الصحيح»؛ برقم: (١٢٤)، ولفظ أحمد: ((لَيْسَ ذَاكَ، هُوَ الشِّرْكُ))، ولم أجدْ هذا اللفظ في رِوايات «الشَّيْخَيْن» للحديث.

هـذا مـا أَفهمـه في «الآيـة»، مـع استحضـاري «الآيـاتِ» الأُخـرى، و «الأحاديث»، ولم يشفِ غليلي ما رأيتُه مِن وقفِ المُتوقِّف، وتأويلِ المُتأوِّلِ، وهذا هو وجه «الاستثناء»، لا ما قالوا مِـن أنَّـه يـأتي عـلى مـا في «القـرآن»، حـاشَ لله أنْ يكـونَ خـبرٌ واحـدٌ يَهـدِمُ بِنـاءَ أخبـارٍ أَدَّعَمَـتْ[1] عـلى العِلـمِ، والحِكمةِ، حتَّى لـو كـانَ مُجـرَّدًا عـمَّا أشرنـا إليـه، مـن وجـوه «البلاغـة»، و «الإعجاز»، ولَأنْ نُؤوِّله لِيوافِقَها؛ لكانَ أسهلَ مِن أنْ نُؤوِّلَها كُلَّها.

ومنَ العِبَرِ أنَّه قد حضرَ عندي أَخٌ في الله، مِن أهـلِ العِلـمِ، وتحاورْنـا في الموضوعِ، فكانَ هو «فنائيًّا» وأنا «بقائيًّا»[2]، فما زالَ يُؤوِّلُ كُلَّ «آيةٍ» جئتُ بها دالةً على البقاءِ، بحذقٍ وبراعةٍ (على طريقة «الأزهريِّين»)، حتَّى جئتُ له بـ «آيةِ الأعراف»: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ الآيـة [الأعـراف: ٤٠]، فوَجَمَ؛ فقلتُ: ماذا؟ أَجِبْ. فقال: انتظرْ، ثـم بعـد هُنيَّهـةً قـال ـ ويـا ليْتَه ما قال ـ: نعم هو كما قالَ اللهُ ـ تعالى ـ ما دامتِ النَّارُ لا يـدخلون الجنَّـة، ولكنَّها ستفنى.

---

(١) ادَّعَمَ عَلَى شيءٍ؛ أي: اتَّكَأَ عَلَيْهِ.

انظر: «القاموس المحيط» (ص ١١٠٧).

(٢) أي أنَّ هذا الأخ يرى «فناء النَّار»، والشيخ أبو السَّمح يرى «بقاءها».

فقلتُ: ثم ماذا بعد ما تفنى أيدخلون «الجنَّة»، وتزول الاستحالة بـ «فناءِ النَّار»؟! فضحك من تأويلِه.

فلينظر الناصحُ لنفسِه، البصيرُ بكلامِ ربِّه، وليجعل «الرَّحمةَ» في محلِّها، كما أخبرَ اللهُ بها عن نفسِه، وينظر إلى «المشيئة» بعينِ الحِكمة، ولا ينظر إلى صِفةٍ دونَ صفةٍ، بعينٍ عشواءٍ، وإذْ قد ألمعنا إلى ذِكرِ شيءٍ، من وجوه «الاستثناءِ»؛ فلنتكلمَ على «المشيئةِ» المُستثناةِ وإنْ كانت هي أحقُّ بالكلامِ، قبل «الاستثناء»؛ لذِكْرِها أوَّلَ الفصل ثانية.

أخبرنا الله ـ تعالى ـ في «آياتٍ» كثيرةٍ، أنَّ مشيئتَه مُوافِقةٌ لحكمتِه، وأنَّه لا يشاءُ عبثًا، ولا ظُلْمًا؛ قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان][1]، فهذه «الآيةُ» تدلُّ دلالةً صريحةً، لا مجالَ

(١) فسَّر بعضُهم «الرَّحمةَ» هُنا بـ «الجنَّة»، وبعضُهم بـ «التوفيق» لِمَا تُستحقُّ به.
والمعنى أنَّه يدخل المُؤمنينَ المُتَّقين في جنَّتِه، وأعدَّ للظالمين ـ لأنفُسِهم بالكُفرِ، وكبائر المعاصي ـ عذابًا أليمًا، إذا ماتوا على ذلك الظُّلم، ولم يتوبوا منه.
وليس فيها ما ذُكِر من معنى الحصر، في أنَّ رحمتَه لا يُدْخِلُ فيها، إلا الذين لم يتَّصِفوا بالظُّلم، المقابِل للعدلِ، وإنَّما معناها: أنَّ ما أعدَّهُ للظالمين، من حيث هم ظالمون، هو العذابُ الأليمُ، إنْ ماتوا على ظُلمِهم، ولم ينلْهُم العفو، وما كُلُّ ما أُعِدَّ لقومٍ، ينالُهم كُلُّهم.
والوعيدُ بإعدادِ العذابِ، دونَ الوعيدِ بوقوعِه؛ كقوله تعال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ ⇦

للشَّكِّ فيها، على أنَّه لا يدخلُ في رحمتِه إلا غير الظالمين، وإنَّما الذي عرَّفَنا أنَّه لا يشاءُ إلا هم؛ قولُه: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

فالنَّاسُ قِسمانِ: ظالمٌ، وعادلٌ، والدَّارُ داران: جنَّةٌ ونارٌ، فلما ذَكرَ الظَّالمينَ، وما أَعدَّ لهم؛ عرفنا أنَّ القِسم الذي شاءَ إدخالَه في رحمتِه ضِدَّهم، وهم المؤمنون، أو المُقسطون، أو كما تُسمِّيهم؛ أفلا يصِحُّ أنْ نُنَزِّلَ «المشيئةَ» المذكورة في «آية الأنعام»، و «هود»، على هذا التقسيم الظاهر،

=

وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النِّساء]، وقد رُوِي تخصيصُ تعدِّي الحدودِ ـ هُنا ـ، بمخالفةِ أحكامِ «المواريث»، المذكورةِ قبْلَه.

و «أهلُ السُّنةِ» مُجمِعون على جوازِ العفو عن العاصي بذلك، وبغيرِه، والظَّالمِ بغيرِ الشِّرْكِ بالله، وهم يُؤَوِّلُونَ هذه «الآيةِ» الجازمةِ بخلودِ العاصي في «النَّار»، والعذابِ المُهين، كما يُؤوِّلُ القائلونَ بانتهاءِ عذابِ الكفارِ «الآياتِ» الواردةِ فيهم.

وغرضنا ـ هُنا ـ بيانُ أنَّ «الحصرَ» الذي قال الكاتب: (إنَّه لا مجال للشَّكِّ فيه)؛ غيرُ صحيحٍ، وقد ذَكرَ اللهُ ـ تعالى ـ أنَّ ممن أورَثَهُم «الكِتابَ» منَ المُصطفَيْن من عبادِه، مَن هو ظالمٌ لنفسِه، فالظُّلمُ كالفِسْقِ، والإجرامُ، يُطلق في «القرآنِ» على الكُفرِ تارةً، وعلى المعاصي أُخرى.

و «آية الفتحِ» الَّتي جعلَها الكاتبُ مثلَ هذه «الآية»، وردَتْ في تعليلِ كفِّ أَيْدِي المُؤمنين عن القِتالَ يوم «فتح مكَّة»، وفُسِّرَت «الرَّحمةُ» فيها بـ «الإسلامِ». [المنار]

وأنَّ اللهَ لا يشاء «فناء النَّارِ»، الذي يَهدِمُ كُلَّ زَجرٍ، ووعيدٍ في «القرآن»، ويُطمِع كُلَّ ذي كُفرٍ، وبُهتانٍ، وجبَّارٍ عنيدٍ، وشيطانٍ.

ومثلُ هذه «الآية» قوله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الفتح: ٢٥]، فهل يَظنُّ عاقِلٌ أنَّ معنى هذا: يُدخِلُ اللهُ كافرًا «الجنَّةَ»، أو مؤمنًا «النَّار»؟! أَم أنَّه لا يفعلُ إلا ما اقتضتْهُ حِكمتُه التَّامة، وأنَّ مشيئتَهُ في هذه «الآية»، وفي أمثالِها مُقيَّدةٌ بمثلِ آيةِ: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ [الإنسان]، وغيرها مما سنذكره؟! قال تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج].

فلننظر إلى قولِه ـ تعالى ـ عقِبَ «الآيةِ»، أفليس قولُه هُنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾، كقولِه عقب «آية هودٍ»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود]، الَّتي كادَ يُشَبِّهُها علينا ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ بقولِه: (ولم نعلمْ ما يُريده بهم) أي الذين شَقُوا. قال: وأما الذين سُعدوا؛ فقال فيهم: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود].

فبالله ألا فتأملوا أيُّها المُنصِفون، فوالله! لقد أخطأ ابنُ القيِّم، إنْ كانَ يعتقدُ أنَّ قولَه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود]، فيها إلماعٌ، أو إشارةٌ إلى «فناءِ النَّار»، ومَنْ يَفهم هذا الفهم، أو يُجوِّزُه بعدَ أنْ سمِع ما أوردناه، وما سنورده؟!

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾ [الحج]، ماذا يقول «الفنائِيُّون» في هذه «الآيةِ» أيضًا؟! أيقولونَ لا ندري ماذا يُريد اللهُ بـ «أهلِ الجنَّةِ»، كما قالوا في «آيةِ هودٍ»؟! وإلا فما الفرقُ بين الخبرين؟!

فليخبرونا ولهم الثَّوابُ[1]، فقد عَلِمَ كُلُّ مَنْ له أدنى تأمُّلٍ في «القرآن»، أنَّ إرادةَ الله ـ تعالى ـ ومشيئتَه، قد عُلِمتْ في «أهل الجنَّةِ» و «أهل النَّارِ»، وأنَّ كُلاًّ قد قُضيَ عليه بالخلودِ، في دارِه التي خُلِقَ لها، وسعَى لها سعْيها، وظهرتْ تلكَ «المشيئةُ» في الفريقين بأجْلَى مظاهِرِها، فترَى «أهلَ النَّار» لا يهتدون، ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة]، و «أهل الجنَّة» مُوفَّقون مهديون: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾ [هود]، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ

(١) أنَّ الفرقَ عندهم جليٌّ، وإنْ كان لا يدلُّ على «فناء النَّار»، وابنُ القيِّم لا يقول به، وهو أنَّ الخبرَ الأول جاء عقب الخبرِ بإدخال المؤمنين الصالحين الجنَّةِ، بغير «استثناءٍ». والثاني جاء في كونِ الذين شَقُوا في جهنَّم خالدين فيها، إلا ما شاء الرَّب تعالى، وهذا «الاستثناء» مُبهمٌ، فقالوا: لا نعلمُ ما يُريده به وبهم، ومنهم من كانَ لهم في «القرآنِ» أعلى التأمل لا أدناه، وإنْ جازَ عليهم الخطأُ، كما يجوز على غيرِهم. [المنار]

ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

ألم يُبين اللهُ لنا «مشيئته» ـ هُنا أيضًا ـ بالمؤمنين والظالمين؟! ألم يكن ختامُها ـ هُنا ـ كختامِها في «سورة هود»؟! هل يُفهم منها ـ هُنا ـ إلا كما يُفهم من تلك؟! وأنَّ المعنى: لا اعتراضَ على فِعل الله؛ لأنَّه هو الحِكمةُ التَّامة، والعدلُ الأعلى، وأنَّه لا مُكرِه له، ولا رادَّ لما قضاه؟! أمْ يُقالُ ما قرَّره «الفنائيون»، الذين نظروا لـ «آيةٍ» واحدةٍ، وتركوا سائرِ «الآيات»؛ فقالوا: أمَّا الذين سُعِدُوا فأخبرنا اللهُ أنَّ عطاءَهم غيرُ مجذوذٍ، وأمَّا الذين شُقُوا فلم يُبيِّن لنا ماذا يُريدُ بهم؟!

والحقُّ أنَّه بَيَّن، وبَيَّن؛ كما سمعتَ وعلِمتَ.

وأمَّا الكلامُ في «آية النَّبأ» فلا دليلَ فيها لهم، وآخِرُها يَرُدُّ عليهم؛ إذ يقولُ اللهُ تعالى: ﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النَّبأ]، و «لن» تُفيد الاستقبالَ، حتَّى احتجَّ بها الزمخشريُّ على نفي «الرُّؤية» ـ رؤيةَ الله في الجنَّة ـ، في قوله تعالى لموسى [عليه السلام]: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾[1] [الأعراف: ١٤٣]، فرقٌ بين الخبرين، فإنَّ هذا نفيُ «الرؤية» في الدُّنيا، وأمَّا الثاني فنفيٌ في الآخرة.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ٥٠٤)، وهو من تفاسير «المعتزلة».

وقولُـه ـ تعـالى ـ آخـر السـورة: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النَّبأ]، دليلٌ على أنَّ الكافرَ كان يَودُّ لو كـانَ تُرابًـا، ولا يُعـذَّبُ خالـدًا، ولا يُقال تمنِّيه ذلك كافٍ لرؤيته العذاب فحسب، دون الخلـود؛ لأنَّـه لـو كـانَ يَعلمُ أنَّ «النارَ» تَفنى من الآن، كما يقولون؛ لظلَّ على أملِه ورجائِه في رحمةِ الله[1]؛ كما فَهمَ ابنُ القيِّم من حديث ((**لَـوْ يَعْلَـمُ الكَـافِرُ بِسَـعَةِ رَحْمَـةِ اللهِ مَـا يَئِسَ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِأَلِيمِ عَذَابِ اللهِ ـ أو نحو ذلك ـ لَقَنِطَ**))[2].

وقولُه تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ]، لا يـدلُّ عـلى انقطاعِهـا كـما قـدَّمنا، فـإنَّما المقصـودُ التهويـلُ، وأنَّ الأحقـابَ قـد تـأتي متتابعـةً ولا تتناهى، أرأيتَ لو كُنَّا هُنا في الـدُّنيا خالـدين، أمَـا كُنَّـا نقـولُ مضـتْ عليْنـا أحقـابٌ، ونعـدُّ الـزَّمنَ ـ وهـو بـاقٍ ـ كـما يمكـنُ أنْ نعُـدَّ شـيئًا لا يُحصى ـ بـ «الألـوف» و «الملايـين»، وأقصى ـ فِعـلٌ مـنَ الحسـابِ كـ «الدّيشـليون»[3]،

---

(١) يرِدُ على الكاتبِ ما نَقله هـو عـن عُمـر [ﷺ]، مـن تمنيـه لـو كـان شـجرةً تُعضـد، ورُوِيَ نحو هذا عن الصديق الأكبر. [المنار]

(٢) أخرجه البخاري في: «الصحيح»؛ برقم: (٦٤٦٩)، ولفظه: ((**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ؛ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ العَذَابِ؛ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ**)).

(٣) «الدِّيشليون»: وحدةٌ رقمية عاليةٌ جدًّا، تفوق «المليار» بكثير.

وكُلّما فرَغَت الفصولُ، أَعدْناها منَ الأولِ عدًّا، ولم يَفرغِ المَعدودُ؛ فمن يَستنكرُ ذلك؟ وهل هذا إلا من بابِ قولِه ـ تعالى ـ في «أهل النَّار»: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [هود: ١٠٧]، والغرضُ: «الخلودُ» الذي لا نهايةَ له؛ لأنَّ المُخاطبينَ يجهلونَ بدء الأرضِ والسمواتِ، والمجهولُ أوَّلُه وآخِرُه، كالَّذي لا أوَّلَ له ولا نهاية؛ فلذلك ـ واللهُ أعلمُ ـ صوَّر لنا «الخلود» لنعلمَ عِظَمهُ بالنسبة لبقاءِ الدُّنيا، وعمرنا القصير فيها.

فأمَّا المؤمنُ فيفرحُ بنعيمِه الخالد في «الجنَّة»، وأمَّا المنافِقُ فيحزنُ حزنًا شديدًا، وتُنغَّصُ عليه حياتُه، إذا سمِع هذا الوعيدَ الشديدَ، فالأولُ تعلو هِمَّتُه، ويَقتحِمُ الشَّدائدُ، بقلبٍ مِلْؤُه الصَّبرُ، والأملُ، والسُّرورُ، وذاك يُجاهِدُ ليُذْبَ عنه هذه الزَّواجِرَ، ويفِرُّ منها فِرارَ الحُمرِ المُسْتَنْفِرةِ، وهي في إِثْرِه حتَّى يَنقلب في هُوَّةِ العذابِ السحيقِ، وبئس المصير.

وبعدُ، فإمَّا أنْ تكون هذه الآيات «مُتشابِهةٌ» أو «مُحْكَمةٌ».

فإنَّ كانتْ «مُتشابهةً»؛ فقد كان على «الفنائيِّين» أنْ يقولوا (آمنَّا)؛ عملاً بقولِه تعالى: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧]، وما كانَ لهم أنْ يُكثِروا الكلامَ، ويُطيلوا الخِصامَ، ويقْفوا ما ليس لهم بِه عِلمٌ، من صفاتِ الله وأسمائِه، ويتحكَّموا في حِكمتِه،

ومشيئتِه، بعلْمِهم القاصر[١]، وأنَّ لله أسماءً وصفاتًا، لا يعلمُها للآن أحدٌ، كما ورد في حديثِ: «**وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ**»[٢] إلخ، و «حديثُ الشَّفاعة»[٣]؛ إذ يُعلِّمُ اللهُ ـ تعالى ـ رسولَه [ﷺ]

---

(١) يرِد على هذا أن ابن القيِّم قال بالتفويض والوقوف عند قوله تعالى (إن ربك حكيم عليم) وجعله نهاية الأقدام في السير في هذا المقام، وهو ذو العلم الواسع بـ «كتاب الله» و «سنة رسوله ﷺ».

(٢) هذا جزءٌ من حديثٍ مشهورٍ، تضمَّن دعاءَ مَنْ أصابه هَمٌّ وحَزَنٌ، رواه عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعًا.

أخرجه ابن أبي شيبة في: «المُصنَّف»؛ برقم: (٢٩٣١٨)، و «المُسند»؛ برقم: (٣٢٩)، وأحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٣٧١٢)، وأبو يعلى في: «المُسند»؛ برقم: (٥٢٩٧)، وابن حبان في: «الصحيح»؛ برقم: (٩٧٢)، والحاكم في: «المُستدرك» (١/ ٥٠٩).

وفي إسنادِه: أبو سلمة الجهني، لا يُدرى من هو؛ ولكنَّه يصح بشواهده.

انظر للاستزادة: «البحر الزَّخَّار»؛ رقم: (١٩٩٤)، و «عمل اليوم والليلة» لابن السّني؛ رقم: (٣٣٩، ٣٤٠)، و «العِلل» للدراقطني؛ رقم: (٨١٩)، و «الأسماء والصفات» للبيهقي؛ رقم: (٨)، و «تلخيص المُستدرك» (١/ ٥٠٩)، و «ميزان الاعتدال» (٤/ ٥٣٣)، و «لسان الميزان» (٩/ ٨٣)، و «تعجيل المنفعة» (١٢٩٣).

(٣) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: أحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٩٦٢٣)، والبخاري في: «الصحيح»؛ برقم: (٤٧١٢)، ومسلم في: «الصحيح»؛ برقم: ⇦

محامِدَ، يحمده بها، ولا ريبَ أنَّ «المحامِدَ» تكونُ على أسماءٍ تَقتضِيها، وتَستحِقُّها، واللهُ أعلمُ.

أفما كانَ الأولى بهم أنْ يَسكتوا، بعدَ أنْ يقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ إلخ؟!

وإنْ كانت «مُحْكَمةً»؛ فالأمرُ ظاهرٌ، ولا داعي للخلافِ والجدالِ، والقولِ على الله بلا عِلمٍ، ولنا أُسوةٌ بالصَّحابة [ﷺ]، الذين كانوا يَسألونَ عمَّا يَعنيهم، فيقولون: يَا رَسُولَ الله، مَا أَفْضَلُ الأَعْمَالِ[1]؟ ودُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ[2]، إلى غير ذلك.

ولعلَّ في هذا ـ الآن ـ كفايةً.

= (١٩٤)، وغيرهم.

(١) ورد بهذا اللفظ، في أحاديث أخرجها: ابن المبارك في: «الزهد»؛ برقم: (٨٣٩)، وابن راهويه في: «المُسند»؛ برقم: (٢٢٠٥)، و أحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٦٦٠٢).

وورد ـ كثيرًا ـ بلفظ: (أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ)؛ انظر على سبيل المثال: «مُسند أحمد»؛ برقم: (٨٣)، و «صحيح البخاري»؛ برقم: (٢٦، ٢٥١٨، ٢٧٨٢)، و «صحيح مسلم»؛ برقم: (٨٥)، و «سنن الترمذي»؛ برقم: (١٧٣)، وغيرهم.

(٢) ورد هذا في حديثٍ: أخرجه أحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٨٥١٥)، والبخاري في: «الصحيح»؛ برقم: (١٣٩٧)، وآخر عند مسلم في «الصحيح»؛ برقم: (١٣)، وغيرهم.

(وله بقيةٌ)[١]

عبد الظاهر محمد)[٢] اهـ

* * * *

(١) كذا قال، ولم أرَ البقية بعد طول بحثٍ في «مجلة المنار».

(٢) «مجلة المنار»، عدد ذي القعدة؛ سنة: (١٣٣٩هـ)؛ مجلد (٢٢)، صفحة: (٥٥٣).

المَبْحَثُ الثَّالِثُ عَشَر

[قَصَائِدُهُ]

بيَّن مترجموا العلامة عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه كانَ يقول الشِّعر، وأنَّ له نَظْمًا[١].

وقد قفتُ له على بعضِ هذه القصائد؛ منها:

١ ـ «القصيدة الرملية».

٢ ـ «يا صحاب الهدى إنَّ العُمْيَ قد كثُروا».

٣ ـ «القصيدة النونية».

٤ ـ «شعلةٌ أُطفِئت وشمسٌ توارت».

٥ ـ «حياة القلوب بذكر الله».

وسأورد نصوص هذه القصائد، بعد الكلام عليها بقدمة يسيرة، للتعريف بها، سوى الأخيرة، فسأكتفي بإيراد بعضِ أبياتها؛ لطولها.

* * * *

(١) انظر: «الأعلام» (٤/ ١١)، و «معجم المؤلفين» (٢/ ١٥٥)، و «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٧، و ٧٧٨)، و «أعلام المكيِّين» (١/ ٢٠٤)، و «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٨).

القصيدة الأولى

«القصيدة الرملية»

وهي قصيدةٌ بائيةٌ، نظمَ فيها الشيخُ ما جرى له من أحداثٍ في «رمل الإسكندرية»، وهي الأحداث نفسُها، التي ألَّف لأجلِها رسالته: «الرسالة المكِّية»، وسمَّاها: «القصيدة الرملية في انتصار أهل السُّنَّة المُحمدية على أهل البدع القبورية».

وقد طُبعتْ مُلحقة برسالته: «الرِّسالة المكِّية»؛ لذا لم يذكرها من ترجم له، سوى واحدٌ[١].

والأحداثُ التي جرَتْ له في «رمل ـ الإسكندرية»، سبقت الإشارة إليها، وخصَّصتُ لها آخر مبحثين[٢].

* * * *

(١) وهو علي جواد في: «معجم المطبوعات العربية في المملكة» (٢/ ٧٧٨).

(٢) انظر المبحث الثامن عشر، والتاسع عشر (ص ،).

قال العلامة: عبدالظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ:

«القصيدة الرملية في انتصار أهل السُّنَّة المُحمدية على أهل البدع القبورية»[١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقدْ أَنْجزَ الرَّحمنُ بالنَّصرِ ـ وعْدَه ... وأيَّدَ حِزْبَ الحقِّ والحقُّ أغلبَ

وماضرَّنا أنْ جاء بالإِفْكِ عُصْبة ... يريدونا بالسُّوء بغْيًا فخُيِّبوا

هُمُ جمعوا في ظُلْمةِ الشَّرك كيْدَهم ... فعادَ عليهم بالمخازي وكُذِّبوا

دعاهم الى «الإفك» المبين غواتُهم ... فلبّوا بلا عقْل ولم يتحوَّبوا[٢]

وزُورَ شَيْخِ الكاذِبينَ افتراءَه ... وقالَ اشْهدوا يا قومُ لا تتهيَّبوا

لنُخْرِج شَيْخًا حَلَّ في عُقْرِ دارِنا ... يُعلِّم جُهَّالا وبالحقِّ يَعْرِبُ

فإنْ تَتْرُكوه سَاءَ ـ والله ـ حالُنا ... ونَحنُ هُنا في سَاحةِ الجَهْلِ نَلْعبُ

إذا ما أَبانَ الحقَّ للنَّاسِ ضيَّقوا ... عَلَيْنا مناحي اللهوِ أيَّانَ نَذْهبُ

فنُحْرَمَ بَعْدَ اليومِ مِن كُلِّ لَذَّةٍ ... ويَذْهبُ مِنَّا جَاهُ عِلْمٍ ومَكْسبُ

فما لَكُمُ إلَّا القولَ بالَّذِي ... أَقُولُ لِصَدِّ النَّاسِ عَنْهُ لِتَغْلِبُوا

[أَكَاذِيبُهُم]

---

(١) تسمية القصيدة، والبسملة بعدها، والعناوين التي بين الأبيات، كلُّها من وضع الشيخ، وكل تعليقٍ له.. ختمتُه باسمه.

(٢) يتحوَّبوا: لم يخافوا عاقبة الكذب. [أبو السمح].

نقُـولُ عليـه: يُنكِـرُ «الـذِّكر» مـرَّة ويُنْكِـر حينًـا مَـن بِهِـم نَتقـرَّبُ
ويُنْكِـر أحْيانـا «شـفاعاتِ» أَحْمَـد لـدَى اللهِ في قَـوْمٍ أَسـاءُوا وأذْنَبـوا
ويَطْعـنُ فِـيما جاءَنـا مِـن «مَـذَاهِب» ولـيس لـه في الـدِّين شـيخٌ ومَـذْهبُ
كـذاك «طَـلاقٌ» بـالثَّلاث يَـرُدّه فيَخْـرِقُ «إجماعًـا» ولا يتهيَّـبُ
فقُوموا جميعًا نَمْلأُ «الصُّحفَ» نَعْرَةً ونَرفـعُ صَـوْتًا في النَّـوادي ونخْطِـبُ
ونرْفَـعُ شَـكْوانا بِكُـلِّ عظيمـةٍ لعلَّ عظيمًا مِن «أُولي الأمرِ» يَغْضَبُ
ونَشْـكوه للأَشْـياخِ في كُـلِّ مَعْهـد ونَرْميـه بـالكُفْر الصُّـراحِ ونكْـذِبُ
فـإنِ لم يُفِـدْ هـذا شَـكَوْناه للقَضَـا وجِئْنـا بِبُهْتَـانٍ عَسَـى نَتَغَلَّـبُ
نقولُ رمى «الأعلامَ» من فوقِ منبر ودنَّـس (رمـزًا) للشريعة يُنسـبُ
تَعـدَّى عَـلَى الـدِّينِ الحَنِيـفِ وأهلِـهِ ومـازَالَ في طعْـنِ الأئمَّـةِ يَـدْأَبُ
فَـلا بُـدَّ مِـن سِـجْنٍ لَـه أو غَرَامـةٍ وإذْ ذاكَ تَرْتـاحُ النُّفـوسُ وتُطْـرِبُ

[مُقَامُهُم فِي المَحْكَمَةِ]

فلَّـما أتَـوْا دار المُحاكَمـةِ انْـبَروا جَمِيعًـا لقَـوْلِ الـزُّورِ بُهْتًـا وأَطْنَبـوا
وكادُوا بـما أَلْقَـوْه أنْ يَسْحرُوا الـورَى فأَلْقَى العَصا (مُوسى) وبانَ المُغَيَّبُ
وأَيَّـدَه رَبُّ العِبـادِ بِحُجَّـةٍ فأبْـدَى لهُـم مـالَم يَظُنُّـوا ويَحْسِـبُوا

[الدِّفَاعُ وَالعَقَائِدُ]

فَقَالَ لقاضِي العَدْلِ هذِه عَقائدي سأذْكُرُها والحَقُّ يَعلُو ويَغْلِبُ
أَلَّا إنَّما الزُّلفَى إلى اللهِ طاعةٌ وَإيمانُ قَلْبٍ لا «حُسَيْن» و «زَيْنبُ»(١)
وليسَ دُعاءُ الأولياءِ وسيلةً كما زَعَم الضُّلالُ جَهْلاً وشَغَّبوا
ولكنَّه الكُفرُ الصُّراحُ الَّذِي بِه أُبيحَ دَمُ الكُفَّار قَبْلا وعُوقِبوا
فَيا داعِيًا غَيرَ الإلهِ وعاكِفًا عَلى القَبْرِ تَشْكوا ما عَرَاك وتَنْدِبُ
أَلَيْسَ إلَه «العَرْشِ» للعَبْدِ كافِيًا كَفِيلاً بما يَرجُوه مِنه ويَرْغَبُ
أَلَيْسَ هُوَ الرَّبُ اللطِيفُ بخَلْقِه فمَنْ غَيْرُهُ للخَلْقِ أَدنَى وأَقْربُ؟
ومَن مِثْله حَيٌّ سَمِيعٌ لِمَنْ دَعا قَدِيرٌ عَلى إعْطاءِ ما مِنْه يُطْلَبُ؟
يَقِيسُونَ خَلَّاقًا بمَخْلُوقِه ولم يَجِيئُوا ببُرْهانٍ وَلَم يَتأَدَّبُوا

[شَفَاعَاتُ الرَّسُولِ ﷺ، وَتَبَرُّؤُهُ مِنَ «المُبْتَدِعَةِ»، وَطَرْدُهُمْ عَنِ «الحَوْضِ»]

وحُبُّ رسولِ اللهِ أَرْجَى وسِيلةً وأَعظمُ قُرْبَى للذِي يَتَقَرَّبُ
ويَشْفعُ يَومَ «الحشْرِ» في النَّاسِ كُلِّهم كما صَحَّ في «الأخبارِ» يُروَى ويُكْتبُ
فيَسْجُدُ تحتَ «العَرشِ» للهِ داعِيًا بكُلِّ خُضوعٍ يَقْتضِيه التَّأدُّبُ
فيَأْذنُ رَبُّ الخَلْقِ في الفَصْلِ والقَضَا وسِيقَ إلى «النَّار» الغُواةُ فكُبْكِبوا

(١) لا يلزم من استغاثة مناوئيه بهذين الاسمين، أنَّهم من «الشيعة»؛ بل أراد قاصدي مزارتِهما في «مصرَ»، لدعائهما.. وهذا فعلُ غُلاة «الصوفية»، وأتباعِهم من العامَّة.

وقامَ عَلى «الحَوْضِ» الشريف نبيُّنا وطارَ إليه النَّاسُ عَطْشَى ليَشْرَبوا
فكَمْ حَائِدٍ يَدْعُوه: أَقْبِلْ فيَنْثَنِي فيَسْأَلُ لِمَ هذا عَنِ «الحَوْضِ» يُحجَبُ
يُجابُ بأنَّ النَّاسَ قَدْ بَدَّلُوا «الهُدَى» يَقُولُ: فَسُحْقًا مَا لَهُم ثَمَّ مَشْرَبُ
وَثَمَّ شفاعات لِـ «طَه» وغَيْرِه بشَرْطِ الرِّضَى والإذْنِ خابَ المُكَذِّبُ

[إِثْبَاتُ الكَرَامَاتِ لِلصَّالِحِينَ]

ولَسْنا بحَمْدِ اللهِ نَنْفِي كَرامةً لأَيِّ «وَلِيٍّ» كانَ للحَقِّ يَغْضَبُ
ولكنَّنا نَنْفِي خُرافاتِ جاهِلٍ ونُنْكِرُ ما يَأْبَاهُ «طَه» المُحبَّبُ

[التَّغَنِّي بِالآذَانِ، وَالزِّيَادَةِ فِيهِ]

وَأَمَّا التَّغَنِّي بِالأذَانِ فَبِدْعَةٌ وَمَنْ زَادَ فِيها فَهُوَ بِالدِّينِ يَلْعَبُ
وَكَمْ بِدْعَةٍ فِي الدِّينِ قَالُوا بِحُسْنِها خِلَافًا لَهَا دِينًا وَلَمْ يَتَأَدَّبُوا
وَكَمْ شَوَّهُوا حقًّا وَكَمْ بَدَّلُوا هُدى وَكَمْ هَدّوا للدِّين رُكْنًا وَخَرَّبُوا
وَكَمْ قَدَّمُوا رَأْيًا عَلَى «النَّصِّ» وَيْلَهُم وَكَمْ شَنَّعُوا بِالصَّالِحِينَ وَأَجْلَبُوا
وَكَمْ قَدَّمُوا فِي الدِّينِ غَيْرَ رَسُولِهِم وَوَالوا سُواهُ للهَوَى وتَعَصَّبُوا
وَمِنْ أَجْلِ هَذا عُوقِبُوا بمذلَّةٍ وذاقُوا مِنَ البَأْساءِ مَا فِيهِ معْطَبُ

[إِثْبَاتُ الذِّكْرِ «الشَّرعِي»، وَإِنْكَارُ «البِدْعِي»]

وَمَا الذِّكْرُ إلَّا مَا أَبَانَ رَسُولُنَا وَإِنَّا إِلَى مَا جَاءَنا مِنْهُ نَذْهَبُ
دُعَاءٌ وَتَسْبِيحٌ وَحَمْدٌ لِرَبِّنَا وَتَرْتِيلُ «قُرْآنٍ» بِهِ نَتَهَذَّبُ
فَما هُوَ رَقْصُ العَاهِراتِ خَلَاعَةٍ وَلَا هُوَ مَلْهَى لِلْعِبَادِ وَمَلْعَبُ

وَلَا هُـوَ أَصْـواتُ «الحَمِيرِ» الَّتِي بِهـا تَصِيحُ كِلابُ النَّارِ مِنْهُم وَتَصْخِبُ
وَمَـا فِيـهِ مِزْمُـارٌ وَدُفٌّ (وَبَـازَةٌ) وَلَا مُنْشِـدٌ لِلشِّـعْرِ يَشْـدُوا وَيُطْـرِبُ
وَمَا كَان أَصْحَابُ «الرَّسُولِ» كَمِثْلِهِم طَرَائِـقَ شَـتَّى للضَّـلَالِ تَحَزَّبُـوا
لَقَدْ خَالَفُوا «الشَّرْعَ» الشَّرِيفَ بِفِعْلِهِم كَـمَا فَرَّقُـوه بِالتَّعَـادِي وَشَـعَّبُوا

[الحُكْمُ بِالبَرَاءَةِ، وَرُجُوعُهُمْ بِالخَيْبَةِ وَالنَّدَامَةِ]

فَلَـمَّا رَأَى القَـاضِي النَّزِيـهُ اعْتِقَـادُهُ هُـوَ الحَـقُّ أَمْضَـاهُ عَلَـيْهِم وكُـذِّبُوا
وَعَـادُوا بِخِـزْيٍ لَمْ يَـرَوْا قَـطّ مِثْلَـهُ وَعُـدْنَا ـ بِحَمْـدِ اللهِ ـ وَالحَـقُّ أَغْلَـبُ
أَمَـا لَهُـمُ فِي نَصْرِنَا كُـلَّ مَـرَّةٍ عَلِـيْهِم عِظَـاتٌ بَالِغَـاتٌ ومَعْتَـبُ

[«الاسْتِئْنَافُ»، وَتَأْيِيدُ البَرَاءَةِ]

قَـدِ اسْـتَأْنَفُوا حُكْـمَ «العَدَالَـةِ» عَلَّهُـم يَذُوقُونَ طَعْمَ النَّصْرِ ـ يَوْمًا ـ فَخُيِّبُوا
وَأَيَّـدَهُ المَـوْلَى فَعَـادَ مُظَفَّـرًا لَـهُ الحَمْـدُ مِنَّـا وَالثَّنَـاءُ المُطَيَّـبُ
وَتِلْـكَ كَرَامَـاتٌ؛ فَلِـمَ يُنْكِرُونَهَـا؟! هَـلْ يُنْصَرَـنَّ إِلَّا الـوَلِيُّ المُقَـرَّبُ؟!

[شُهَدَاءُ الزُّورِ]

فَيـا شُـهَداءُ «الـزُّورِ» تُوبُـوا لِـرَبِّكُم وَلَا تَـتَمادوا فِي الظَّـلَالِ فَتُعْطَبُـوا
وَلا تُنْكِـرُوا لِلأَوْلِيَـاءِ كَرَامَـةً وَلا تَسْتَضِيمُوا مَـنْ لَـهُ اللهُ يَغْضَـبُ
أَلَا إِنَّ مَـن عَـادَى وَلِيًّـا لِرَبِّـهِ فَقَـدْ حَـارَبَ اللهَ الَّـذِي لَـيْسَ يُغْلَـبُ

مَنَعْـتُم «بُيُـوتَ اللهِ» أَنْ يُـذْكَرَ اسْـمُهُ بِهَا وَتَبِعْتُم مَا يُوَسْوِسُ «خَنْزَبُ»[١]

[سَعْيُهُمْ فِي خَرَابِ «المَسَاجِدِ»]

سَـعَيْتُم وَمَـا قَصَّرْـتُمُوا فِي خَرَابِهَـا وَلَكِـنْ هَبَـاءً كُـلَّ هَـذَا سَـيَذْهَبُ
وَتُجْـزَوْنَ فِي الـدُّنْيَا بِخِـزْيٍ مُعَجَّـلٍ وتَصْلَوْنَ فِي الأُخْرَى جَحِيمًا تَلَهَّبُ
نَصَـحْنَا لَكُـمْ فِي السِّرِ ـ وَالجَهْرِ حُسْبَةً (وَلِلنُّصْحِ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوْهَبُ)[٢]
فَكَافَأْتُمُونَـا بِالسِّـبَابِ وَبِـالأَذْىَ وَكَـمْ سُبَّ قدما مُصْلِحُونَ وَكُذِّبُوا
فَيَـا نَفْسُ صَـبْرًا لَا تُبَـالِي بِكَيْـدِهِم فَـإِنَّ جَـزَاءَ الصَّـبْرِ يَـا نَفْسُ طَيِّـبُ
سَـيَجْمَعُنَا الجَبَّـارُ جَـلَّ جَلَالُـهُ لِـ «يَـوْمِ جَـزَاءٍ» مَـالَهُم مِنْـهُ مَهْـرَبُ
هُنَالِـكَ يُجْـزَى الصَّـابِرُونَ بِـ «جَنَّـةٍ» وَبِـ «النَّارِ» يُجْزَى[٣] كَـاذِبٌ وَمُذَبْـذَبُ

* * * *

(١) «خَنْزَب»: اسم شيطان يوسوس للناس، ويصدهم عن عبادة الرحمن. [أبو السمح].

(٢) شطرٌ بيتٍ من قصيدة طويلةٍ، منسوبة لعلي بن أبي طالب ﷺ، تُسمَّى «الزينبية». انظر: «ديوان علي بن أبي طالب» (٢٨).

(٣) (يُجزَى) في الشطرين مبنية للمعلوم (يجزِي)، وأصلحتها لتناسب ما بعدها.

القصيدة الثانية

«يا صحاب الهَدْيَ إنَّ العُمْيَ قد كثُروا»

وهي قصيدةٌ رائيةٌ مؤثرةٌ، يشتكي فيها عالمٌ، مسلمٌ، سلفيٌّ، غيورٌ على دينه وعقيدته، من غربة الدِّين، وهي في (٥٣) بيتٍ، وَصَفَ فيها حالَ الأمة في عصره، وصفًا دقيقًا.

ويظهر لي ـ واللهُ أعلم ـ أنَّه كتبها لرفيق دربه، العلامة السلفي: محمد حامد الفَقِي رَحِمَهُ اللَّهُ، بدليل قولِه في أحد أبياتِها:

يا صاحب «الهَدْي» إنَّ العُمْيَ قد كثروا وأنكروا الشمس؛ لاعقل ولا بصر

ولعلَّه يشير بـ «الهَدْي» إلى «مجلة الهَدْي النَّبوي»، للشيخ الفَقِي، والذي قام بدوره فنشر القصيدة كاملة في صحيفته[1].

* * * *

(١) نُشرت في: «مجلة الهَدْي النَّبوي»؛ العدد: (٩)، وتاريخ: (١٣٥٨هـ).

وانظر نص القصيدة كاملة في: «المقالات السَّلفية» (ص ٢٢٧).

قال العلامة: عبدالظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذَنْبِي إِلَى النَّاسِ مَا إِنْ قَطّ يُغْتَفَرُ ... كَلَّا، وَلا أَنَا عَنْهُ الدَّهْرَ مُعْتَذَرُ

ذَنْبِي العَظِيمُ إِلَيْهِم: أَنَّنِي رَجُلٌ ... دِينِي اتِّبَاعُ الهُدَى، للحَقِّ أَنْتَصِرُ ـ

مُسْتَمْسِكٌ بِـ «كِتَابِ اللهِ»، مُتَّبِعٌ ... هَدْيَ النَّبِيِّ، مَدَى الأَيَّامِ، لَا أَذَرُ

مُجَاهِدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ عَبَدُوا ... غَيْرَ الإِلَهِ، وبِالتَّنْزِيلِ قَدْ كَفَرُوا

رُمْحِي لِسَانِي؛ وَسَيْفِي المُنْتَضَى ـ قَلَمٌ ... إِذَا غَزَوْتُ العِدَى يَوْمًا بِهِ انْدَحَروا

سَلُوا السِّوِيسَ، وَرَمْلاً؛ عَنْ وَقَائِعِنَا ... وَأَهْلَ جِيزَةٍ، وَالتِّلِينَ؛ مَا الخَبَرُ؟

لَمْ يَنْقِمَ النَّاسُ مِنَّا غَيْرَ مُعْتَقَدٍ ... مَا إِنْ سِوَاهُ لَدَى الأَسْلَافِ يُعْتَبَرُ

فَفِي الصِّفَاتِ وَفِي الأَسْمَاءِ نُثْبِتُ مَا ... جَاءَتْ صَرِيحًا بِهِ الآيَاتُ وَالأَثَرُ

وَلَا نُشَبِّهُ جَلَّ اللهُ عَنْ شَبَهٍ ... وَإِنْ تَقَوَّلَ عَنَّا السَّفَلَةُ الغَجَرُ

وَنُفْرِدُ اللهَ بِالإِخْلَاصِ نَعْبُدُهُ ... هَذَا هُوَ الحَقُّ، لَا الأَحْجَارُ وَالشَّجَرُ

إِلَهُنَا اللهُ نَدْعُوهُ لِكُرْبَتِنَا ... فَهَلْ سِوَاهُ عَلَى مَا شَاءَ مُقْتَدِرُ؟

أَلَيْسَ أَرْحَمُ مِنْ أُمٍّ عَلَى وَلَدٍ ... لَهُ الصِّفَاتُ مِنْهَا السَّمْعُ وَالبَصَرُ ـ

أَنَّ الأُوْلَى أَوَّلُوا الآيَاتِ وَانْتَحَلُوا ... عَقِيدَةَ النَّفْيِ عَنْ «جَهْمٍ» فَقَدْ خَسِرُوا

وَالعَابِدُونَ سِوَى الرَّحْمَنِ كُلِّهِم ... صُمٌّ وَبُكْمٌ، وَ خَيْرٌ مِنْهُم الحُمُرُ

وَآخَرُونَ أَضَلَّ اللهُ سَعْيَهُم ... قَدْ اطْمَأَنُّوا إِلَى الدُّنْيَا، وَمَا حَذِرُوا

وَإِذَا ذَكَرْتَ «كِتَابَ اللهِ» عِنْدَهُم ... هَزُّوا الرُّؤوسَ وَبِالآلاتْ قَدْ سَخِرُوا

وَلَيْسَ أَثْقَلُ مِنْ ذِي النُّصْحِ عِنْدَهُم ... وَمَنْ يَغَارُ، وَمَنْ للدِّينَ يَنْتَصِرُ ـ

كَـــأَنَّما الـــدِّينُ أَقْـــذَاء لأَعْيُـــنِهِم ... وَأَهْلُـــهُ غُصَّـــةٌ فِي الحَلْـــقِ تَشْـــتَجِرُ

وَعِلَّـةُ الـبُغْضِ: أَنَّ الـدِّينَ ضَـايَقَهُم ... فِيمَا اسْتَبَاحُوا مِنَ اللَّذَّاتِ وَافْتَجَرُوا

وَهِمَّـةُ النَّـذْلِ مِـنْهُم مِـلْء مِعْدَتِـهِ ... وَمُنْتَهَـى مَـا يُحِـبُّ الفَـرْجُ وَالـدُّبُرُ

اللهُ أَكْـــبَرُ، لَا قَـــرَّتْ عُيُـــونُهُم ... مَـدَى الزَّمَـانِ، وَلَا عَـزُّوا وَلَا كَثَـرُوا

هُـــمْ يَفْرَحُـــونَ بِـــدُنْيَا لَا بَقَـــاءَ لَهَـــا ... فَلْيَفْرَحُـوا اليَـوْمَ، وَالمَـأْوَى غَـدًا سَـقَرُ

وَلِيهْننـا نَحْـنُ «بَيْـتٌ» طَـابَ زَمْزَمُـهُ ... فِيـهِ المَقَـامُ، وَفِيـهِ الحِجْـرُ وَالحَجَـرُ

وَحِكْمَـةٌ مِـنْ «كِتَـابِ اللهِ»، أَوْ «أَثَـر» ... عَـنِ الرَّسُـولِ، كَجَنَّـاتٍ بِهَـا ثَمَـرُ

نَظَـلُّ نَقْطِـفُ مِنْهَـا كُـلَّ فَاكِهَـةٍ ... مِـنَ المَعَـانِي الَّتِـي أَلْفَاظُهَـا دُرَرُ

وَنُطْـرِبُ السَّـمْعَ بِـ «القُـرْآنِ» نَقْـرَؤُهُ ... فِيـهِ الشِّـفَاءُ وَفِيـهِ النُّـورُ وَالعِـبَرُ

جَلِيسُـــنَا اللهُ إِذْا نَـــدْعُوا وَنَـــذْكُرُهُ ... نِعْـمَ الجَلِيسُ، وَنِعْـمَ المَجْلِسُ العَطِـرُ

إِنْ يَسْـكَرَ النَّـاسُ بِالـدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَـا ... فَـنَحْنُ قَـوْمٌ بِحُـبِّ اللهِ قَـدْ سَـكِرُوا

يَا صَاحِبَ «الهَدْيِ» إِنَّ العُمْيَ قَدْ كَثُرُوا ... وَأَنْكَـرُوا الشَّـمْسَ؛ لَاعَقْـلَ وَلَا بَصَرُ

فَاصْـبِر عَلَـيْهِم، وَلَا يَحْزُنْـكَ كُفْـرُهُم ... عَـمَّا قَرِيـبٍ يُجَـازَى[1] الكَـاذِبُ الأَشِرُ

وَعَامِـــــلِ اللهِ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَـــــنٍ ... تَلْـقَ الجَـزَاءَ لَدَيْـهِ لَـيْسَ يَنْحَصِرُ

وَوَالِ فِي اللهِ مَـــنْ وَالَاكَ مُحْتَسِـــبًا ... وَعَـادِ مَـنْ بِصِـفَاتِ اللهِ قَـدْ كَفَـرُوا

---

(١) في الأصل (يجازي)، وأصلحتها لتناسب إعراب ما بعدها.

وَإِنْ رَأَيْتَ كِلَابَ الشِّرْكِ نَابِحَةً ... فَلَا تَعِرْهَا التِفَاتًا؛ إِنَّهَا قَذَرُ

وَاصْبِرْ عَلَى الحَقِّ صَبْرًا لَا يُخَالِطُهُ ... عَتَبٌ عَلَى أَحَدٍ، كَلَّا وَلَا ضَجَرُ

الحَقُّ أَبْقَى عَلَى كَيْدِ الكَثِيرِ لَهُ ... وَضِدُّهُ زَاهِقٌ؛ وَالحَقُّ مُنْتَصِرُ

لَا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ قَوْمٍ ظَوَاهِرُهُم ... فَكَمْ خُدِعْنَا، وَغَرَّتْنَا لَهُمْ صُوَرُ

تَرَاهُمْ كَبَنِي الإِنْسَانِ إِنْ نَطَقُوا ... وَإِنَّهُمْ لَعَمْرِي ـ إِذْا حَقَّقْتَهُم ـ بَقَرُ

لَا تَعْتَبَنَّ عَلَى الأَيَّامِ إِنْ رَفَعَتْ ... أَسَافِلَا وَأَذَلَّتْ مَنْ لَهُمْ خَطَرُ

لَا تَشْكُوَنْ لِغَيْرِ اللهِ نَازِلَةً ... إِنَّ الشِّكَاةَ لِغَيْرِ اللهِ تُحْتَقَرُ

نَشْكُوا إِلَى اللهِ، لَا لِلْخَلْقِ غُرْبَتَنَا ... بَيْنَ الأَنَامِ، وَدِينُ اللهِ مُحْتَضَرُ

بَدَا غَرِيبًا، وَعَادَتْ بَعْدُ غُرْبَتُهُ ... كَمَا أَتَى صَادِقًا فِي ذَلِكَ الخَبَرُ

كَمِ ادَّعَاهُ أُنَاسٌ لَيْسَ عِنْدَهُم ... إِلَّا أَمَانِي، لَا يَقْضِي بِهَا وَطَرُ

فَإِنْ سَأَلْتَ: أَرُونِي الدِّينَ، وَيْحَكُم ... أَأَمْرُهُ نَافِذٌ، وَالحُكْمُ مُعْتَبَرُ؟

أَمَّا «المَسَاجِدُ» فَالأَوْثَانُ قِبْلَتَهَا ... وَإِنْ خَلَا مَسْجِدٌ مِنْهَا فَمُنْدَثِرُ

أَمَّا «المَحَاكِمُ» فَالأَحْكَامُ قَدْ بَطَلَتْ ... إِلَّا قَضَايَا النِّسَاءِ، وَالحُكْمُ مُنْحَصِرُ

أَمَّا «المَدَارِسُ» وَ «التَّعْلِيمُ» وَا أَسَفَا ... فَقَدْ خَلَتْ مِنْهُ، لَاعَيْنٌ وَلَا أَثَرُ

جَاسَ.. خِلَالَ الدُّورِ، وَاحْتَكَمُوا ... فِي المَالِ وَالعِرْضِ وَالأَرْوَاحُ قَدْ أَسَرُوا

وَالدُّودُ يَأْكُلُ حَرْثًا، وَهُوَ غَالِبُهُم ... وَكَمْ أَرَادُوا امْتِنَاعًا مِنْهُ لَو قَدَرُوا

فَأَيْنَ أَيْنَ الأُلَى يَدْعُونَ، هَلْ نَفَعُوا؟ ... وَهَلْ أَجَابُوا صَرِيخَ القَوْمِ وَانْتَصَرُوا؟

يَا وَيْلَهُم مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذْ عَبَدُوا ... غَيْرَ الإِلَهِ، وَلِـ «الأَصْنَامِ» قَدْ نَذَرُوا

أَخْـــزَاهُمُ اللهُ فِي الـــدُّنْيَا، وَعَـــذَّبَهُم بِكُـلِّ شَيْءٍ فَـمَا تَـابُوا وَمَـا اعْتَـبَرُوا
لَمْ يَخْجَلُـوا قَـطُّ يَوْمًـا مِـنْ جَهَـالَتِهِم وَلَـوْ أَحَسُّـوا بِـمَا هُـمْ فِيـهِ لانْتَحَـرُوا
يَـا غُرْبَـةَ الـدِّينِ مِـنْ أَهْـلٍ وَمِـنْ وَطَـنٍ دَمْعِـي عَلَيْـكِ مِـنَ الأَحْـزَانِ مُنْهَمِـرُ

* * * *

القصيدة الثالثة

«القصيدة النونية في بيان الوسيلتَيْن الإسلامية والشِّركية»

وهي قصيدة نونية، تحدَّث فيها عما منَّ الله به عليه، ومن السَّيْرِ إليه وفق عقدية سليمة، وفيها جوانب مُضيئة من سيرته، وصلابته في الحقِّ، ومحبته لأهل الحقِّ، ثم دعا اللهَ فيها أنْ ينصرَ التوحيد وأهله، وذَكَر الملك عبد العزيز، لجهوده في نشر «العقيدة السَّلفية» الصحيحة، وهي قصيدة طويلة، وتقع هذه القصيدة في (١٣٥) بيتًا[١].

[طبع القصيدة النونية]:

طَبع الشيخ عبدالظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ هذه القصيدة في حياتِه، بعنوان «القصيدة النونية ـ المكية السَّمْحِيَّة ـ لبيان الوسيلتَيْن الإسلامية والشركية وأنواع التوحيد»، وصدرت عن «المطبعة السلفية» بـ «مكة»، سنة: (١٣٥٢).

وعلى أهمية القصيدة، وجمالها، وشهرتها، لم أرها مطبوعة بعد ذلك[٢]، وقد استخلصَها كاملةً ـ من شرحِها الصوتي الآتي ـ، الشيخُ رضوان بن محمد، ثم سجَّلها ـ مرتلة ـ بصوتٍ جميلٍ متقنٍ[١].

---

(١) وهو على خلاف من ورد في مصادر ترجمته وأنها (١١٨) بيتًا.

(٢) قيل لي بأنَّه موجودة في كتابه «حياة القلوب»، ومكتبتي ليست الآن بين يدي.

ثم وجدتها على روابط «نصية» و «صوتية»، على عدة مواقع إلكترونية، وقد أخذوها من النص الصوتي المذكور أعلاه.

[شرح القصيدة]:

وجدتُ للقصيدة شرحًا صوتيًا، للشيخ د. فهد بن سليمان الفهيد[٢]، تم بثُّه على «قناة الأثر»، ثم استخلصَ بعضُ طلبة العِلم منه ـ من الشَّرح ـ أبياتًا نقلوها في بعض المنتديات الإلكترونية.

[مصدري في إثبات القصيدة]:

لم أجدْ ـ أولاً ـ مطبوعة المؤلف، فاستخلصتها كاملة من النسخة الصوتية، المذكورة أعلاه، ثم وصلتني مطبوعةَ المؤلف الأصلية[٣]، فقابلتُها عليها، واعتمدتُ ما ورد في مطبوعة المؤلف.

---

(١) انظر تطبيق: «اليوتيوب»؛ تحت عنوان: (نونية الشيخ عبد الظاهر) تحت هذا الرابط: [https://www.youtube.com/watch?v=B3ONB4ApT6E].

(٢) عميد كلية أصول الدين، وشرحُه مرفوعٌ على التطبيق الشهير: «اليوتيوب»؛ تحت عنوان: (شرح قصيدة النونية في بيان الوسيلتين الإسلامية والشركية) تحت هذا الرابط: [https://www.youtube.com/watch?v=b_lha6dE1ck]

(٣) وهي مُصورة النُّسخة التي أرسلها الناظم أبو السمح إلى شيخه رشيد رضا. أرسلها لي من «أمريكا» حفيد الشيخ رشيد رضا، الشيخ الشريف: فؤاد سعيد بن محمد شفيع بن محمد رشيد رضا الحُسَيْني.

ولقد وجدتُ النسخة الصوتية والنصية المنتشرة للقصيدة، ناقصةً عن أصلها بـ (١٨) بيتًا، قد بيَّنتُها في مواضعِها، وجلها هو المقطع الخاص بذكر شيخِه رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما أنَّ بيتًا من آخر القصيدة قد حُذِف عمدًا، وهو المتضمن دعا الناظم لـ «آل سعود»، وأشرتُ إليه في موضعِه، وهو عمل مخالفٌ للأمانة العلمية.

* * * *

قال العلامة: عبدالظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ:

قُولُوا لِمَنْ يَدْعُو سِوَى الرَّحْمٰنِ مُتَخَشِّعًا فِي ذِلَّةِ العُبْدَانِ[1]

يا داعِيًا غَيْرَ الإِلٰهِ أَلَا اتَّئِدْ إِنَّ الدُّعَاءَ عِبَادةُ الرَّحْمٰنِ

يا داعِيًا غَيْرَ الإِلٰهِ تَقَرُّبًا فِي زَعْمِهِ لِلْوَاحِدِ الدَّيَّانِ

أَنَسِيتَ أَنَّكَ عَبْدُه وفَقِيرُه ودُعاؤُه قَدْ جَاءَ فِي القُرْآنِ[2]

اللهُ أَقْرَبُ مَنْ دَعَوْتَ لِكُرْبَةٍ وهُو المُجِيبُ بِلا تَوَسُّطِ ثَانِي[3]

---

(١) «عُبْدان» جمعُ عَبْدٍ؛ فهي تُجمع على صورٍ منها: عَبْدونَ، وعَبيدٌ، وعِبادٌ، وأَعْبُدٌ، وعُبْدانٌ، وعِبْدانٌ، وعِبِدَّانٌ، ومَعْبَدَةٌ... ولكن الشيخ استعمل «العُبْدان»؛ لأجل القافية.

وانظر: «القاموس المحيط» (ص ٢٩٦).

(٢) أشير في هذا البيت إلى ما جاء من الآيات، في الحث على دعاء الله وحده، بالأمر والصيغة كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، ونحوه من الآيات، وهي كثيرةٌ، ومما ورد في الدعاء بالصيغة: ﴿ رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء]، و [﴿ رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه]. [أبو السمح].

(٣) أشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ [ق]، و ﴿ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [هود]. [أبو السمح].

هَـلْ جَـاءَ دَعْـوَةُ غَـيْرِه فِي سُـنَّةٍ أَمْ أنـتَ فِيـهِ تـابِعُ الشَّـيْطَانِ
إنْ كُنْـتَ فـيمَا تَدَّعِيـهِ عـلى هُـدًى فَلْتَأْتِنَـا بِسَـواطِعِ البُرْهَـانِ
وَاللهِ مَـا دَعَـتِ الصَّـحَابَةُ غَـيْرَه يَتَقَرَّبُـونَ بِـهِ كَـذِي الأَوْثَـانِ
لٰكِـنَّ هٰـذَا الفِعْـلَ كـانَ لَـدَيْهِمُ شِرْكًـا وَفَـرُّوا مِنْـهُ لِلْإِيـمانِ
لَـيْسَ التَّوسُّـلُ والتَّقَـرُّبُ بِـالهَوَى بَـلْ بِـالتُّقَى والـبِرِّ والإِحْسَـانِ[1]
هٰـذَا كِتَـابُ اللهِ يَفْصِـلُ بَيْنَنَـا هَـلْ جَـاءَ فِيـهِ: تَوَسَّـلُوا بِفُـلانِ
إنَّ التَّوسُّـلَ في الكِتَـابِ لَوَاضِـحٌ وإِذَا فَطِنْـتَ فَإنَّـه نَوْعَـانِ[2]

[التَّوسُّلُ الشِّرْكِيُّ]

فَتَوَسُّـلٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِسُـورةِ الـ إِسْرا ((قُـلِ ادْعُـوا)) لَـيْسَ ذَا كِـتْمانِ

---

(١) أي لأنَّ التَّقرُّبَ إلى الله أمرٌ شرعي، لا يثبتُ إلا بـ «الكِتاب» و «السُّنة»، كالصلاة والزكاة والصوم، وغير ذلك من العِبادات المعلومة من الدِّين بالضرورة. [أبو السمح].

(٢) أشير إلى آية «المائدة»: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، فهذه وسيلة المتقين، ووسيلة المشركين ما في سورة الإسراء: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ۝٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ الآية، فالأولى بالإيمان والعمل الصالح، والثانية بالأشخاص، كعيسى وأُمِّه، والملائكة، وعُزَيْر، وسائر المُعتقَد فيهم بالولاية. [أبو السمح].

وبِسُـورةِ «الزُّمَـرِ» اتْـلُ أوَّلَهَـا تَجِـدْ نَصًّـا صَرِيحًـا واضِـحَ التِّبْيَـانِ

[اعْتِرَافُ المُشْرِكِينَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ]

ولَـئِنْ سَـأَلْتَ المُشْرِـكِينَ مَـنِ الَّـذي ذَرَأَ البَرِيَّـةَ مَـا لَـهُ مِـنْ ثَـانِي[1]

قَـالُوا جَمِيعًـا: «رَبُّنَـا» لٰكِـنَّهُمْ لَمْ يُفْـرِدُوهُ بِخَـالِصِ القُرْبَـانِ

وخُلاصَـةُ «الزُّلفَـى» لَـدَيْهِمْ أنَّهُـمْ يَـدْعُونَ غَـيْرَ اللهِ بِالإِحْسَـانِ

وَلَقَـدْ أَتَـى فِي الـذِّكْرِ أنَّ دُعَـاءَهُمْ فِي الكَـرْبِ كَـانَ لِرَبِّنَـا الـرَّحْمٰنِ

وإِذَا أَتَـى فَـرَجٌ وشَـامُوا بَرْقَـهُ عَـادُوا إِلَى الكُفْـرَانِ والعِصْـيَانِ

لٰكِـنَّ قَـوْمِي فِي الرَّخَـاءِ وضِـدِّه يَـدْعُونَ غَـيْرَ اللهِ بِالإِحْسَـانِ

يَـدْعُونَ أَمْواتًـا غَـدَوْا تَحْـتَ الثَّـرَى مـا إِنْ لَهُـمْ فِي ذَا الـوَرَى مِـنْ شَـانِ

واللهُ كاشِـفُ كُـلِّ كَـرْبٍ قَـادِرٌ وسِـوَاهُ ذُو عَجْـزٍ فَقِـيرٌ فَـانِي

[بَيانُ العِبَادَةِ وَإِقَامَةُ الحُجَّةِ عَلَى المُشْرِكِينَ]

أَوَ لَـيْسَ نَـذْرُكَ لِلإِلٰـهِ عِبَـادةً أَنَّـى يَكُـونُ لِغَـيْرِ عـالِي الشَّـانِ

وكَـذاكَ نَحْـرُكَ والـدُّعاءُ عِبَـادةٌ لَا تَنْبَغِـي لِفُلانَـةٍ وفُـلانِ

---

(١) أشير إلى ما حكم الله عن المشركين، بقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ومثلها في «القرآن» كثيرةٌ، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. [أبو السمح].

فَعِبَـــادةُ المَخْلُـــوقِ تَأْلِيـــهٌ لَـــهُ عَقْـــلًا ونَقْـــلًا واضِـــحُ التِّبْيَـــانِ
أفَبَعْـــدَ هٰـــذا تَسْـــتَغِيثُ بِمَيِّـــتٍ وتَصُـــدُّ عَـــنْ حَـــيٍّ سَـــمِيعٍ دانِي
وتَـــرُوحُ تَـــدعُو الأَوْلِيَـــاءَ تَأَلُّهًـــا وتَقُـــولُ: يَـــا بَـــدَوِيُّ يَـــا جِـــيلَانِي
يَـــدْعُونَهُمْ مُتَوَسِّـــلِينَ بِـــزَعْمِهِمْ ودُعَـــاؤُهُمْ شِرْكٌ بِـــنَصِّ قُـــرَانِ(١)
شَـــادُوا علَيْهـــا بَعْـــدَ تَصْـــوِيرٍ لَهَـــا قُبَبًـــا تُشَـــابِهُ هَيْكَـــلَ الأَوْثَـــانِ
وتَـــراهُمُ وَقَفُـــوا لَـــدَيْها خُشَّـــعًا ودُمُـــوعُهُمْ تَجْـــرِي عـــلى الأَذْقَـــانِ
طـــافُوا بِهـــا سَـــجَدُوا لَهَـــا وتَمَرَّغُـــوا فِي تُرْبِهـــا بِغَوايَـــةِ الفَتَّـــانِ(٢)
وجَمِيـــعُ مَـــا عُبِـــدَ الإِلٰـــهُ بِـــهِ لَقَـــدْ عَبَـــدُوا بِـــهِ الأَصْـــنَامَ بِالإِحْسَـــانِ
كـــالخَوْفِ مِـــنْ بَطْـــشِ الـــوَلِيِّ وسُـــخْطِهِ إِنْ لَمْ يَفُـــوا بِالنَّـــذْرِ والقُرْبَـــانِ
وجَمِيـــعُ هٰـــذَا الشِّرْـــكِ بِاسْـــمِ توسُّـــلٍ فَعَلُـــوهُ وهْـــوَ نِهايَـــةُ الكُفْـــرَانِ
وإذا فهِمْـــتَ تَوَسُّـــلَ الشِّرْـــكِ الَّـــذي بَيَّنْتُـــهُ فَـــافْهَمْ بَيَـــانَ الثَّـــانِي

---

(١) لأنَّ اللهَ ـ تعالى ـ يقـولُ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يـونس]، و «الظلـمُ» ـ هُنـا ـ هـو الشرـكُ؛ لأنَّ اللهَ يقـول: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقـمان]، وقـال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأحقـاف]. [أبو السمح].

(٢) هو «إبليس». [أبو السمح].

[الوَسِيلَةُ الإِيمَانِيَّةُ]

شَـــيْئانُ: إيـــمانٌ وفِعـــلٌ صـــالحٌ وَهُمَـــا بـــآي الـــذِّكْرِ مُقْتَرِنَـــانِ(١)
وَلَكَـمْ أُعِيـدا فِي «الكِتـابِ» و «سُـنَّةٍ» كَـــي يُعْلَـــما للصُّـــمِّ والعُمْيـــانِ
وتَقُـــومُ حُجَّـــةُ ذِي الجَـــلالِ عَلِـــيهُمُ ويَبُـــوءَ أَهْـــلُ الشِّـــرْكِ بالخُسْـــرانِ
واقْـــرَأْ إذا مَـــا شِـــئْتَ أَقْصَرَ سُـــورةٍ كَـ «العَصْرِ» أَوْ طُولَى مِنَ «القُرْآنِ»
فَـــإِذَا أَرَدْتَ تَوسُّـــلًا حَقًّـــا فَخُـــذْ بِهِـــما ولا تَسْـــمعَ لِقَـــوْلِ فُـــلانِ
فَعَلَيْهِـــا وَعْـــدَ الإِلَـــهِ بِـــ «جَنَّـــةٍ» وَنَعِيمِهـــا أَبَـــدًا مَـــعَ الرِّضْـــوانِ
وعَلَـيْهِما وُعِـدَ الـوَرَى طِيـبَ الحَيـاةِ بِهَـــذِهِ الـــدُّنيا مَـــعَ الغُفْـــرانِ

---

(١) أشير بذلك إلى أنَّ أصل الوسائل الشرعية كلها، هو «الإيمانُ» و «العمل الصالح»، وقد تكرَّرا في «الكتاب» و «السُّنة»، وعلَّق عليهما الجَزاءُ في الدُّنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف]، و ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ ﴾ [يونس: ٩]، و ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل]، و ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [العصر]، و [﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ]، وفي «القرآن» كثيرٌ من هذه الآيات. [أبو السمح].

واللهُ أَولى أنْ نُطِيـــــعَ «كِتابَـــــه» و «رَسُـــولُه» المَبْعُـــوث للتِّبْيـــانِ
ثَقُلَـتْ عَـلَى النَّـاسِ الفِعَـالُ فيَمَّمُـوا نُصُـبًا تُقَـرِّبُهم بِـــلا حُسْـــبانِ
واسْتَأْنَسُـوا بِـدُعائِها واسْتَوْحَشُـوا مِمَّـــا يُقَـــرِّبُهُم إِلَى الـــرَّحْمنِ
وَأَمَـدَّهُم فِي ذَا الضَّـــلالِ مَشـــايِخٌ بَـاعوا الجِنَـانَ بَـأَبْخَسِ الأَثْـمانِ
مِـنْ كُـلِّ أَعْمَـى كَـالحِمارِ جَهَالَـةً وَغَبَـاوةً يَمْشِي بِغَـيْرِ عِنَـانِ
وَأَخِي ضَلالٍ لَيْسَ يَدْرِي مَا الهُدَى إِلَّا شَقَاشِـقَ حَاكَهـا بِلِسَـانِ
أَوْ مُـدَّعٍ لِلْعِلْـمِ وَهُـوَ مُجَـرَّدٌ وَاللهِ مِـنْ عِلـمٍ وَمِـنْ إِيـمانِ
العِلْـمُ قَـالَ اللهُ قَالَـهُ رَسُـولُه لَـيْسَ الكَـلامَ وَمَنْطِـقَ اليُونَـانِ
كَـلَّا وَلا تَقْلِيـدُ ذِي عِلْـمٍ مَضَى مِـنْ غَـيْرِ مَـا عَقْـلٍ وَلَا بُرْهـانِ
إِنْ كُنْـتَ لم تَسْـعَدْ بُرؤيَـةِ أَحْمَـدٍ أَفْدِيـهِ بِـالأَهْلِينَ وَالوُلْـدانِ
فاسْـعِدْ حَياتَـكَ بِاسْـتِماعِ حَدِيثِـه وَلْـتَحْظَ مِنْـهُ بِحِفْـظِ ذِي إِتْقَـانِ
مَـنْ كَـانَ ذَا حُـبٍّ لأَحْمَـدَ فَلْـيُقِمْ بُرْهَانَـه بِالسَّـمْعِ والإِذْعَـانِ

[تَوْحِيدُ الإِلَهِيَّةِ]

هَـذَا وتَوْحِيـدُ الإِلَـهِ بِطَاعَـةٍ هُـو مِحْـوَرُ الإِسْـلامِ وَالإِيـمانِ
وَهُـو الـذَّي قَـدْ ضَـلَّ عَنْـهُ خَلائِـقٌ وَتَفَرَّقُـوا مِـنْ سَـالِفِ الأَزْمَـانِ
وَمَـعَ اعْـتِرَافِهِمُ الصَّرِيحِ بِأَنَّـه رَبُّ الـوَرَى مَـا إِنْ لَـهُ مِـنْ ثَـانِي
عَبَـدُوا سِـوَاهُ بِكُـلِّ مـا هُـو حَقُّـه باسْـمِ «التَّوسُّـلِ» وَهُـوَ للشَّـيْطانِ
فَاحْـذَرْ فَـدَيْتُكَ أَنْ تَضِـلَّ ضَـلالَهُم وَتَمَسَّـكَنْ مَـا عِشْـتَ بِـ «القُـرآنِ»

وَبِـ «سُـنَّةِ» الْمُخْتَـارِ فَهِـي بَيَانُـه وَسِـوَاهُمَا ضَرْبٌ مِـنَ الهَـذَيانِ

[تَوْحِيدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ]

وَإِلَيـكَ «تَوْحِيـدَ الصِّـفَاتِ» فَـأَثْبَتَنْ لله مَـا قَـدْ أَثْبَتَـتَ «الوَحْيَـانِ»

مِـنْ غَـيْرِ تَكْييـفٍ وَلا تَأْوِيـلِ ذِي جَهْـلٍ أَخِـي «جَهْـمٍ» بِـلَا بُرْهـانِ

وَإِذَا نَفَـى «الوَحْيَـانِ» وَصْـفًا فَانْفِـه مِـنْ غَـيْرِ مَـا زَيْـدٍ وَلا نُقْصَـانِ

هَـذِي «عَقِيـدَتُنا» الَّتِـي أَسْـلَافُنَا كَـانُوا عَلَيْهَـا ثَـابِتِي الإِيـمانِ

[تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ]

وَإِذَا عَلِمْـتَ بِأَنَّـهُ لَا بُـدَّ مِـنْ رَبٍّ قَـدِيرٍ خَـالِقِ الأَكْـوَانِ

يُعْطِـي وَيَمْنَـعُ وَاحِـدٌ فِي صُـنْعِه مَـا إِنْ لَـهُ فِي خَلْقِـهِ مِـنْ ثَـانِي

فالْمُشْرِكُونَ جَمِيعُهُم نَطَقُوا بِـذَا «التَّـ تَوْحِيـدِ» فِي آيٍ مِـنَ «القُـرْآنِ»

لكِنَّـه لَمْ يُغْـنِ عَـنْهُم إِذْ أَبَـوا مِـنْ جَهْلِهِـم أَنْ يَنْطِقُـوا بالثَّـانِي

وُهُـو الَّـذِي الرُّسُـلُ الكِـرامُ دَعَـوْا لَـه مِـنْ عَهْـدِ نُـوحٍ صَـاحِبِ الطُّوفَـانِ

وَدَعَـا لَـهُ خَـيْرُ الخَلائِـقِ أَحْمَـدٌ بِبَلِيـغِ آيَـاتٍ وَحَـدِّ سِـنانِ

قَـالُوا اعْبُـدُوا رَبَّ الـوَرَى يَـا قَوْمَنـا فَهُـو الإِلَـهُ الحَّـق ذُو الغُفْـرَانِ

وَبِـما يُحِـبُّ تَقَـرَّبُ[1] مِـنْ صَـالِحِ الـ أَعْـمَالِ وَالإِيـمَانِ لَا الأَوْثَـانِ

---

(١) في بعض المواقع: (تقرَّبُ).

وَقَـــدِ اعْتَرَفْـــتُم أَنَّ رَبَّكَـــمُ الَّـــذِي خَلَقَ الوَرَى ذُو الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ
فَهَـلِ الأُلَى تَـدْعُونَهم[1] مِـنْ دُونِـه أَرْجَـى وَأَرْحَـمُ يَـا ذَوِي الأَذْهَـانِ
اللهُ أَرْحَـــمُ مِـــنْ رَؤومٍ بِابْنِهَـــا وَهُـوَ القَرِيـبُ الحَـي لَـيْسَ بِفَـانِي
فَعَصَى فَرِيـــقٌ قَلَّـــدُوا آبَـــاءَهُم وَقَـدِ اهْتَـدَى ذُو العَقْـلِ وَالإِيـمَانِ
وَأَتَـى فَرِيـقَ الشَّرِّ مَـا سَـخِرُوا بِـه مِـنْ نِقْمَـةٍ وَنَجَـا ذُو الشُّـكْرانِ

[تَقْرِيعُ الجَاحِدِينَ]

وَقَـــدْ اسْـــتَبانَ لِمَـــنْ أَرَادَ هِدَايَـــةً أَنْـــوَاعُ «تَوْحِيـــدٍ» بِـــلا كِـــتْمانِ
فَـــإِذَا ابْتُلِيـــتَ بِجاحِـــدٍ وَمُعَانِـــدٍ أَعْمَـى البَصِـيرَةِ مَيِّـتِ الوُجْـدَانِ
ويَقُـولُ لَا فَـرْقٌ هُنَـاكَ فَقُـلْ لَـه: لَا فَـرْقَ عِنْـدَ الصُّـمِّ وَالعُمْيـانِ
أَمَّـا الأُلَى بَصُرُـوا فَفَـرْقٌ عِنْـدَهُم بَـيْنَ الـثَّلاثِ بِمُحْكَـمِ «القُـرْآنِ»[2]
وَلِـذَا أَقَـامَ اللهُ مَـا اعْتَرَفَـتْ بِـه فِـرَقُ الضَّـلالِ أَدِلَّـةٍ لِلثَّـانِي

---

(١) في بعض المواقع: (تدعون).

(٢) وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ الآية [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الآيات في سورة «النمل»، فتراه بعد تقرير «توحيد الربوبية»، يقول آخر كل آيةٍ للمشركين: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٦١]، ولم يقل: أخالقٌ أو أربٌّ مع الله. [أبو السمح].

[خِطَابٌ لأَحَدِ كِبَارِ العُمْيَانِ الضَّالِّينَ[١]]

عَطَّلْتَ رَبَّكَ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِه ... وَذَهَبْتَ تَعْبُدُ كُلَّ ذِي نُقْصَانِ

وَتُجَادِلُ الفُضَلاءَ أَعْلَامَ الهُدَى ... بِأَفِينَ رَأْيٍ وَاضِحِ البُطْلانِ

وَتُحَرِّفُ «القُرْآن» مِنْ أَجْلِ الهَوَى ... وَمَحَبَّةٍ لِلأَصْفَرِ الرَّنَّانِ

وَتُؤَوِّلُ «السُّنَنَ» «الصِّحَاحَ» وَتَدَّعِي ... مَا لَا يَصِحُّ وَلَا يَرَاهُ اثْنَانِ

وَيْلٌ لِمِثْلِكَ إِذْ ضَلَلْتَ عَنِ الهُدَى ... وَيْلٌ لِكُلِّ مُضَلِّلٍ فَتَّانِ

خَيْرٌ لِمِثْلِكَ أَنْ يَكُونَ مُغَنِّيًا ... لَا يَنْتَمِي للعِلْمِ وَالعِرْفَانِ

إِنِّي نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي ... وَالنُّصْحُ يَفْهَمُهُ ذَوو الأَفْهَامِ[٢]

فَدَعِ المَعَارِفَ وَالعُلُومَ لأَهْلِهَا ... وَاذْهَبْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَالكُهَّانِ

يَا وَصْمَةَ الإِسْلَامِ يَا شَرَّ الوَرَى ... كَيْفَ اسْتَجَزْتُم دَعْوَةَ الأَوْثَانِ

وَأَبَحْتُمُ لِلنَّاسِ أَنْ يَسْعَوا لَهَا ... يرْجُونَهَا بِالنَّذْرِ وَالقُرْبَانِ

أَوَ لَيْسَ يَكْفِي اللهُ عَبْدًا إِنْ دَعَا ... يَا أُمَّةَ الإِسْلامِ وَ «القُرْآنِ»

أَسَفِي عَلَى العُلَمَاءِ أَقْفَرَتِ القُرَى ... مِنْهُم وَكَانُوا زِينَةَ البُلْدانِ؟

فَانْظُرْ بِعَيْنِكَ هَلْ تَرَى فِي سُوحِها ... إِلَّا مِثَالَ البُومِ وَالغِرْبَانِ

---

(١) في بعضِ المواقع (خطابٌ لكُلِّ مُعطِّلٍ أعمى).

(٢) هذا البيت والذي يليه، ساقطٌ من نُسخ «النُّونية» المنشورة عبر «الإنترنت».

عِمَـمٌ عَـلَى مِثْـلِ السَّـوارِي كُـوِّرَتْ وَبَـدَتْ لَنَـا كَـالآلِ للظَّمْـآنِ
وَلِحِـيً يُـدَاعِبُهَا الهَـوَاءُ وَتَحْتَهـا مَـا شِـئْتَ مِـنْ بِـدَعٍ وَمِـنْ بُهْتَـانِ
فَـاذِرِ الـدُّموعَ عَصِـيِّها وَمُطِيعِهـا وَابْـكِ الأَئِمَّـةَ دَائِـمَ الأَشْـجَانِ
فَلَقَـدْ خَبَـا نُـورُ الهُـدَى مِـنْ بَعْـدِهِم بِأُولَئِـكَ الحَمْقَـى ذَوِي الأَضْـغَانِ
وَغَـدَا مُرِيـدُ الحَـقِّ مُضْـطَرِبًا يُـرَى فِي النَّـاسِ مِمَّـا نَـابَ كالسَّـكْرانِ

حُجَّةٌ مُضَيَّعَةٌ(١)

أَسَـفِي عَـلَى شَـيْخِ «المَنَـارِ» مُضَـيَّعًا وَهُـوَ الإِمَـامُ العَـالِمُ الرَّبَّـانِي
لَـوْ كَـانَ فِي أُمَـمٍ فِي الفِـرِنَّجِ مَثِيلُـهُ قَمَـرًا يُنِـيرُ مَسَـالِكَ الحَـيْرَانِ
لَـرَأَيْتَهُم قَـدْ عَظَّمُـوهُ وَشَـيَّدُوا لِـ «مَنَـارِهِ» قَصْرًـا مِـنَ العقبـان
لَكِنَّـهُ فِي أُمَّـةٍ أَدْعُـو لَهَـا بِـالعَفْوِ مِـنْ رَبِّي وَبِـالغُفْرَانِ
فَاصْـبِرْ رَشَـيدٌ عَـلَى الَّـذِي حَمَلْتَـهُ مِنْهَـا كَـ «جَـدِّكَ» سَـيِّدِ الأَكْـوَانِ
فَعَسَـى يَـؤُوبُ الجَـاهِلُونَ لِرُشْـدِهِم وَتَفُـوزَ أَنْـتَ بِمِنْحَـةِ الرِّضْـوَانِ
وَيَقُـولُ رَبُّـكَ مَرْحَبًـا بِوَلِيِّنَـا قَـدْ كُنْـتَ ذَا صَـبْرٍ وَذَا شُـكْرَانِي
فَـالْيَومَ فَـانْعَمْ بِالجِنَـانِ وَحُورِهَـا وَلْيُسْـقَ خَصْـمُكَ مِـنْ حَمِـيمٍ آنِ

---

(١) هذا العنوان ـ وما تحته من أبياتٍ، وعددها (١٥) بيتًا، ساقطة من كل النسخ المنشورة عبر «الإنترنت».

قَتَلُوا «الحُسَيْنَ» وَسَمَّمَوا «حَسَنًا» أَخَا ... هُ وَكَمْ يَذُوقَ «الآلُ» مِنْ عُدْوَانِ

للهِ مَا تَلْقَونَ «آلُ مُحَمَّدٍ» ... مِنْ ظُلْمِ أُمَّتِكُمْ وَمِنْ طُغْيَانِ

للهِ دَرُّكَ يَا رَشِيدُ مُفَسِّرًا ... أَوْ مُفْتِيًا أَوْ هَادِيَ الحَيْرَانِ

أَنْتَ الإِمَامُ وَحُجَّةُ الإِسْلَامِ فِي ... هَذا الزَّمَانِ وَمَنْبَعَ العِرْفَانِ

لَوْ لَا الحِجَابُ مِنْ ضَلَالٍ أَوْ عَمَى ... لَمْ يَخْتَلِفْ فِي ذَاَ ـ لَعَمْرِي ـ اثْنَانِ

نُورٌ يَشِعُّ مِنَ «المَنَارِ» بِحِكْمَةٍ ... فَيَضِيءَ لَيْلَ جَهَالَةِ العُمْيَانِ

وَتَرَاهُ يُحْيِي مَا أَمَاتَ أُوْلُوا الهَوَى ... بِمَعَارِفَ كَالعَارِضِ الهَتَّانِ

[شُكْرُ النِّعْمَةِ]

حَمْدًا لِرَبِّي إِذْ هَداني مِنَّةً ... مِنْهُ وَكُنْتُ عَلَى شَفَا النِّيرَانِ

واللهِ لَوْ أَنَّ الجَوارِحَ كُلَّهَا ... شَكَرَتْكَ يَا رَبِّي مَدَى الأَزْمَانِ

مَا كُنْتُ إِلَّا عَاجِزًا وَمُقَصِّرًا ... فِي جَنْبِ شُكْرِكَ صَاحِبَ الإِحْسَانِ

أَيَّدْتَنِي وَنَصَرْتَنِي وَحَفِظْتَنِي ... مِنْ كُلِّ ذِي حِقْدٍ وَذِي شَنَآنِ

وَجَذَلْتَ أَعْدَائِي وَلَمْ تَتْرُكْهُمُ ... يَمْضُونَ فِي الإِيْذَاءِ وَالعُدْوَانِ

أَوْرَثْتَنِي الذِّكْرَ الحَكِيمَ تَفَضُّلاً[1] ... وَرَزَقْتَنِي نُعْمَى بِلا حُسْبانِ

وَرَفَعْتَ ذِكْرِي إِذْ أَرَادُوا خَفْضَه ... وَأَتَيْتَ بِي فِي أَشْرَفِ البُلْدَانِ[1]

---

(١) في بعضِ المواقع (تفضيلاً)، وهو خطأ.

وَأَقَمْتَنِـي بَـيْنَ «الحَطِـيمِ» وَ «زَمْـزَمٍ» لِلْمُتَّقِـــينَ أَؤُمُّهُـــم بِمَثَـــانِ
أَكْرَمْتَنِـــي وَهَـــدَيْتَنِي وَهَـــدَيْتَ بِي مَـا شِئْتَ مِـنْ ضَـالٍ وَمِـنْ حَـيْرَانِ
أَعَلَيْـكَ يَعْـتَرِضُ الحَسُـودُ إِلهَنـا وَهُـوَ الكَنُـودُ وَأَنْـتَ ذُو إِحْسَـانِ
وَهُـوَ الظَّلُـومُ وَأَنْـتَ أَعْـدَلُ عَـادِلٍ حَاشَـاكَ مِـنْ ظُلْـمٍ وَمِـنْ طُغْيَـانِ
لَـوْلَا عَطَـاؤُكَ لَمْ أَكُـنْ أَهْـلاً لِـذَا كَـلَّا وَمَـا إِنْ كَـانَ فِي الإِمْكَـانِ
فَـأَتِمَّ نِعْمَتَـكَ الَّتِـي أَنْعَمْتَهَـا يَـا خَـيْرَ مَـدْعُوٍّ بِكُـلِّ لِسَـانِ
وَاخْـتِمْ لِعَبْـدِكَ بِالسَّـعَادَةِ إِنَّـهُ يَرْجُـوكَ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْـلاَنِ
وَأَبِحْـهُ جَنَّـاتِ النَّعِـيمِ وَرُؤيَـةَ الـ ـوَجْـهِ الكَـرِيمِ بِهَـا مَـعَ الإِخْـوَانِ
وَانْصُر ـ أَخَـا «التَّوحِيـدِ» سَـيِّدَ يَعْـرُبٍ «عَبْـدَ العَزِيـزِ» عَـلَى ذَوَي الأَوْثَـانِ
وَاضْرِبْ رِقَـابَ الغَـادِرِينَ بِسَـيْفِه وَأَذِقْهُـمُ السُّـوءَ بِكُـلِّ مَكَـانِ
وَاحْفَـظْ لَنَـا «آلَ السُّـعُودِ» جَمِـيعَهُم أَنْصَـارَ إِسْـلامٍ مَـدَى الأَزْمَـانِ[٢]
وَأَدِمْ صَـلاَتَكَ وَالسَّـلامَ عَـلَى الَّـذِي أَرْسَـــلْتَهُ بِشَرَـــائِعِ الإِيـــمَانِ
وَالآلُ وَالأَصْـحَابِ مَـا نَجْـمٌ بَـدَا وَالتَّـابِعِينَ لَهُـم عَـلَى الإِحْسَـانِ

=

(١) هذا الشَّطرُ وجدتُه في بعضِ المواقع: (وَأَعَدْتَنِي لأَشْرَفِ الأَوْطَانِ).

(٢) هذا البيتُ لم أجدْه في بعضِ المواقع التي ذكرت القصيدة، وعن عمدٍ حُذِف، وليس هذا من الأمانة العلمية.

* * * *

القصيدة الرابعة

«شعلةٌ أُطفِئت وشمسٌ توارت»

وهي قصيدةٌ رثا فيها شيخَه رشيد رضا، وأثنى فيها على «سلفيته»، و «تفسيره»، و «مجلة المنار»، ودلَّت القصيدة على تأثره بوفاة شيخِه رَحِمَهُمَا اللهُ.

ولي تحفظٌ على بعضِ ما ورد فيها، أذكره هنا...

فعلى أهمية تفسير رشيد رضا، المعروف بـ «تفسير المنار»، ولاسيما في بعض الجوانب العِلمية، والاجتماعية، إلا أنَّ فيه نزعةً عقلية، مما استقاه المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ من شيخِه محمد عبده[1].

فالثناءُ على «تفسيره» يجب ألا يكون مُطلقًا.

ومعلومٌ أنَّ من يتشرَّب عقائد الضلال، وتتمكن منه، فإنَّه (قد) لا يستطيع تقيؤها كلها، فغفر الله له، ورحمه، ووسَّع عليه في قبره، فقد نفع الله به الإسلام والمسلمين.

ومضى بعض الحديث عن تأثر رشيد رضا بشيخِه محمد عبده، وسيأتي مزيد بيان لهذا الجانب[1].

---

(١) وقد نُقد هذا «التفسير» في عدة أعمالٍ علمية؛ ستأتي في المبحث الرابع عشر ـ (ص).

وقد نُشِرت القصيدة في حينِها[٢].

* * * *

=

(١) انظر ترجمتها في المبحث الثاني (ص ،)، والمبحث الخامس عشر (ص).

(٢) نُشرت في «صحيفة أُمِّ القرى»؛ العدد: (٥١٢)، وتاريخ: (١٥/ ٦/ ١٣٥٤هـ)، ثم أُعيد نشرها في «صحيفة صوت الحجاز»؛ العدد: (١٧٤) بتاريخ (١٩/ ٦/ ١٣٥٤هـ).

وانظر: «مشاهير علماء نجد» (ص ٤٩٤)، و «المقالات السَّلفية» (ص ١٢٩)، ومنه نقلتُ القصيدة، ولم يذكرِ الأول كامل الأبيات، فقابلتها على ما ذكرَه.

قال العلامة: عبدالظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَيُّ خطـــبٍ دَهـــا وأَيُّ مُصـــابِ خـبِّروني فقـدْ فقـدتُ[١] صَـوابي؟!
أَحقيـقٌ قضى ـ «رشـيدٌ» فأمْسـى صـــامِتًا لا يحـــير ردَّ الجـــوابِ؟!
أَحقيـقٌ هـــوى مُنـــيرُ الـــدَّياجي مـن سَـماء العُـلا وحـقَّ اكتئـابي؟!
أَحقيـقٌ غـاضَ الخِضَـمُّ ودك الـــ طُّود في «مِصرَ» يا لـه من مُصابِ؟!
أَيْ إِمـامَ الهُـدى! أَعـرْني لِسـانًا كـانَ فيـه الهُـدَى وفصـلَ الخِطـابِ
وذَكـــاءٌ يَمـــدُّه نـــورُ عِلـــمٍ ويَراعًـــا يجـــولُ في كُـــلِّ بـــابِ
وأَعـــرني لآلئًـــا كُنـــتَ تُمليـــ ـها هُـدى مِـن بليـغِ آي «الكِتـابِ»
فلَعـــلِّي أَصـــوغُ منهـــا المراثـــي باكيـــاتٍ ولا بُكـــاء السَّـــحابِ
ولعـــلَّي أَفي بـــبعضِ حُقـــوقٍ لفَقيـدِ الإسـلامِ مُحيـي الشَّـبابِ
مَن لنا اليوم مِن بعدِ مُوتكَ يَفْتي ويُبـينُ الصَّـوابَ دونَ ارتيـابي؟!
ويَـذودُ الضَّـلالَ مِـن غَـيرِ عَـيٍّ ويَـرُدَّ العِـدا عَـلى الأعْقـابِ؟!
مَنْ لـ «تِفسيرِك الحكيم» ومَنْ ذا[٢] لـ «مَنـارٍ» في الحـقِّ لـيسَ يُحـابي؟!
مَـنْ يُجـلِّي العـويصَ مِـن مُشكلاتٍ مَـنْ يُجـلِّي مُخَـدَّراتِ «الكتـابِ»؟!

---

(١) في «مشاهير علماء نجد»: (نَكَرْتُ).

(٢) في «مشاهير علماء نجد»: (مَنْ لِتَفْسِيرِكَ المُحْكَم مَنْ ذَا).

مَـنْ يَسُـدُّ الفَـراغَ بعـدَ «رَشـيدٍ» مَـنْ يُبـين السَّـبيلَ للطُّـلابِ[١]
كـانَ مِلْـئ العُيـونِ عِلـمًا وفَضـلاً حُجَّـةً في العُلـومِ والآدابِ
«سَـلفِيًا» مُحقِّقًـا مُسـتقلَّ الـ ـفِكرِ حُـرَّ الضَّـميرِ حُلـو الخِطـابِ
المعيًـا مُنـاظِرًا لا يُجـارَى وبَليغًـا مِـن أَبلـغِ الكُتَّـابِ
وخَطِيبًـا مُفوَّهًـا «عَلَويًّـا»[٢] ثابتَ الأصلِ في ذَويْ الأحْسابِ[٣]
مُحيِيًـا «سُـنَّة» النَّبـيِّ بعِلـمٍ ومُميتًـا لبدعـةٍ وكـذَّابِ
داعيًـا للإلَـهِ في حِـين يَـدْعو عُلـماءَ الضَّـلالِ للأنْصـابِ
حَـارب الشِّـركَ والفُجـورَ بعَـزْمٍ دُونـه أَسْـمَرُ القَنـا[٤] والحِـرابِ
فتَوالَـتْ عَليـهِ سُـوءُ خُطـوبٍ[٥] مِـن أُنـاسٍ كَثـيرةٍ كالـذُّبابِ
وتَعَـاوَتْ[١] عَلْيـهِ مِثـلُ ذِئـابٍ وَهُـو كالبَـدْرِ لم يُنـلْ باصْـطِخابِ

---

(١) هذا البيت انفرد به «مشاهير علماء نجد».

(٢) نسبة لعلي بن أبي طالبٍ ﷺ؛ وذلك لكون رشيد رضا من نسل الحُسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) في «مشاهير علماء نجد»: (وَخَطِيبًا ومُصْقعًا علويًّا باسق الأصلِ في ذُرا الأنسابِ).

(٤) في «مشاهير علماء نجد»: (مرهف القَنا). والقَنا: الرِّماح.

(٥) في «مشاهير علماء نجد»: (شتَّى خطوبٍ).

فمَضى ـ مُعْرِضًا بغيرِ التفاتٍ ... لأذى «مُلْحِدٍ» و «أهلِ كِتابِ»
غَيرِ راجٍ مِنَ الخلائِقِ أَجْرًا ... لا ولا خَائفٍ ولا هَيَّابِ
كَمْ أَهابَ «الرَّشيدُ» بالشَّرقِ حتَّى ... أَشرقتْ شَمسُهُ بِغيرِ حِسابِ
صَادِعًا بالحقِّ المُبينِ إذا مَا ... شَغَلتْ غَيْرَه ذواتُ الخِضابِ
لا يُبالي بمدحةِ النَّاس يومًا ... وهُو أهلٌ لهَا؛ ولا بِسبابِ
واقرأ «الوَحْيَ»[٢] إنْ أَردتَ رَشَادًا ... و «مَنارًا» دليله كالشِّهابِ
كما[٣] تمنَّى لِشَرعةِ اللهِ نَصْرًا ... وعُلُوًّا عَلَى جميعِ الرِّقَابِ
كَمْ أَماطَ عنْها اللِّثامَ وجَلَّى ... وسُباتًا بِحُسْنِها الخَلَّابِ
شُعلةٌ أُطْفِئتْ وشَمسٌ تَوارتْ ... وَيْ كَأنَّ الحياةَ لَمعُ سَرابِ
لَيْتَ شِعْري أَتائِبٌ حَاسِدُوه ... بَعدَ هَذا لرَبِّنا التَّوابِ
أَمْ يَظَلُّ الحَسُودُ بَعْدُ مُبْصِرًا ... لا يُبَالي بَهْولِ يَوْمِ الحِسَابي
كُلُّ حَيٍّ إِلى الفَنَاء سَيَمْضِي ... وَمَسُوقٌ جَميعُنا للتُّرابِ
رَبِّ إِنَّ المُصابَ فِيهِ عَظيمٌ ... ضَاقَ ذَرْعًا بِه أُولي الألبَابِ

=

(١) في «مشاهير علماء نجد»: (وتعادت).

(٢) في «مشاهير علماء نجد»: (فاقرأ «الوحي»). ومرادُه كتاب «الوحي المُحمَّدي» لرشيد.

(٣) في «مشاهير علماء نجد»: (كم).

رَبِّ أَفْـرِغْ عَـلى القُلـوبِ اصْـطِبَارًا وَارْزُقَـنَّ[1]! الفَقيـدَ حُسْـنَ الثَّـوابِ

* * * *

(١) في «مشاهير علماء نجد»: (وامْنحنَّ).

القصيدة الخامسة

«حياة القلوب بذكر الله»[١]

وهي قصيدة طويلة في (١١٧) بيتٍ، تناول فيها رَحِمَهُ اللَّهُ الموضوعات الآتية:

- ذكر الملك عبد العزيز بالمدح والثناء.
- تكلَّم فيها على التوحيد.
- بين الوسيلة الشرعية، والوسيلة الشركية.

ومما جاء فيها:

حَيَاةُ القُلُوبِ بِذْكرِ اللهِ وَتَسبِيحُهُ بِاسْمِه كُلَّ حِينَ
أَلَسْتَ تَرَى الأَرْضَ تَحْيا بِماءٍ وتَأتِي بِما يُعْجِبُ النَّاظِرِينَ
فَإِنْ لَمْ يُصِبْها سَماءٌ بِماءٍ تَمُوتُ وفِي ذَا البَلاءُ المُبِينَ[٢]

---

(١) وسبق في المبحث التاسع (ص)، أنَّ من مصنفاتِه: «حياة القلوب بدعاء علام الغيوب».

(٢) انظر: «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٨).

وانظر: «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩٢)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٩).

علمًا بأنَّ مقدمة كلامهم وَصْفِها، وعددِ أبياتِها، ينطبقُ على القصيدة «النونية» السابقة، والله أعلم.

قلتُ: وله رَحِمَهُ اللَّهُ عدة قصائدَ، غيرُ ما ذكرت، يشكوا فيها غربة الدِّين، وما آلَ إليه «التوحيد الصحيح» في بلاد المسلمين، وانتشار «الجهل»، و «الخُرافة»، ورواج «البدعة»، وهيمنة «التقليد».

ومن ذلك قصيدتان في المواضيع نفسِها؛ إذ يقول عن غربة الدين:

(ورد في الصحيح، عن المعصوم ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ**». رواه مُسلم، وفي غيره زيادة: «**فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[(١)].

وقد شعرتُ بهذه الغُربة، وشَعر بها كُلُّ من عَرف الإسلامَ من «القرآن»، و «السُّنة»، وسِيرة السَّلف، لا من أولئك المُقلِّدين المساكين، الذين وُلِدُوا في ظُلمة الجهل، ولم يَفتحوا أعيُنَهم إلا على «أصنامٍ» تُعبدُ، و «أوثانٍ» يُطافُ حولها، وتُدْعى من دونِ الله.

وقد قلتُ من قصيدة لي:

يَا غُرْبةُ الدِّينِ مِنْ أهلٍ وَمِنْ وطَنٍ[(٢)] أَمْسى بَنُوه وَهُمْ حَرْبٌ لِذَا الزَّمَنِ

وكتبتُ للشيخِ أبي الفضل شيخِ الأزهر رَحِمَهُ اللَّهُ مرَّةً من قصيدة أقولُ:

---

(١) بل الزيادة عنده! فقد أخرجه مسلمٌ في «الصحيح»؛ برقم:(١٤٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**بَدَأَ الإِسْلَامَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا؛ فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**».

وأخرج نحوه؛ برقم: (١٤٦)، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٢) وقال الشطرَ نفسَه في قصيدةٍ مضتْ؛ مما يدلُّ على تألمه لغربة الدِّين.

انظر البيت الأخير من القصيدة الثانية: «يا صحاب الهَدْي إنَّ العُمْي قد كثُروا».

إِلام أَبَـا الفَضْـل التَّعُّلـل بالصَّـبرِ وحتام تَبقى المُحْدَثاتُ بلا نُكر

ولعلِّي أبعثُ بالقصيدتين لـ «مجلة الهَدْي»؛ فتنشرهما للعبرة)[1] اهـ

* * * *

(١) مقـال: «الـدِّين الخـالص وحـال المسـلمين»؛ منشـورٌ في: «مجلـة الهَـدْي النَّبـوي»؛ العدد (١)؛ سنة: (١٣٥٨هـ).

وانظر نصَّ المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية (ص ٢١٠).

المَبْحَثُ الرَّابِعُ عَشَر
[ثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْهِ]

ما ترجمَ أحدٌ للعلامة أبو السَّمح إلا وأغدق عليه أجلَّ عباراتِ الوصفِ والثناء في مجالاتٍ عدة؛ كـ: مبْلغ عِلمه، ودعوتِه، وجهادِه العِلمي والعملي في نشر «عقيدة السَّلف»، وتدريسه، واحتسابه، وصبره.

وما تبنِّي العلامة رشيد رضا لأبو السمح وهو في بداية الطَّلب والتَّتلمذ؛ إلَّا مثالٌ تطبيقي جلِّي على فراستِه في هذا الرجل الجبل.

ويقول الشيخ عبدالله الغازي رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٦٥هـ) في مُبتدأِ ترجمتِه:

(العلَّامة الفاضِل الجليل، والفهَّامة الكامل الأديب النبيل، المُتْقِن المُجوِّد، الإمام والخطيب والمدرس بالمسجد الحرام)[1] اهـ

ويقول الأستاذ: عمر ابن عبد الجبار رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٩١)، وهو من العارفين به:

(سمعتُ عنه الشيءَ الكثير بعد قدومه إلى «مكة»، ولما قدمتُ إلى «مكة» عام (١٣٥٥هـ)، كان أوَّل ما خطر ببالي مقابلة الشيخ عبد الظاهر أبي السَّمح، فزرته بـ «مدرسة دار الحديث» في «باب العُمرة»؛ فرأيتُ

(١) «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٧)، وعنه ابن بِيلَّا في: «الجواهر الحسان» (٢/ ٣٥٩)، وعنده: (الأريب) بدل: (الأديب).

سيماء الصلاح والتقوى باديةً في حديثه، ومجالسه... فرحمه اللهُ، وأسكنَه فسيح جناته)[1] اهـ

واعتبره صديقُه العلامة د. تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ، ت (١٤٠٧هـ)، من أكثر الدعاة إلى السَّلفية في «مصرَ»؛ فيقول:

---

(١) «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٨).

قلتُ: كذا ورد الكلامُ في كتابِه، على أنَّه من كلامه هو، وورد الكلامُ نفسُه في بعض المواضع منسوبًا للعلامة د. تقي الدين الهلالي، وممن نسبه له د. صالح بن حُميد في: «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٥)، ولم ترد منسوبة للهلالي، في مصادره التي اعتمدها، وأحال إليها.

وهنا احتمالان:

الأول: أنَّها لعبد الجبار كما ذكرها في كتابه، على أنَّها من كلامِه.

والثاني: أنَّها للهلالي، ولكن سقط من كتاب عبد الجبار: (قال الهلالي).

والذي يظهر لي أنَّها للهلالي؛ فعبد الجبار في الفترة المذكورة، لم يكن في «مكة»، وكان قد غادرها قبل ذلك بسنوات، وأقام في «إندونيسيا» للدعوة والتعليم، ورجع إلى بلدِه «مكة» سنة (١٣٥٦هـ)، كما في مصادر ترجمته؛ منها «المبتدأ والخبر» (٤/ ٤٧٧)، وقرينةٌ أُخرى وهي قوله: (ولما قدِمت إلى «مكة»)، فلو كان الكلام له لقال: (ولما رجِعتُ إلى «مكة»)؛ لأنَّه من أهلِها، والله أعلم.

(وبعدما خرجتُ من الطريقة «التِّيجانية»، ودخلتُ في الطريقة «الحنِيفيَّة»، توجَّهتُ إلى «مصرَ»، ولقيتُ إمام «الدعوة» في ذلك الزمان، السَّيِّد محمد رشيد رضا رحمةُ الله عليه.

ولقيتُ أكثرَ الدُّعاةِ إلى «السَّلفية» في «مصرَ»، كـ:

الشيخ: محمد الرمالي بـ «القاهرة».

والشيخ حسن عبدالرحمن في مزرعتِه بين «دمنهور» و «الإسكندرية».

والشيخ: عبدالظاهر أبو السمح[١].

والشيخ: محمد أبي زيد في «دمنهور»[٢].

والشيخ: حامد الفقي[٣] بـ «القاهرة».

والشيخ: محمد بن عبدالرزاق حمزة بـ «كفر عامر».

والشيخ الألمعي: عبدالعزيز الخولي بـ «القاهرة»)[٤] اهـ

---

(١) في الأصل «أبي السمح».

(٢) أخشى أنْ يكون هو الآتي في المبحث التاسع عشر (ص)، وهو من تلاميذ رشيد رضا، ومن أصحاب عبدالظاهر أبو السمح، لكن تبدَّلتْ حالُه، ووضع «تفسيرًا»؛ حُكِم عليه بأنَّه تفسيرٌ إلحادي، وحُكِم عليه بـ «الرِّدَّة»، وستأتي ترجمتُه مُفصَّلة في موضعِها.

(٣) في الأصل «الفقيه».

(٤) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٧).

⇦

ووَصَفَه تلميذه البار الشيخ: عبدالله بن عبدالغني خيَّاط رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤١٥هـ) ـ وهو من تلاميذه ـ بأنَّه (علمٌ على رأسِه نارٌ)، وفي هذا البحث عدة نقولٍ عنه، في مواضعَ مُتفرِّقةٍ، تضمنتُ ثناءَه عليه في عدة جوانب[١].

وقال عنه الشيخ: إبراهيم بن محمد السيف رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٣١هـ):

(يُقال عن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه عالمٌ جليلٌ، وهبَ حياتَه لخدمة «كتابِ الله»، و «سنةِ رسولِه عليه الصلاة والسلام»، في أطهرِ بُقعةٍ من بِقاعِ الأرض)[٢] اهـ

وقال عنه شيخنا العلامة د. محمد بن لطفي الصباغ رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٣٩هـ):

(كان مُحدِّثًا، ومُفسِّرًا، وفقيهًا، وواعظًا، وقد وقفتُ على بعضِ الكتب، التي عليها تعليقاته، في مكتبة «جامعة الملك سعود»)[١] اهـ

= والأصل ـ حسب منهجي ـ في مثل هذا النقل، أني اختصره، واقتصر منه على اسم الشيخ المُترجَم، ولكني تعمدتُ ـ هنا ـ ذكر النص تامًا، حفظًا لدور المذكورين في «الدعوة السَّلفية» في «مصر»، وحتى لا يُمْحى ذكرُهم.

(١) وانظر ترجمته له في مذكراته: «لمحات من الماضي» (ص ٣١٥).

(٢) «المبتدأ والخبر» (٢/ ٣٧٧)، ومضى بقية كلامه في المبحث السادس، والتاسع، والعاشر (ص ، ،).

وانظر: «أئمة المسجد الحرام» (ص ١٩١)، و «أئمة الحرمين» (ص ٢٢٨).

وقال عنه الشيخ المؤرخ: إبراهيم بن عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٢٥هـ):

(كانَ رجُلاً عاقِلاً، أديبًا، ذا بشاشةٍ وتواضع، رزِينًا، له لِحيةٌ كَثَّةٌ بيضاء[٢]، مُمتلئ الجِسمِ، بَهِيُّ المنظرِ...)[٣] اهـ

قلتُ: وكان الشيخ، الفقيه: محمد بن سليمان البسَّام رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٤٣١هـ) ـ وهو من تلاميذ أبو السمح ـ يثني على شيخه بالعِلم، كما أخبر بذلك عنه ابنه الشيخ منصور البسام[٤].

---

(١) ذكر ذلك في معرض ترجمته لأخيه الأصغر: محمد بدر الدين.

وهذه الترجمة منشورةٌ على موقعي: «رابطة أدباء الشام»، و «الألوكة».

(٢) وقفتُ على مُكاتباتٍ بين الشيخين محمد نصيف وأبو السمح وبين الشيخ أحمد البنا صاحب «الفتح الرباني»، تمت في سنة (١٣٥٦هـ)، ورأيتُ في أثنائها كلامًا لطيفًا؛ منه قول نصيف للبنا حكاية عن أحد زواره:

(إنّ لحيةَ الشيخ ـ البَنَّا ـ على السُّنة، وأنّ طول لحيتي أقل من قبضة، ولكن لحية الشيخ أبي السَّمح، وصهره محمد حمزة زيادة عن قبضة، والأخ الهندي عبدالعزيز أكثر من قبضة وثلاث قبضات تملأ صدره...) اهـ

وستأتي هذه الخطابات مع التعليق عليها في المبحث السادس عشر (ص).

(٣) «تذكرة أُولي النُّهى والعرفان» (٤/ ٣٠٦).

(٤) «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

ووصفه الشيخ فتحي أمين عثمان[١]، بـ: الصِّدق، والصبر، وحُسن الخُلق، وطهارة القلب، وقوة اليقين[٢].

ويقول الشيخ: يوسف الصُّبْحي حَفِظَهُ اللهُ:

(لَّما استقرَّ بـ «مكَّة»؛ درَّسَ بـ «المسجد الحرام»، وانتفعَ الطُّلابُ بعلمِه)[٣] اهـ

ويقول أ. صلاح الزامل:

(كان الشيخ أبو السمح لديه قدرة منطقية، ومَلَكة في الإقناع وإفحام الخصم، مع غَزارة العِلم بـ «الكتاب» و «السُّنة»، والصبر والمُصابرة على الأذى الحسي والمعنوي.

وقد عُرف عن الشيخ عبدالظاهر أبي السمح الزهد في الدنيا، والبعد عن المظاهر، وعيش الكفاف، والقناعة بما رزقه الله؛ لذلك بارك الله له في حياته ودعوته في «الإسكندرية»، وفيما بعد ذهابه إلى «مكة»...

رحِم اللهُ أبا السمح فله نصيبٌ كبيرٌ من اسمِه؛ فكان سمحًا في أخلاقِه وتعاملِه وسلوكِه مع التلاميذ، ومع الناس، ولمن عرفه)[١] اهـ

---

(١) مدير إدارة الدعوة والإعلام، ووكيل جماعة «جماعة أنصار السنة».

(٢) «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٦).

(٣) «وسام الكرم» (ص ٢٥٢).

وممن أثنى عليه ـ وليس من العُلماء ـ جمال البَنَّا[٢]؛ فقد قال عنه:

(فضيلة الشيخ: عبد الظاهر أبو السَّمح، عالمٌ سلفيٌّ، من أصلٍ مصري، استوطن «مكة»، وتولى إمامة «الحرم المكي»، وأسَّس بها «دار الحديث الخيرية»، وحظي بمنزلة مكينة من الملك عبد العزيز، وعلماء السعودية)[٣] اهـ

وأبلغ ثناءٍ وقفتُ عليه، هو ثناءُ تلميذُه وصديقُه وصِهرُه العلامة: محمد عبدالرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي صحبَه سنين، وزوَّجه أُختَه، وكان خالَ ابنائه، وقد أَخرَّتُ كلامَه ـ عمدًا ـ لجماله ولأختم به؛ فيقول:

(فقدَ الإسلامُ داعيةً من دُعاتِه، وفَقدت «السُّنة» بطلاً من أنصارِها.

وفقدَ «المسجد الحرام» إمامًا، كان أهلاً لإمامتِه.

وفقدَ «القُرآن المجيد» وِعاءً من أوعيتِه، ومِزمارًا من «مزامير آل داود»، مُرتِّلاً لآياتِه بصوتِه الرخيم، أمام وجه «الكعبة» رُبعَ قرنٍ من الزمان.

---

(١) «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(٢) الأخ الأصغر، للشيخ حسن البَنا رَحِمَهُ اللَّهُ، وتقدّم الكلام عليه في المبحث الأول، (ص).

(٣) «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٦٠).

وفقدت العِبادة الخالِصة تقِيًّا من تُقاةِ المسلمين.

وفقدت «دار الحديث المكية» إدارةً رشيدةً، وسندًا سانِدًا، وتوجِيهًا حكِميًا.

ماذا أبكي فيه؟!

أَعِشْرةُ ثلاثين عامًا في مُذاكرة العِلم، من تفسيرِ «القُرآن» وتَفهُّمه، وإحياء «السُّنة» مَتنًا وسَندًا وفِقْهًا؟!

أم أبكيه صِهرًا كريمًا، وأبًا رحيمًا لأولاد أختي؟!

أم تبكيه كِرامُ وُجوهِ زُوَّار «بيتِ الله الحرام» في دارِه، حين يدعوهم إلى الزيارة والأُنس والتَّعارف، وربط مودة الإسلام؛ فينصرِفونَ من دارِه تَبْهرُهم محاسِنُ أخلاقِه، ولُطفُ محضرِه، وأُنسُ حديثِه، وبَشاشةُ وجهِه، وكَرمُ ضِيافتِه!؟

أم تبكيه عبقريةُ «الشِّعر»، الذي خدمَ به دينَه، والصالحين من عبادِه، غير متآكلٍ به!؟

إلا أنَّ ذروَة الأمرِ وسنامَه؛ أنَّ فارسٌ لـ «القرآن»، حفظًا، وتجويدًا، ورخامةَ صوتٍ، ونَداوةَ تلاوةٍ، وعُذوبةَ قِراءةٍ)[1] اهـ

---

(١) انظر: «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٧).

قلتُ: وسيأتي مزيد من الثناء عليه عند الكلام على أثره عن إمامتِه لـ «الحرم».

* * * *

المَبْحَثُ الخَامِسُ عَشَر
[المَآخِذُ عَلَيْهِ، وَالدِّفَاعُ عَنْهُ]

[تمهيد]:

ليسَ شرطًا أنَّ الكلامَ على مآخذ العالِم، مَدعاة لانتقاصِه، بل قد يكونُ هذا المبحثُ، لبسْطِ ما قيل في العالِم ظُلمًا، ثم الدفاع عنه، وتبرئته، أو بيانِ وجهة نظره بإنصافٍ، حيال كلامٍ قاله أو دوَّنه.

ومن هذا الباب؛ أنَّ بعض العُلماء ممن صنَّفوا في «الضُّعفاء»، ترجموا لأئمةٍ ثقاتٍ أخيارٍ، وكان الدَّاعي لذلك، هو الدفاع عنهم، وتوثيقهم، ومنهم الإمام الشمس الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «ميزان الاعتدال»، وغيره.

ومن خلال النظر في آثار الشيخ عبدالظاهر أبو السمح العِلمية، من رسائل، ومقالات، وقصائد، وكذلك جهوده الدعوية، وأيضًا تأسيسه مدرسة «دار الحديث الخيرية»، والمناهج المُقرَّرة لها = يتضح أنَّه «سلفيٌّ» خالصٌ، نقيٌّ على الجادة، وكان على منهج «المُحدِّثين» الأوائل.

ولكنِّي وجدت أمورًا؛ قد تُشْكِل عند مَن ينظر في ترجمة الشيخ؛ وهي:

١. تتلمذه على الشيخ: محمد عبده.

٢. تتلمذه على الشيخ: محمد رشيد رضا.

٣. تعظيمه لشيخِه رشيد رضا.

٤. ثناؤه على «تفسير المنار».

٥. كلامُه المُجمل حول «الاتباع» و «التقليد».

٦. علاقته بالشيخ حسن البَنَّا، وجماعة «الإخوان المسلمون».

وقد خصَّصتُ هذا المبحث لذكرِها؛ مع مُناقشتِها.

[أولا: تتلمذه على الشيخ: محمد عبده]:

يُعد الشيخ محمد عبده في عصره من كبار العُلماء، ومن رجالات الإصلاح، والتجديد، ومن مؤسِّسي التعليم الديني الحديث، وما قيل في مدحه وتمجيده يفوق الوصف، وكُتِب فيه عدة دراسات، ويكفي أنَّه يُوصف بـ «الأستاذ الإمام»، وهو المعنِي بهذا عند الإطلاق.

ولكن عند تأمل سيرته بإنصافٍ، وتجرَّد؛ سنجد أنَّه من رؤوس «المدرسة العقلانية» الحديثة، وله علاقاتٌ مَشبوهةٌ، ثُير الشكوك حول إصلاحاتِه، ومقاصدِه فيها، وقد تنبَّه لهذا علماء «مصر» ومثقفيها، وليس هنا مجال نقدِ أصوله، ومنهجه(١).

وقد حضر الشيخ أبو السمح دروسَه في «الأزهر»، وعُدَّ من تلاميذه، وذُكِر أنَّه حَصلَ على شهادةٍ منه، وسبق ذكر هذا ـ تفصيلاً ـ في موضِعه(٢).

ويبدوا لي أنَّ أبو السمح كان مُعْجبًا بشخصية الشيخ محمد عبده، حتى أنَّ يقول في ديباجة إحدى مقالاته:

---

(١) مضت ترجمته في المبحث الثاني (ص)، وفيها إشارة لما هنا، وتُنظر المراجع التي أحلتُ عليها.

(٢) انظر المبحث الثاني (ص).

(كانت «مجلةُ المنار» مجلةَ إصلاحٍ إسلامي، لا يُجاريها في مِضمارها مُجَارٍ، ولا يَسبقها في حلبتِها سابقٌ، كانت تُعْنَى بتفسير «القرآن الكريم»، وشرحه من «السُّنة المُحمدية»، على طريقة الأستاذ الإمام الشيخ: محمد عبده رَحِمَهُ اللَّهُ...)[1] اهـ

قلتُ: هذا ثناءٌ صريحٌ ومُطلقٌ، لمنهج الشيخ محمد عبده في «التفسير»، وتقدَّم الكلام على فِكره، ومنهجه العِلمي، ولم تكن طريقته في «التفسير» مرضِيَّة، ويُوجَّه إليه ما وُجِّه إلى «تفسير المنار» لتلميذه رشيد رضا[2].

ولكن عندما ننظر في حضور الشيخ عبد الظاهر دروس محمد عبده، وثناؤه عليه؛ علينا أنْ نراعي عدة أمور؛ منها:

---

(١) «مجلة المنار»؛ عدد جُمادى الآخرة؛ سنة: (١٣٥٨هـ)؛ مجلد (٣٥)، صفحة: (٦٨).

(٢) نُقد «تفسير» الشيخ محمد عبده، وتلميذه رشيد رضا، مع بيان نزعتهما العقلية، في عدة أعمالٍ علمية؛ من أهمها:

- «التفسير والمفسرون» للعلامة، الدكتور: محمد حسين الذهبي.
- «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير».
- «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» كلاهما لـ أ. د. فهد الرومي.
- «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ: محمد المغراوي.

أ . أنَّ الشيخ عبد الظاهر حضر دروسه، وهو في بداية مرحلة الطلب، ولا يزال صغيرًا، ولم نجد علاقة بينهما فيما بعد، كما أنَّ شيخَه محمد عبده تُوفِّي مبكِّرًا ت (١٣٢٣هـ)، وقد عاش تلميذه بعده (٤٧) سنة.

ب . أنَّ موقف محمد عبده من «القبوريِّين» و «الخُرافيين»، كان موقفًا إيجابيًا، ومناسبًا لتلميذه عبد الظاهر في وقتِه.

ج . لم أجدْ في رسائل أبو السمح، ولا في مقالاته، وقصائده، تمجيدًا لشيخِه محمد عبده، ولا لمنهجه، ولا دعوة إليه، بشكلٍ يدل على رضاه التام بمنهجه، ولم نجدْ أثرًا لـ «العقلانية» فيه، بل كان «سلفيًا» على منهج «أهل الحديث».

ولكن تبقى عبارتُه ـ في الثناء على منهج الشيخ محمد عبده ـ مُشْكِلة، ولاسيما أنَّه كتبها بعد أنْ كبر سنه، ونضج عقله، واتسع علمه، ومرَّ على وفاة شيخَيْه سنواتٌ، والله أعلم.

* * * *

[ثانيًا: تتلمذه على الشيخ: محمد رشيد رضا]:

الشيخ رشيد رضا، تلميذ بارٌّ لشيخه محمد عبده؛ فالقولُ في رشيد كالقول في شيخِه، ولاسيما في تأثره بـ «المنهج لعقلاني»، ولكن رشيد كان أقرب لـ «منهج السَّلف» بكثيرٍ من شيخِه، وله تحوّل ظاهر إلى «مذهب السَّلف»، وكان مُعظِّمًا لـ «أهل الحديث»، وناشرًا للكتب التي تدعوا إلى «منهج السلف»، و «العقيدة الصَّافية»، وكانت له علاقة حسنةٌ مع «السَّلفيين» المعاصرين له، ودعمهم، وتبنَّى طبع كتبهم، واستقطب كُتَّابَهم في مجلته «المنار»... ولو طال عمره، لرأينا منه خيرًا كثيرًا.

لذا؛ نجد أنَّه كان مُعظَّمًا عند «حنابلة نجد»، حُكَّامًا وعُلماء، وكانوا مُعظِّمين له، وكلا الطرفين يثقان في بعض، على رغم اختلافهم في مسائل من «أصول الدِّين» و «فروعه»، ولكن جمعت بينهم «الدعوة السَّلفية التجديدية»، وإرادة الحق، والدعوة إلى الإصلاح.

فمن الظلم لرشيد ـ حين النظر إليه ـ أنْ يُقيَّم من خلال علاقتِه بشيخِه محمد عبده، وتبنِّيه بعض أفكارِه، والترويج لها، بعيدًا عن الجوانب الأخرى المضيئة، التي ذَكرتُ بعضًا منها[1].

---

(١) قد مضت ترجمته في المبحث الثاني (ص)، وفيها إشارة لما هنا، وتُنظر المراجع التي أحلتُ عليها.

وتتلمذَ الشيخُ عبد الظاهر على شيخِه رشيد، كان في محلِّه، ولاشك أنَّه استفاد منه كثيرًا، وتأثَّر به، ولاسيما في: الاتباع، وعدم التقليد، والتجديد للدين، ومحاربة البدع، وتنقية الإسلام مما لحق به من شوائب... وهي أمورٌ قلَّ من يدعو إليها في عصره من أهل بلده؛ لذال حُورِب رشيد على هذا المنهج كثيرًا[1].

فوا أسفا على غِلمانٍ نراهم ـ حين يتحدّثون عن الجبل رشيد ـ يغضون عن كُلّ إشراقةٍ مُضيئةٍ في حياتِه، ولا يرون فيه إلَّا جانبًا قد استقاه من شيخيه محمد عبده، ورُبَّما لو طال عُمره، لتبرأ منه، بدليلِ استقامته النظيفة في جوانب كثيرة جدًا من حياته العلمية فرحمة الله عليك يا رشيد.

* * * *

(١) تكلمتُ على هذا الجانب تفصيلاً في كتابي: «قصة طباعة المغني والشرح الكبير».

[ثالثًا: تعظيمه لشيخِه رشيد رضا]:

مما يلاحظه الناظر في سيرة الشيخ عبد الظاهر؛ أَنَّه كان مُعظِّمًا لشيخِه رشيد رضا، غاية التعظيم، وظهرتْ محبته له في عدة مواقف؛ منها:

أ. قصيدته الشهيرة: «شُعلةٌ أُطفئت وشمسٌ توارت»، التي رثا فيها شيخَه، وأثنى فيها على «سلفيته»، و «تفسيره»، و «مجلة المنار»، ودلَّت القصيدة على تأثره بوفاة شيخِه، وسمَّاه فيها «مُحْيِي الإسلام»[(١)].

ب. قصيدته النونية الشهيرة، وقد أثنى فيه ـ جدًا ـ بكلامٍ مؤثرٍ عن شيخه رشيدٍ ومنهجه، وتفسيره، مجلته «المنار»، ودافع عنه، ودعا له، وسمَّاه: (الإمام، وحُجَّة الإسلام في هذا الزمان)[(٢)].

ج. كتب مقالاً في مجلةٍ حجازية[(٣)]، أثنى فيه على «تفسير المنار»، وسمَّى شيخَه: (الأستاذ، المفضال، العلامة). وسيأتي ـ بعد قليلٍ ـ نقلٌ عنه[(٤)].

وللإجابة على هذا أقول:

---

(١) سبقت الإشارة إليها عند مؤلفاته، وسيأتي نصُّها في المبحث الثالث عشر (ص).

(٢) سبقت الإشارة إليها عند مؤلفاته، وسيأتي نصُّها في المبحث الثالث عشر (ص).

(٣) مقال: «تفسير القرآن الحكيم للأستاذ المفضال العلامة السيد محمد رشيد رضا»؛ منشور في: «مجلة الإصلاح»؛ العدد (١٣)؛ سنة: (١٣٤٧هـ).
وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (ص ٧).

(٤) عند الحديث عن المأخذ الرابع: (ثناؤه على «تفسير المنار»).

١. لم تقتصر علاقة رشيد رضا وعبد الظاهر، على التتلمذ فقط، بل تجاوزت هذا بكثير، حيث كان الشيخ رشيدًا مُلْهِمًا لتلميذه عبد الظاهر، في أمورٍ حسنة كثيرة، ومنها الدعوة إلى التوحيد، وإلى الإصلاح، والتجديد، ومحاربة البدع[1].

٢. كان لرشيد فضلٌ كبيرٌ في حياة عبد الظاهر الدينية والدنيوية؛ ومن ذلك:

تعليمه في مدرسته «دار الدعوة والإرشاد»، وتوليته التدريس فيها بعد تخرّج منها، والاهتمام به بعد ذلك، واستكتابه في مجلته «المنار»، والوقوف معه حين محنته في «الإسكندرية»، والكتابة حول هذه الحادثة في «المنار»، ونشر وقائع التقاضي بالتفصيل في المحكمتين «الجزئية» و «الاستئناف»، مع نشر الأحكام موثقة، وإنصافه، والدفاع عنه، والانتصار له، وترشيحه لدى الملك عبد العزيز ليكون إمامًا وخطيبًا ومُدرِّسًا في «المسجد الحرام»، وطباعة ونشر رسائله...

(١) الكلام هنا قاصرٌ على علاقة عبد الظاهر برشيد فقط، وإلا فلا ننسى علاقته بأمين الشِّنقيطي، وتأثره به، وتحولّه إلى «العقيدة السَّلفية» بسببه، وتقدَّم هذا في المبحث الثاني، والثالث (ص ،).

لذا؛ فإنَّ تعظيم أبو السمح لرشيد، محل الرضى والقبول، وليس من المروءة ـ بعد كُلَّ هذا ـ أنْ يقف الشيخ عبد الظاهر من شيخِه موقف الناقد، فضلاً عن المُبالغة في نقده في المجالس، والمقالات.

٣. ما قاله عبد الظاهر في شيخه رشيد في قصيدته «شُعلةٌ أُطفئت»؛ كان في مقام العزاء والرثاء، وهذا ليس وقتَ نقدٍ علمي، وجرحٍ وتعديل، ومقام الشِّعرِ يحتملُ من الثناء، والوصف، ما يُتسامح على مثله.

٤. ما قاله في قصيدته «النونية»، جاء في مقام الدعوة إلى التوحيد، والرد على أهل البدع والقبوريين، وهي من أصول دعوة رشيد رضا، فما ناسب المقام، الخروج عن هذا الإطار.

٥. لم يكن عبدَ الظاهر يُمجِّد شيخَه، ويَقبل ما عنده على الإطلاق، بل كان يُناقشَه، ويحاورَه، ويختلفُ معَه، ويَردَّ عليه، وبقوة وصلابة، وله ردٌّ على شيخِه في مسألةٍ عقدية، وهي مسألة «فناء النَّار»[1].

* * * *

(١) مضى الحديث عن ذلك ـ مُفصَّلاً ـ في المبحث الثاني عشر، (ص).

[رابعًا: ثناؤه على «تفسير المنار»].

هذا أغرب ما وُجِد عند الشيخ عبد الظاهر، والكلام على «تفسير المنار»؛ فرعٌ عن الكلام على مُؤلِّفه رشيد رضا وشيخِه محمد عبده، وسبق ـ قبل قليلٍ ـ الإشارة إلى قصيدته التي رثا فيها شيخَه رشيد، وأثنى عليه، وعلى «تفسيره»، ومما قاله عن تفسيره:

من لـ «تفسيرك الحكيم» ومن ذا لـ «المنار» في الحقِّ ليس يحابي
من يجلي العويص من مشكلات من يجلي مُخدّرات «الكتاب»

وقال في مقالةٍ له:

(«تفسير القرآن الحكيم»؛ للأستاذ، المفاضل[1]، العلامة... ولقد كان «تفسيرُ» أستاذِنا، السِّيد: محمد رشيد رضا، صاحب «المنار»، حفظه اللهُ، وأمدَّ في أجلِه، من أحسنِ التفاسير، التي يَحتاجُ إليها أهل هذا العصرِ، في بيانِ «الأحكامِ» المناسبة؛ ذلك لأنَّه راعى في ذلك طريقة «القرآن» نفسِه، في الوعظِ، والتذكيرِ، غير مُعرِّجٍ على ما يُلهِي النَّاس من الاصطلاحات، ما يُنفِّر طائرَ التفكير.

وكم قد أهابَ بـ «الأمم الإسلامية»، وحثَّهم على الرجوع إلى «كتابِهم»، وتدبُّرِه، والعملِ به، وكشفِ اللِّثامِ عن مُخدّرات معانيه، وأراهم

(١) كذا؛ ولعلها: المفضال، والله أعلم.

أنفسَهم، في مرآةِ وصفِه، وكم بَكى عليهم، وأبْكى، وحذَّر وأنذر، ووعظ، وذكَّر. هذا بعضُ ما يُقالُ في «تفسير» السَّيدِ، وعلمِه.

واللهَ أسألُ أنْ يعفو عنَّا، وعنه، وأنْ يُباركَ لنا، ولجميعِ المسلمين فيه، ويُؤيِّدَه، ويُسدِّدَه، ويكبتَ أعداءَه للدِّين، وحُسَّادَه)[1] اهـ

قلتُ: لي تحفظٌ على بعض إعجاب أبو السمح بـ «تفسير» شيخِه؛ فعلى أهمية «تفسير القرآن الحكيم» لرشيد رضا، المعروف بـ «تفسير المنار»، ولاسيما في بعض الجوانب العِلمية، والاجتماعية، إلا أنَّ فيه نزعةً «عقلية»، مما استقاه المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ من شيخِه محمد عبده، كما تقدَّم في ترجمته[2]، كما انْتُقِد هذا «التفسير» في عدة أعمالٍ عِلمية، وجرتْ حول دراساتٌ[3].

---

(١) «مجلة الإصلاح»؛ العدد (١٣)؛ سنة: (١٣٤٧هـ).

وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (ص ٨).

(٢) انظر المبحث الثاني (ص).

(٣) من أهمها:

ـ «التفسير والمفسرون» للعلامة، الدكتور: محمد حسين الذهبي.

ـ «منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير».

ـ «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» كلاهما لـ أ. د. فهد الرومي.

ـ «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» لفضيلة الشيخ: محمد المغراوي.

وعليه؛ فيجب ألَّا يكون الثناءُ على «تفسيره»، ثناءُ مُطلقًا.

ومعلومٌ أنَّ من يتشرَّب «أفكارًا» من شيخِه، وتتمكّن منه؛ فإنَّه (قد) لا يستطيع منازعتها كُلَّها، كما حصل لغير واحدٍ من أعلام الأُمَّة السابقين، الذي دخلوا «عِلم الكلام»؛ فتاهوا، ولما أرادوا الرجوع، أعياهم الطريق، ومنهم من رجع، ولكن.. بدَخَنٍ.

ولا أدري كيف خفيت مواضع الزلل من «تفسير المنار»، على الشيخ عبد الظاهر، صاحب النظر الثاقب، والعمق العِلمي، والتوجه السَّلفي، ولاسيما أنَّ بعضَها مزالق خطيرة، فلعلَّ تأدبه مع شيخه، وصاحب الفضل عليه (كما سبق بسطه)، كان سببًا خلف هذا السكوت.

وليُعلم بأنَّ ما قلتُه من تعليقٍ حول إعجاب الشيخ عبد الظاهر بشيخه رشيد، وثنائه عليه، وعلى «تفسيره»، ليس تبريرًا مني لسكوت التلميذ عن الإشكالات العقائدية، لدى شيخه و «تفسيره»؛ بل التماسُ عُذرٍ حسنٍ، مع تلميذٍ سليم العقيدة، نظيفِ القلب، صافي الخُلُق، بارٍّ بشيخِه، يُثمِّن فضلَه عليه ووقوفه معه، والله أعلم.

فغفر اللهُ للعالِمَيْن الجليلين رشيد رضا، وعبد الظاهر أبو السَّمح، ورحمهما، ووسَّع عليهما في قبرهما، فقد انتفع بهما الإسلام والمسلمين.

* * * *

[خامسًا: كلامه المُجمل حول الاتباع والتقليد]:

الاتجاهات العلمية الفقهية الشائعة بين علماء الإسلام، اتجاهان:

أ. اتجاه «مدرسة أهل الحديث».

ب. اتجاه «مدرسة المذاهب الأربعة».

وكلاهما حقٌّ، ويُتعبّد لله ﷻ بهما؛ فالاتجاه الأول يأخذ من «النِّص» مباشرة[1]، والاتجاه الثاني يأخذ عن أئمة ثقاتٍ أثباتٍ، أخذوا من «النص» مباشرة، فكلا الاتجاهين يلتقيان عند «النص»، ويقفان عنده، وهذا هو الأصل في التعبد لله ﷻ.

---

(١) هذا الأصل العام لهم، باعتبار عدم اتباعهم مذهبًا معينًا من «المذاهب الأربعة»، ورجوعهم إلى الراجح حسب «الدليل»، علمًا بأنَّ كثيرًا منهم لا يأخذون من «النص» مباشرة، بل هم «مُقلِّدة»، لمن سبقهم في فهم «النص» و «وجه الاستدلال» منه، فهم ـ في حقيقتهم ـ مُقلِّدة.

أمَّا جمهرة أصحاب هذه المدرسة، من المعاصرين، فهم يأخذون «الفقه» ـ تقليدًا ـ عن شيوخِهم، من أتباع المدرسة نفسِها، فوقع كثيرٌ منهم في «التقليد» الذي ينهون عنه؛ وكثير من أتباع هذه المدرسة من المعاصرين، مُقلِّدة لابن حزم ت (٤٥٦هـ)، والصنعاني ت (١١٨٢هـ)، والشوكاني ت (١٢٥٠هـ)، ويُكثرون من القراءة في كتبهم، ويأخذون «الفقه» عنها، ويصعب جدال كثير منهم في مسألةٍ فقهية، على خلاف ما ورد في كتب هؤلاء!

وقد خرج في كلا الاتجاهين معتدلون مُنصِفون، وغالون مُنفِّرون.

فخرج في الاتجاه الأول ظاهريون، ومُنفرون عن «الأئمة الأربعة»، وطاعنون في مذاهبهم.

وخرج في الاتجاه الثاني مُقلِّدون متعصِّبون، أبطلوا الاجتهاد، وحرَّموا الخروج عن «المذاهب الأربعة»، ولو موافقة لـ «الدليل».

وهاتان الظاهرتان الشاذتان، ينبغي ألا تلغي شرعية الاتجاهين.

و «المذاهب الأربعة» تتبعها «الأمة الإسلامية» من قرون، وتتعبدُ اللهَ بها؛ وهذا محل «إجماعٍ» نظريٍ وعملي، ولا يوجد مذهب لإمامٍ أخذَ حقَّه من الرِّواية، والجمع، والتدوين، والتحرير، والتنقيح، والاستدلال، كما حصل في مذاهب «الأئمة الأربعة»، التي نُقلت إلينا نقلاً متواترًا، وأضحى العملُ عليها لدى «أهل الإسلام».

ولكن نبت في الاتجاه الأول ـ «مدرسة أهل الحديث» ـ نابتةٌ، تعدَّت على «المذاهب الأربعة»، ونَهتْ عن اتباعِها، وحرَّمت «التقليدَ»، وطالبتِ الناسَ ـ كُلَّهم ـ بالرجوع إلى «الكتاب» و «السُّنة»، وأخذِ «الأحكام» منها مباشرة، واعتبرتْ كتب «المذاهب الأربعة» نوعًا من «التقليد» المُحرَّم، واتباعًا لغير الرسول ﷺ، وصدٌّ عن «الكتاب» و «السُّنة».

وقد وقفتُ للمُترجَم ـ الشيخ عبد الظاهر ـ على عدة مقالاتٍ يأمر فيها باتباع «الكتاب» و «السُّنة»، وأخذ «الأحكام الشرعية» منها مباشرة، وترك آراء الرجال، وينهى فيها عن «التقليد»، والتعصب المذهبي،

ويَـذُمَّهما، ويُبـيِّن آثارهمـا، وآثـار جمـود المقلـدين عـلى الأمـة[١]، وأكثـرَ مـن النُّقول في ذم «التقليد»، ومنها نقلُه عن القاضي عبد الوهاب[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ:

(التفقُّـه مـن الـتفهم والتبيـين، ولا يكـون ذلـك إلا بـالنَّظر في الأدلـة، واسـتيفاء الحُجَّـة، دون تقليـدٍ؛ لأنَّ التقليـدَ لا يُثمـر عِلـمًا، ولا يقضي ـ إلى معرفة...)[٣] اهـ

---

(١) انظر مقال: «الدين الخالص ليس إلا في اتباع سنة الرسول ﷺ»، منشورٌ في: «مجلة الهَدْي النَّبـوي» في عـدة حلقـات؛ الأعـداد (١، ٢، ٣، ٤)؛ سـنة: (١٣٥٦هـ)، و مقال: «الدِّين الخالص.. كيـف السـبيل إليـه؟!» في الصـحيفة نفسِـها، العـدد (٦)، والسـنة نفسـها، ومقـال: «ظـاهرة محزنـة مـن حـال المسـلمين»، منشـورٌ في: «مجلـة الإصلاح» العدد (٣)؛ سنة: (١٣٤٧هـ).

وانظـر نـص هـذه المقـالات كاملـةً في: «المقـالات السَّـلفية» (ص ٥٩، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٦، ١٦٠).

(٢) الإمام، القاضي: عبد الوهاب بن نصر، البغدادي، المالكي ت (٤٢٢هـ)، فقيـه، أصـولي، مـن مُؤلَّفاتـه: «الإشراف عـلى مسـائل الخـلاف»، و «التلقـين»، و «عيـون المسائل».

انظر ترجمته في: «ترتيب المدارك» (٧/ ٢٢٠)، و «الديباج المذهب» (٢/ ٢٦).

(٣) مقال: «الدين الخالص ليس إلا في اتباع سنة الرسول ﷺ»، وهو منشورٌ في: «مجلة الهَدْي النَّبوي» العدد (٤)؛ سنة: (١٣٥٦هـ).

وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (ص ١٤٦).

وقد يُؤخذ من مقالاتِه هذه، منافرتُه لـ «المذاهب الأربعة»، ولكن رأيتُ له مقالاً يتكلَّم فيه عن «المذاهب الأربعة»، وأئمتِها باعتدالٍ، ويدافعُ عمَّن يتبعونهم من المسلمين، بل سمَّى «الأئمة الأربعة»: (الأئمة المهتدين)، و (الأئمة المهديين)، و (خيار سلف هذه الأمة)[1].

فدَّل ذلك، على أنَّ كلامَه في «الاتباع» وتركِ «التقليد»، يدخل في دعوة طالب العِلم لاتباع «الكتاب» و «السُّنة»، وهي دعوةٌ صحيحةٌ، لا خلاف عليها، حتَّى عند أصحاب «المذهب الأربعة»، وأنَّ شدتَه كانت على «التقليد» لذاتِه، أو «التعصب» للمذهب؛ لكونها لا تناسب العالِم، وعلى مَن يدعون إلى قفل باب «الاجتهاد»، ومن يُلزمون باتباع «المذهب»، ولو على خلاف «الدليل»، ولم تكن شدته على «التمذهب» نفسِه لذاتِه؛ بدليل قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

(هل يظن ظان أو يخطر على بال مسلم أنَّ أبا حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وغيرهم من أئمة الهدى وعلماء الأمة، يرضيه مثل هذه العصبية الجاهلة، ويقبل أنْ ينتسب إليه أحد من أولئك المفرقين...

---

(١) انظر مقال: «ظاهرة محزنة من حال المسلمين»، وهو منشورٌ في: «مجلة الإصلاح» العدد (٣)؛ سنة: (١٣٤٧هـ).

وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (ص ٥٩).

فمن تعصَّب لواحدٍ من الأئمة بعينه؛ ففيه شبهٌ من هؤلاء، سواء تعصَّب لمالكٍ، أو الشَّافعي، أو أبي حنيفة، أو أحمد، أو غيرهم...

وهذا أبو سف ومحمد[١]، أتبعُ الناسِ لأبي حنيفة، وأعلمُهم بقولِه؛ وهما قد خالفاه في مسائل لا تكاد تُحصى، لما يبين لهما من «السُّنة» والحُجَّة، وهما مع ذلك مُعظِّمان لإمامهما، لا يُقال فيهما مذبذبان)[٢] اهـ

ومن جميل كلامِه في هذا الباب، ما اعترض به على جماعةٍ من إخواننا «أهل الحديث» من «الهند»، ممن غلوا في باب «الاتباع والتقليد»، حتَّى قال أحدُهم: (إنَّ التقليدَ شركٌ في «الرِّسالة»). وقال آخر: (كُلُّ عبادةٍ يعملُها المُقلِّد، ناويًا فيها اتباعَ أحدٍ غير رسولِ الله ﷺ كائنًا من كان؛ فهي باطلةٌ).

فقال الشيخ عبد الظاهر رَحِمَهُ اللَّهُ مُعترضًا:

---

(١) يقصد صاحبا أبي حنيفة، وأجلَّ الحنفية بعد إمامِهم؛ وهما:

١ ـ القاضي: أبو يوسف يعقوب الأنصاري ت (١٨٢هـ).

٢ ـ الإمام: محمد بن الحسن الشَّيباني ت (١٨٩هـ).

(٢) مقال: «ظاهرة محزنة من حال المسلمين»، وهو منشورٌ في: «مجلة الإصلاح» العدد (٣)؛ سنة: (١٣٤٧هـ).

وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (ص ٥٩).

(قلتُ له: إذا كان مُقلِّدًا لأحدِ الأئمة: الشافعي، أو مالك، أو أبي حنيفة، أو أحمد ابن حنبل مثلاً، ومعلومٌ أنَّ هؤلاء الأئمة رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى، مُتَّبِعون للرسول ﷺ، وهؤلاء المُقلِّدون مُتَّبِعون للمُتَّبِعِين؛ فتكونُ عبادَتُهم صحيحةً، ضرورة أنَّ عبادةَ الأئمةِ صحيحةٌ)[1] اهـ

ولأهمية هذا المقال خصصتُ له ـ سابقًا ـ مبحثًا مُستقلاً[2].

علمًا بأنَّ كلامَه في «التمذهب»؛ هو منطق أصحاب «المدرسة الحديثة»، ولا يخرج عنه كثيرًا، وهو منطقٌ معروفٌ، وليس هنا مجال مناقشته، وغالبه جاء كرَدَّة فعلٍ على مُقلِّدة مُتعصِّبين.

* * * *

(١) مقال: «جماعة أهل الحديث في الهند... حديثٌ مع بعضِهم»، وهو منشورٌ في: «مجلة الهَدْي النَّبوي» العدد (٥)؛ سنة: (١٣٥٦هـ).
وانظر نص المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (ص ١٥٤).

(٢) انظر المبحث الحادي عشر (ص).

[سادسًا: علاقته بالشيخ حسن البَنَّا، وجماعة «الإخوان المسلمون»]:

الشيخ: حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنَّا[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٦٨هـ)، مُؤسِّس جماعة «الإخوان المسلمين»، وهو أول «مُرشد عام» لها، وتعد جماعتُه ـ اليوم ـ أكبر «تنظيمٍ إسلامي»، وعليه جدلٌ كبيرٌ بين مدحٍ وقدح، أوصلهم ناسٌ إلى الرُّتب العُلياء في الجهاد والدعوة، وجعلهم آخرون من أهل النار.

ولكن المتأمل لفكر هذا الجماعة بعينِ الإنصاف، والتَّجرّد، والمُطَّلِع على مسيرتِها، والقارئ لمُؤلَّفاتِ قياداتِها، وكان قد تأسَّس على عِلمٍ مؤصلٍ، وعقيدةٍ صحيحةٍ، وفكرٍ سليم؛ فلا شك أنَّه لن يرتضي الكثيرَ منَ الأفكار والتوجُّهات التي تبنتها هذه الجماعة، سواء من جهة مُؤسِّسها، أو من جهة قياداتِها القديمة والمُخضرمة والحديثة، وسيجد أنَّ عليها ـ وعليهم ـ مُؤاخذاتٍ كبيرةً، في: العقيدة، والمنهج، والسُّلوك، ولهم رأسٌ في فتنةٌ «تكفير» الحكومات، التي حدثت في الأمة، و «الخروج» على ولاة الأمر.

بل حتَّى أطروحاتِهم السِّياسية، التي تخصَّصوا فيها، وادعوا أنَّهم فيها

---

(١) انظر ترجمته: في «الإعلام» (٢/ ١٨٣)، وعنه: «معجم المؤلفين» (١/ ٥٣٥).
وأبوه هو صاحب: «الفتح الرباني»، و «بلوغ الأماني»، وسيأتي الكلام عليه في المبحث الخامس عشر (ص).

على «منهج الإسلام»، لم تسلَم من النقد العِلمي، والواقع المشاهد أثبت ذلك لكلِّ مُنصفٍ.

ولكن لا يشكُّ أحدٌ أنَّها جماعةٌ شعبيةٌ جماهيريةٌ حماسيةٌ، استطاعت بهذه الأوصاف أن تُعمي عن مآخِذها، فأدخلتْ تحتَ لوائِها الكثيرَ من: العُلماء، والدُّعاة، والمُعلِّمين، والمُفكِّرين، والأُدباء، والمؤلِّفين، والمهندسين، والأطباء، والمحامين، ولديهم ولاءٌ لبعضِهم، ولاسيما قياداتِهم، يصلُ لحدِّ مد يد «البَيْعة»، ووجوب «الطاعة» العمياء.

ووصلوا في «الدول الإسلامية»، إلى مواقع عُليا، ونيابِيَّةٍ، ووصلوا إلى سدة الحكم في بعض البلدان، وصارت لهم كلمةٌ؛ حتَّى غدت «الجماعة» مهيبةً عند «أهل السياسة»، فقمعوها، ليس لما فيها من مخالفاتٍ شرعية، بل لخوفِهم من انتشارها في مقابل السياسة المهيمنة على المنطقة، حتَّى أنَّه لم تُطَارد وتُحارب جماعةٌ إسلامية مثلها.

وأشدّ ما لديهم مما قُرِن بمنهجِهم، أنَّهم جعلوا أَولى مُهمَّاتِهم: مُنابذة الحُكَّام، وتهييج العامَّة عليهم، وطلب الرئاسة والسُّلطة لهم، ولو تركوا ذلك، وانشغلوا بالدعوة، على ما في منهجهم من مآخذ، لكان...!

وعلى ما قلتُ فيهم؛ إلا أنَّ لهم أيادٍ بيضاءَ في جهاد اليهود في «فلسطين»، ومحاربة «التيارات الفِكريَّة» المعادية للإسلام، ولهم عملٌ مُؤسَّسي، مُنظَّمٌ ومُرتَّبٌ، على نحوٍ حسنٍ، تفتقده أكثر «التيارات الإسلامية».

وقد كُتِب عن هذه الجماعة الكثير، وموضوع نقدِها خارجٌ عن بحثنا، ويكفي هذا الإيجاز بما لها وعليها؛ ويهمنا ـ الآن ـ علاقة الشيخ أبو السَّمح بهذه الجماعة، ونظرته لها.

فقد كانت تربط أبو السَّمح بحسن البَنَّا علاقة طيبة، وبينهما مُراسلاتٌ عِدَّة، فيها حبٌّ ومودَّةٌ وتقدير من كِلا الطرفين.

وجاء في إحدى مقالات الشيخ أبو السَّمح:

(ولما تُوفِّي السَّيِّد[1] رَحِمَهُ اللَّهُ قلتُ، وقال الناس معي:

شعلةٌ أُطفئتْ وشمسٌ توارت وكأنْ الحياةَ لمعُ سرابي

ووقف «المنار» وتوارى عن الظهور، وخلا الكرسي، ولم نجدْ من يملأهُ بعده، ولا من يسُدَّ مَسدَّه ذبًّا عنِ الإسلام، ودرءًا لشبهاتٍ، وبيانًا لحقيقة الإسلام، حتَّى مضت ثلاثُ سنين أو أكثر، ونحنُ ندعو اللهَ أنْ يَهَبَ الإسلامَ مُرشدًا «رشيدًا» يضيء النهج، وليل الجهالات قاتم، وكأنَّ اللهَ سمعَ دُعاءَنا؛ فقيَّض لـ «مجلةِ المنار» مَنْ يبعثها بعثًا جديدًا، مُصقعًا إذا خطب، مِدْرَهًا[2] إذا كتب، ذكي الفُؤاد، قادرًا على حمل الأعباء، عالِمًا

---

(١) السيد محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، ومضت القصيدة المذكورة ـ تامة ـ في المبحث الثالث عشر (ص).

(٢) كلمةُ مدحٍ، ومن معانيها: السيِّد الشريف، والمُقدَّم في اللِّسان واليد، عند الخُصومة والقِتال.. وسبق بيان معناها في المبحث العاشر، عند نشر المقال كاملاً ⇦

ألمعيًّا، وشُجاعًا عبقريًّا، ذلك هو الأستاذ، المُرشد الجليل، الشيخ: حسن البنَّا، المُرشد العام لجماعة «الإخوان المسلمين» حفظه الله.

فنُهنِّئُه بهذا التوفيق، ونهنِّئُ «مجلةَ المنار» وقُرَّاءَها، بتولِّي حضرته رئاسة تحريرها، ونسألُ اللهَ له التوفيقَ، والسَّداد، والعونَ، على القيام بها)[1] اهـ

وفي رسالةٍ بخطِّه بتاريخ (٢٣ ذي الحجة ١٣٥٤هـ) كتبها إلى الشيخ أحمد بن عبدالرحمن البَنَّا (السَّاعاتي) رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب كتاب «الفتح الرباني»، وهو والد الشيخ حسن البنا.. يقولُ فيها:

(ثم إنَّ نجلكم الكريم حسن أفندي قد لَقِيَنا، وزارنا بـ دار «الحديث»، وقد سُرِرْتُ بلقائِه جدًا، وحمدتُ اللهَ أنْ جَعلَه من الدعاة إلى الفضيلة)[2] اهـ

وفي رسالةٍ بخطِّه بتاريخ: (٢ جُمادى الأولى ١٣٥٨هـ) كتبها ـ أيضًا ـ إلى الشيخ أحمد البَنَّا.. يقولُ فيها عن ابنِه حسن:

(الأخ حسن أفندي، وهو السياسي المُحنَّك، والفقيه الديني)[3] اهـ

= (ص).

(١) مضى هذا النص كاملاً، مع توثيقه، في المبحث العاشر (ص).

(٢) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٦٢).

وسيأتي في المبحث السادس عشر (ص)، أسباب هذه الرسالة، ودوافعها.

(٣) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٦٥).

⇦

وللتعليق عن هذه العلاقة، وهذا الثَّناء، أقول وبالله التوفيق:

١ ـ من خلال اطلاعي على سيرة الشيخ أبو السَّمح؛ لم يظهر لي أنَّه كان على صلة بجماعة «الإخوان المسلمين»، صلة التابع للمتبوع، والشيخُ أجلّ من أنْ يكون تابعًا لجماعةٍ أو حزبٍ، بل هو ـ وحدُه ـ رأسٌ في العِلم، والجهاد، والدعوة، وعلى منهجٍ معروفٍ، وواضح في رسائله ومقالاته، وهو مختلفٌ عن منهج جماعة «الإخوان المسلمون».

٢ ـ إنَّ أبو السَّمح كان كغيره من الأوائل، ممن أحسن الظن بفِكْر ومنهج حَسن البَنَّا، في بدايات تأسيس الجماعة، ولا شك أنَّ الكثير كانوا قد تحمَّسوا له في بدايته، ومن يأبى التعاون مع جماعةٍ إسلامية، تُريد وحدة المسلمين، وتحكيم الشريعة، ورفع راية الإسلام؟! حسب ما ظنوا فيها حينذاك.

ويُوجد غير واحدٍ من العُلماء، ممن شارك أبو السَّمح هذا الشعور مع حسن البَنَّا؛ كأمثال: رشيد رضا، ومحب الدِّين الخطيب، وعبدالسَّلام الشقيري، ومحمد حامد الفقي، بل مشاهير «السَّلفية» ـ وقتها ـ كانوا يكتبون مقالاتهم في مجلات «الإخوان المسلمين»، ومنهم المُحدِّث: ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

= وسيأتي في المبحث السادس عشر (ص)، أسباب هذه الرسالة، ودوافعها.

٣ ـ إنَّ تاريخَ كتابة «المقالة» السابقة، كان سنة: (١٣٥٨هـ)، وتاريخ رسالته السابقة كان سنة: (١٣٥٤هـ)، وهي تواريخ قديمةٌ جدًّا؛ لذلك نجدُ «السَّلفيين» في «مصر»، قد استبان لهم ـ بعد ذلك ـ فكر هذه الجماعة، ومُنطلقاتِها، وأهدافَها، وأخطاءَهم في العقيدة، والمنهج؛ فنقدوها، وحذَّروا من الانسياق خلف شعارتِها، وصار لهم موقفٌ واضحٌ وصريحٌ ـ من هذه الجماعة، وهو المخالفة لا الموافقة، وعلى رأسِهم العلامة: محمد حامد الفقي ت (١٣٧٨هـ)، وموقفه منهم قديمٌ ومعروفٌ[١].

ويُؤكد ذلك أنّه لم يؤثر عن أبو السّمح فيما بعد أي تواصل أو تعاون مع جماعة «الإخوان المسلمون» إلى أنْ تُوفِّي، وموقف «السَّلفيين» في «مصرَ» من هذه الجماعة، واضحٌ وصريحٌ، وهو المخالفة لا الموافقة.

---

(١) وانظر: «السَّلفيون في مصر» (ص ٢٠٦).

وأتمنى أنْ يحتسبَ أحدُ المُختصِّين في كتابةٍ موثقة، بتجرُّدٍ وإنصافٍ، عن علاقة «السَّلفيين» بـ «الإخوان المُسلمين»، وأسباب الخلاف بينهم، دون أنْ يكون حاملاً لقناعاتٍ سابقةٍ عن الموضوع، فيكتب بموجبها، وتكون كتابةً علميةً، بعيدة عن الحزبية المقيتة، أو التحامل على المقالات والوثائق، وتأويلها على أسوأ محاملها.

٤ ـ كان بين أبو السّمح ووالد حسن البَنَّا علاقةٌ علميةٌ، حسنةٌ جدًا، وجرى بينهما تواصلٌ ومُكاتباتٌ، سيأتي بيانُها فيما بعد[١]، فكان ـ ولا شك ـ لهذه العلاقةِ دورٌ في التواصل بين حسن البَنَّا وأبو السَّمح.

٥ ـ كان أبو السَّمح كان يكتبُ في «مجلة المنار» في عهد مُؤسِّسها رشيد رضا، وبعد وفاتِه تولَّى حسن البَنَّا إدارتَها، وطلب من أبو السَّمح أنْ يكتب فيها، ومن البَدَهي ـ في مثل هذه الأحوال ـ أنْ يكون بينهما مُكاتباتٌ وتواصلٌ، من أجل كتابة المقالات في «المنار».

٦ ـ ما ورد في «المقال» و «الرسالة» من الثَّناء الكبير على البَنَّا؛ يدلُّ على أدبِ أبو السَّمح، ولطفِه مع أعلام عصرِه، ومنهم حسن البنَّا، ولا شك أنَّه ـ من وقتها وحتى يومنا ـ من أعلام العصر، والأدبُ والتَّلطُّف مع مَن هم مثل هؤلاء حسنٌ، وجارٍ على «منهاج النبوة» في الدعوة، وكما قلتُ ـ قبل قليلٍ ـ لعلَّه لم يستبين له بعدُ فكرَ جماعةِ «الإخوان المسلمون» ودعوتَها.

٧ ـ مِمَّا يُؤكد موقفَ أبو السَّمح الحازِم من منهج «الإخوان»، ردَّة فِعلِه حين رأى تأييدهم للتطاول على وُلاة الأمر؛ وذلك أنَّ ابنَه عبداللطيف أبو السَّمح، كانَ في «القاهرة» آنذاك، وكَتبَ مقالاً سيئًا بعنوان: «من صُعلوك

---

(١) سيأتي بيان هذا ـ تفصيلاً ـ في المبحث السادس عشر (ص).

إلى مَلِك»، نشره له حسن البَنَّا في صحيفة «النَّذير»[١]، وكان المَلِك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ قد استضافَ البَنَّا في «الحج»، وأكرمه غايةَ الإكرام!

وحين اطَّلع الشيخ أبو السَّمح على مقالِ ابنه عبداللطيف غضِب جدًا، وأرسل إلى الشيخ أحمد البَنَّا (والد حسن)، يقولُ له:

(هذا وبلِّغوا سلامي وعتبي لنَجْلِكم الكريم حسن أفندي، وذلك أنَّه نَشر ـ في «النَّذير» لولَدِنا عبداللطيف مقالاً عنوانه: «من صُعلوك إلى مَلِك»، باسمه الصريح، ولا بد أنْ تَقْرَؤه، إنْ لم تكونوا قد قرأتموه.

وفي المَثَل العامي المشهور: «إذا كان المُتكلِّم مجنونًا؛ كانَ السَّامعُ عاقِلاً»؛ فكان حقًّا على الأخ حسن أفندي، وهو السياسي المُحنَّك، والفقيه الديني، أنْ يُلاحظ صِلتَنا وصِلتَكم بجلالة المَلِك العربي المُسْلِم، ويحافظ عليها، فلا يترك مجالاً لسفيهٍ[٢] كهذا، يكتُبُ ما كتبَ، مما أساءنا به، وأساءَ المَلِكَ، وأولادَه الأمراء.

---

(١) صحيفةٌ «إخوانية» قديمةٌ، صدرتْ سنة: (١٣٥٧هـ)، وقد عُرِّفتْ في واجهتِها الرئيسة، وتحتَ عنوانِها بـ: (جريدةٌ سياسيةٌ إسلاميةٌ أسبوعيةٌ؛ لبيان حال «الإخوان المسلمين»).

لذا؛ يجب أنَّ تكون هذه الصحيفة ـ وغيرها من صُحف «الإخوان» ـ مصدرًا أصيلاً، لمن يُريد دراسة تاريخ هذه الجماعة وفكرها.

(٢) يقصِدُ بـ «السَّفيه»: ابنَه عبداللطيف بن عبدالظاهر أبو السَّمح.

ومِن جِهة الدِّين؛ فإنَّ «الأمرَ بالمعروفِ والنَّهي عن المُنْكَر»، لا يكونُ بهذه الصِّفةِ، فالأملُ أنْ يَكتُبَ الأستاذُ[١] كلمةً يمحوا بها ما تقدَّم مُعْتذِرًا.

وفي الحقيقةِ أنَّ الملك عبدالعزيز، لا نجدُ مثلَه ينصر ـ «السُّنة»، ويَنشر ـ كُتبَها، ويُعظِّم شعائرَ الله، وهذه سيرتُه ماثِلةٌ لكُلِّ من أرادَ الحقيقةَ، أمَّا مَن أرادَ الباطلَ، والصَّيدَ في الماءِ العَكِر، فهذا مخذولٌ.

وخِتامًا سلامًا)[٢] اهـ [٢ جُمادى الأولى ١٣٥٨هـ].

قلتُ: وبناء على ما سبق؛ فلا يُمكن أنْ يُستغل «مقال» أبو السَّمح و «رسالته»، في تزكية جماعة «الإخوان المسلمين»، ولا في تزكية منهج مُؤسِّسها، بل غايةُ الأمرِ أنَّ هناك ـ من وجهة نظري ـ أسبابًا فرضتِ التواصل والاحترام بينه وبين حسن البَنَّا، زيادة على ذوق وأدب ولطف «قلم» الشيخ أبو السمح مع من يخاطبهم، والله أعلم.

* * * *

(١) يقصِدُ بـ «الأستاذ»: حسن البَنَّا.

(٢) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٦٥).

المَبْحَثُ السَّادِسُ عَشَر

[جُهُودُهُ فِي تَوْزِيعِ «الفَتْحِ الرَّبَّانِي» لِلسَّاعَاتِي]

[تمهيد]:

«المُسند» للإمام أحمد ﷺ، من أجلِّ كتب الحديث، وهو كتابٌ عظيمٌ، اشتغل العُلماء قديمًا وحديثًا، بمتنه، ورجاله، وزوائده، وأطرافه.

وأولى طبعاته هي «الطبعة المَيْمَنِيَّة»، وكانت حينها من الفتوح العلمية لهذه الأمة، ثم توالت طبعاته، ولكن بعد «المَيْمَنِيَّة» بسنواتٍ.

و «المُسند» ـ على جلالتِه وأهميته ـ ليس مُرتَّبًا على الأبواب، والموضوعات، بل هو ـ كاسمِه ـ مُرتَّبٌ على المسانيد؛ وهذه معضلةٌ أمام الباحثين فيه عن ضالتِهم، حيث يلزمهم جرد مُسند الصَّحابي كاملاً، في كُلِّ مرةٍ يبحون فيها عن حديثٍ له، وذلك بعد البحث فيه، لمعرفة موضع مُسند الصحابي أولاً، ولاسيما إذا علمنا ضخامة هذا «المُسند» وكثرة أحاديثه تقرب من (٣٠٠٠٠) ثلاثين ألف حديثٍ[1].

---

(١) فائدةٌ في عدِّ أحاديث مطبوعاتِ «المُسند»، مستخلصةٌ من كتابي «مُسند أحمد؛ طبعاته وما لحثه من أعمال»:

١ـ طبعة «مؤسسة قرطبة»؛ بلغتْ: (٢٧٦٨٨) حديثًا.

٢ ـ طبعة «المكتب الإسلامي» الثانية؛ بلغتْ: (٢٧٦٣٤) حديثًا.

٣ ـ طبعة «دار الحديث»؛ بلغتْ: (٢٧٥١٩) حديثًا.

٤ ـ طبعة «دار عالم الكتب»؛ بلغتْ: (٢٨١٩٩) حديثًا.

٥ ـ طبعة «مؤسسة الرسالة»؛ بلغتْ: (٢٧٦٤٧) حديثًا، مع أنَّهم استدركوا بعضَ ⇦

ومن هنا كانت الحاجة ماسَّةٌ إلى ظهورِ عملٍ علمي، يُرتِّب أحاديثه، ويُبوِّبُها.

ومن الأعمال السَّابقة، موسوعة الهيثمي: «مجمع الزوائد»[1]، ففيه أحاديث «المُسند» ـ وغيرِه ـ مرتبةٌ ترتيبًا موضوعيًا على الأبواب، إلا أنَّه لم

=

الأحاديث، وألحقوها بآخرِ بعضِ المُجلَّداتِ.

٦ ـ طبعة «دار الكتب العلمية»؛ بلغتْ: (٢٨٤١٤) حديثًا.

٧ ـ طبعة «دار السلام»؛ بلغتْ: (٢٧٦٤٧) حديثًا.

٨ ـ طبعة «بيت الأفكار الدولية»؛ بلغتْ: (٢٨١٩٩) حديثًا.

٩ ـ طبعة «جمعية المَكْنز الإسلامي»؛ بلغتْ: (٢٨٢٩٥) حديثًا.

١٠ ـ طبعة «دار ابن الجوزي»؛ بلغتْ: (٢٨٢٩٥) حديثًا.

١١ ـ «معجم شيوخ أحمد»؛ د. عامر صبري، قد حصرَ شيوخ أحمد، وما لكل واحدٍ من أحاديث، وبلغتْ أحاديث «المُسْند» عنده، حسب دراسته (٢٨١٤١) حديثًا.

١٢ ـ طبعة «دار العاصمة»، وهو كتاب «المُحصَّل»؛ بلغتْ: (٢٩٢٥٨) حديثًا.

١٣ ـ النُّسخة الإلكترونية لشركة «صخر»؛ بلغتْ (٢٨٢٤٤).

١٤ ـ النسخة الإلكترونية لموقع «جامع السُّنة وشروحها»؛ بلغت: (٢٧٠١٨) حديثًا.

وقد وصل الفرقُ بين بعض الطبعات ـ كما رأيتَ ـ إلى ما يُقرب من (ألف) حديث، وهو عددٌ ليس بقليل.

(١) الحافظ: علي بن أبي بكر، نور الدين، الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ ت (٨٠٧هـ)، العالم الشهير، صاحب «زوائد الكتب الحديثية»، على «الأصول الستة» المشهورة، وشيخ الحافظ ⇦

يأتِ على أحاديث الكتب كلِّها، بل اقتصرَ ـ على الأحاديث الزوائد على «الكتب الستة» فقط، كما أنَّه جرَّد الأحاديث من أسانيدها.

ومن هنا تظهر أهمية كتابَي السَّاعاتي: «الفتح الرَّباني» و «شرحِه»، الآتيين، وسيأتي ـ فيما بعد ـ قصةُ خلافٍ بين عالمَيْن جليلين، تُؤكد على أهمية عمل السَّاعاتي، وأنَّ «المُسند» لضخامتِه، كان بحاجةٍ لمن يُرتِّبه موضوعيًا.

[ترجمة الشيخ السَّاعاتي]:

هو الشيخ: أحمد بن عبد الرحمن، البنَّا، رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٣٧٨ هـ)، حفظ «القرآن» وجوَّده في صِغره، ثم سافر لطلب العِلم، بعد ذلك اشتغل بإصلاح السَّاعات ليتكسَّب بذلك، ويستعين به في الرزق وطلب العِلم، فاشتُهر بـ «السَّاعاتي»[(١)].

= ابن حجر، كان ـ على سعة علمه ـ سهلاً هيِّنًا، محبًا للخير، محتملاً للأذى.

اهتم بجمع أحاديث مسانيد، ومعاجم حديثية، ووضع زوائدها في كتبٍ مُنفرِدةً، مُرتبةً على الأبواب، مع الحُكم عليها، ثم جمعها كلَّها في: «مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد»، فنفع الله به حتَّى اليوم.

انظر: ترجمته: «إنْباء الغُمْر» (٢/ ٣٠٩)، و «شذرات الذهب» (٩/ ١٠٥).

(١) له ترجمة مُفصَّلة في «الفتح الرباني» (٢٤/ ٢٣١)، بقلم ابنه عبد الرحمن، ولابنه جمال: «خطابات حسن البَنَّا الشاب إلى أبيه»، ترجم له في (ص ١٣)، وفي الكتاب ⇦

له أعمالٌ عِلميَّة، في الحديث وشرحه، منها:

١ ـ «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني».

رتَّب فيه «المُسند» ترتيبًا موضوعيًّا على الأبواب، ولم يحذف منه حديثًا واحدًا، وسبك فيه منهجًا بيَّنه في مقدمته، يتعلَّق بحذف الأسانيد، وتقسيم الأحاديث، والتعامل مع المُكرَّر منها[(١)].

٢ ـ «بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني».

وهو شروحٌ وجيزٌ على كتابه السابق، وقد ضمَّنه الأسانيد التي حذفها من المتن، مع بيان الغريب، وحال الحديث، ومن أخرجه، مع تضمينه كتاب: «القول المُسدَّد في الذَّبِّ عن مُسند الإمام أحمد» للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)].

٣ ـ «بدائع المِنن في جمع وترتيب مُسند الشافعي والسُّنن».

جمع فيه بين «مسند الشافعي»، و «سننه»، في مصنفٍ واحدٍ، وسلك في ترتيبه المنهج نفسَه، الذي سلكه في كتابِه السَّابق: «الفتح الرباني»[(٣)].

= الكثير من حياته، وله ترجمةٌ مختصرة في: «الأعلام» (١/ ١٤٨)، ولم يذكر سنة وفاته، ولم يُترجم له كحالة، وهو على شرطه.

(١) انظر: «الفتح الرباني» (١/ ١٤).

(٢) انظر: «بلوغ الأماني» (١/ ٣).

(٣) انظر: «بدائع المِنن» (١/ ٢).

٤ ـ «الشرح الحسن شرح بدائع المنن».

وقد شرح فيه كتابه السابق، وهو شرحٌ متوسطٌ، كما عبَّر عنه: (شرحٌ لطيفٌ، ليس بالقصير المُخِل، ولا بالطويل المُمِل)[١].

وهو والد الشيخ حسن البنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ، مُؤسِّس حركة «الإخوان المسلمون»[٢].

[اشتغال الشيخ السَّاعاتي بـ «المُسند»، والعمل عليه]:

بعد أنَّ أتم الشيخ السَّاعاتي قراءة «الكتب السِّتة»، بدأ في قراءة «المُسند»، والاهتمام به، وكان ذلك عام: (١٣٤٠هـ)، ورأى ما فيه من كنوز علمية، وأنَّه لا بُدّ من ترتيبه على الموضوعات، ولكنَّه تهيب ذلك، واستعظمه، ثم استشار العالم: محمد زهران[٣]، فأشار عليه بالعمل فيه، ثم

---

(١) انظر: «القول الحسن» (١/ ٢).

(٢) تقدمت ترجمته في المبحث الخامس عشر ـ (ص)، وعندها تحدَّثتُ عن حركة «الإخوان المسلمون»، ما لها، وما عليها.

(٣) لم أطَّلع على من ترجم له، وقد قال عنه السَّاعاتي في «بلوغ الأماني» (١/ ١٣): (أخي في الله، وصديقي، وشيخي الأول، العالم، العامل، الصالح، الورع، فضيلة الأستاذ، الشيخ) اهـ

وذكره جمال في «خطابات حسن البَنَّا» في عدة مواضع؛ منها: (ص ١٩، ٢٠، ٣٨)، وذكر أنَّه الشيخ الأول لوالده، وقد بدأت العلاقة بينهما بالتَّلمذة، ثم انتهت ⇦

بدأ فيه وانتهى من تبييضه نهاية عام: (١٣٥١هـ)، بعد أنْ قرأهُ أربع مراتٍ، والخامسة تمت وهو يقوم بتصحيحه عند الطبع[١].

ومرَّ ـ قبل قليلٍ ـ كيف كان العمل عليه، ومنهجه فيه.

[قصةٌ تُبين أهمية ترتيب «المسند» موضوعيًا]:

حصلَ موقفٌ علميٌّ بين عالميْن جليلين من «مصر»، وهما: محمد رشيد رضا، وأحمد بن محمد شاكر رَحِمَهُمَاللهُ؛ فقد كتب الأول، مقالاً في «التفسير»، واستدلَّ فيه بحديثٍ في الإعلان عن أسماء المنافقين، وخرَّجه بقولِه:

(في «مُسند أحمدَ» عن ابن مسعودٍ [رضي الله عنه]).

فتعقبَّه الثاني بمقالٍ ذهب فيه ـ جزمًا ـ إلى أنَّه ليس في «المُسند»[١].

= بصداقة حميمة، وأخوة كريمة، وأنَّه عالم «المحمودية» وفقيهها، وكان كفيفًا، وعالي الهمة، وقوي الإرادة، وأصدر «مجلة الإسعاد»، وكانت على غرار «مجلة المنار»، وكان يقوم بإدارتها، ووصفه والده بقوله:

(أستاذي الهُمام، وشيخي الفاضل المِقدام، العالِم المُحقِّق، والبحَّاثة المُدقِّق، مُحيي «السُّنة» ومعيدها، ومميت «البدعة» ومُبيدها، خادم «السُّنة» و «القرآن») اهـ

قلتُ: وقد اطلعتُ في الكتاب المذكور على بعض «رسائله»؛ فوجدتُ أنَّ له عنايةً بـ «الحديث».

(١) ذكر ذلك ابنه عبد الرحمن في ترجمة أبيه المُلحقة بـ «الفتح الرباني» (٢٤/ ٢٣١)، وابنه جمال في «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٣٠، ٣٣، ٣٥).

ولئن كان الأخيرُ حُجَّةً في «المُسند» لاختصاصِه به، إلا أنَّ رشيدًا علامةٌ لا يُشق له غبار، وصاحبُ تحرٍّ، ولن يجزمَ من كيسه، ولكنَّه كان ينقلُ من «فتح البيان» للمُحدِّث القنّوجي[٢]، ووجدَ الحديثَ ـ عنده ـ معزوًا لابن مسعودٍ في «المُسند».

وفي أثناء هذا الخلاف بين هذين العالمين، جاء الفصلُ بينهما من قبل الشيخ السَّاعاتي؛ حيث كتب إلى رشيد رضا بتاريخ: (١٧/ ٢/ ١٣٥٠هـ)، «رسالة» خطية، أفاده فيها بأنَّ الحديثَ يقع في «المُسند»، ضمن مُسند أبي مسعود[٣]، وليس ابن مسعود رضي الله عنهما، وموضعه من الطبعة «المَيْمَنِيَّة» في صفحة...[١].

=

(١) «مجلة المنار»؛ عدد (ذي الحجة)؛ لسنة: (١٣٤٩هـ)؛ المجلد: (٣١)؛ صفحة: (٦٢٣)، وفي آخر هذا المقال، تجد تعقيب رشيد على مقال شاكر.

(٢) المُحدِّث: محمد صديق بن حسن خان رحمه الله ت (١٣٠٧هـ)، عالم هندي شهير، سليم «الاعتقاد»، صنَّف في: «التفسير»، و «الحديث»، و «الفقه»، و «التاريخ»، وغيرها من العلوم، واسم كتابه المذكور: «فتح البيان في مقاصد القرآن».
انظر ترجمته في: «حلية البشر» (٢/ ٧٣٨)، و «الأعلام» (٦/ ١٦٧).

(٣) الصحابي الجليل: عُقبة بن عَمرو، البدري، الأنصاري رضي الله عنه ت (٤٠هـ)، وقيل بعدها، مشهورٌ بكنيته، شهد «بيعة العقبة»، أمَّا شهوده «غزة بدر»، فمحل خلافٍ، وهو معدودٌ في عُلماء الصحابة رضي الله عنهم، وروى أحاديث كثيرةٌ.

⇦

ولم يكن هذا منه حفظًا لـ «المُسند»، ولكن بسبب ترتيبه له على الموضوعات.

وهذه القصة؛ تفيد بأهمية ترتيب «المُسند»، وحاجة العُلماء إلى ذلك.

وقد أعجبتني طريقة الشيخ السَّاعاتي رَحِمَهُ اللَّهُ في إيصال المعلومة إلى رشيد؛ فقد صاغَ «الرسالة» بطريقةٍ صوَّب فيها الشيخين رشيد وشاكر، إذ يقول فيها:

(وعلى هذا فيكون ما نقلتموه عن «فتح البيان»، من عزو الحديث إلى «المُسند» صحيحًا، والصَّوابُ إلى جانبكم من هذه الناحية، وإنْ وقع تحريفٌ في أصلِ الرِّواية، من أبي مسعودٍ إلى ابن مسعودٍ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا].

ويكون ما نقله فضيلة الشيخ أحمد شاكر، من عدم وجود الحديث في مسند ابن مسعود صحيحًا ـ أيضًا ـ، والصَّوابُ إلى جانبه من هذه الناحية، وإن وُجِدَ الحديثُ في «مُسند أحمد» من رواية أبي مسعود الأنصاري)[٢] اهـ

انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٩٣)، و «الإصابة» (٧/ ٢١٠).

(١) ذكر ذلك ابنه جمال «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٣٧).

(٢) أورد ابنُه جمال هذه القطعة من «الرِّسالة» في: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٣٧).

قلتُ: نفتقد اليوم ـ في الساحة العلمية ـ إلى مثل هذا الأسلوب في المساجلات العلمية.

[عقبات تَحُولُ دون طبع ونشر «الفتح الرباني»، وشرحِه]:

لم يكن الشيخ السَّاعاتي يملك مالاً يُسخره في طبع ونشره كتابه الجليل «الفتح الرباني»، وشرحه، ولاسيما أنَّه كتابٌ حديثي، وسوق «الحديث» ـ يومها ـ لم تكن رائجة كيومنا، والشيخ لم تكن له مهنةٌ يتكسَّبُ منها سوى إصلاح السَّاعات، ولم يكن يفكر في مهنة إضافة لها ليزيد ماله، فيستعين به على طبع الكتاب؛ لأنَّ ذلك سيكون على حساب وقته، الذي خصَّصه للعناية بترتيب «المسند»، تأليفًا ومراجعة وشرحًا وطباعة[١].

لذا؛ عانا الشيخ كثيرًا في طبع وتوزيع الكتابين، حتَّى أنَّه أوقف الشرح المطول للكتاب، واقتصر على الشرح المختصر[٢]، وأصبح ـ عند الطبع ـ يُقسِّم الجزء الواحد، إلى أربعة أجزاء صغيرة، ليقل ثمنها، ويسهل شراؤها[٣].

وكان ابنُه جمال يرَى أنَّ سبب هذه المعاناة، أنَّ أباه تحمسَّ للعمل، واحتسب له، ولم يُدرك حجمه العمل، وأبعاده، وما يلزم له[٤]، ولاسيما أنَّه بدأ العمل على أنْ يكون ترتيبًا موضوعيًا لـ «المُسند» فقط، دون شرحه،

---

(١) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٤٦).

(٢) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٣٦).

(٣) انظر: «الفتح الرباني» (٢٤/ ٢٣٥).

(٤) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٣١).

ولم تأتِ فكرة الشرح «بلوغ الأماني»، إلا فيما بعد، إضافة إلى مصاعب عدة واجهها[١].

[مساهمة العلامة أبو السَّمح في توزيع «المُسند»][٢]:

من الأمور التي ساعدت أحمد البَنَّا، على تجاوز مصاعب الطبع، والنشر، والتوزيع، لهذا الكتاب النافع، وجود رفقة صالحة له من العُلماء، ومنهم:

١ ـ وجيه «الحجاز»، العالم: محمد حسين نصيف رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢ ـ العلامة، الشيخ: عبد الظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

والذي يهمنا ـ هُنا ـ وقوف الثاني معه؛ حيث كانت له جهود كبيرة، ومشكورة، في نفع الشيخ البَنَّا، فقد تفاعل معه ومع كتابه، وشفع له لدى الملك عبد العزيز و «وزارة المالية»، لشراء نُسخٍ من هذا الكتاب النافع،

---

(١) ذكر ابنه جمال في «خطابات حسن البَنَّا»، في صفحاتٍ متفرقة، مراحل عمل والده على الكتاب، والمصاعب التي مرَّت به، فليُنظر.

(٢) هذه الفقرة هي سبب إدراج موضوع عمل البنا على «المسند» في كتابنا هذا، وما سبقها من فقرات كانت توطئة لها.

(٣) ذكر جمال البَنَّا في «خطابات حسن البَنَّا»، في صفحاتٍ متفرقة، جهود من قاموا مع والده بجهود مشكورة، ليتجاوز ما واجهه من مصاعب في الكتاب، ونص على ذكر هذين العالمين (ص ٥٣)، وذكر ما قاما به من جهدٍ مشكور.

ليساهم في نشر العلم، وفي دعمِ عالمٍ مُحدِّثٍ ضاق به المال عن طبع ونشر علمه، وهذه لفتة كريمة من العلامة عبد الظاهر أبو السَّمح مع إخوانه العُلماء رَحِمَهُمُ اللهُ.

وقد وجدتُ عدة مكاتبات بين أحمد البنّا (السّاعاتي) وبين أبو السّمح تعطي صورة عمَّا بذله الأخير في سبيل المساهمة في شراء «الفتح الرباني»، ودعم مُؤلِّفه، مع ما وجده من حرجٍ في هذا الأمر(١).

وهذه نصوصٌ لبعض هذه المكاتبات:

١ ـ المكاتبات من محمد نصيف إلى أحمد البَنّا(٢):

(وقد كتبتُ إلى الشيخ أبي السّمح بـ «مكة»، أسأله عن سبب السُّكوت، عن طلب جلالة الملك المعظم...) اهـ [١٦/ شوال/ ١٣٥٥هـ](٣).

ومنها قوله:

---

(١) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٥٦، ٥٧، ٥٨) وغيرها.

(٢) سأذكرُ من مُكاتبات الشيخ نصيف، ما له علاقةٌ بأبو السَّمح.

(٣) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٥٦).

ويقصد بـ (سكوت الشيخ عن طلب جلالة الملك)، أي عن الرَّد بشأن اشتراك الملك عبد العزيز في شِراء نُسخٍ من كتاب «الفتح الرَّبَّاني»؛ دعمًا للكتاب ولمؤلفه، ويُفهم هذا بمجموع المُكاتبات، وبما سيأتي، وإنّما اقتصرت من الخطاب على ما رأيتَ؛ بسبب أنَّ نصيف بعد هذه العبارة، شرع مباشرة في موضوعٍ آخر، لا شأن لبحثنا به.

(وقد جاءني الجوابُ من الشيخ أبي السَّمح إنَّ الماليةَ استكثرت ألف جنيهٍ، وأنَّه استحى أنْ يخبركم، وأنَّه يُؤمل عند رجوع الملك المُعظَّم للحج، فيعيد عليه الكَرَّة مرَّةً أُخرى) اهـ [آخر شوال/ ١٣٥٥هـ][(١)].

ومكاتبةٌ ثالثة يوصيه فيها بأنْ يكتب خطابًا بخطٍّ جميلٍ مُختصرٍ، وذلك بواسطة أبو السَّمح، يُنوِّه فيه باشتراك جلالة الملك عبد العزيز، ويُبيِّن فيه أنَّ النسخ المُشترك فيها قليلة، ولا يمكن نشر الكتاب كله، إلا بمساعدة جلالة الملك عبد العزيز، وذلك بالاشتراك في خمسمائة نسخة، على أنْ يقوم محمد نصيف بتهوين مسألة الأقساط على وزير المالية، في كل شهر خمسين جنيهًا. [٩/ ذو القعدة/ ١٣٥٧هـ][(٢)].

ولا تخلوا بعض المكاتبات من مداعبةِ الشيخ نصيف للشيخ البَنّا؛ منها:

أنّه عبَّر له عن أملِه في رؤيته، وأنَّ أحد زُوَّاره قال له: (إنّ لحيةَ الشيخ ـ البَنَّا ـ على السُّنة، وأنّ طول لحيتي أقل من قبضة، ولكن لحية الشيخ أبي السَّمح، وصهره محمد حمزة زيادة عن قبضة، والأخ الهندي عبدالعزيز

(١) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٥٦).

(٢) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٥٧).

أكثر من قبضة وثلاث قبضات تملأ صدره...)[١] اهـ [١١/ ذو القعدة/ ١٣٥٦هـ].

وفي خطاب آخر ذكر له ـ طرافةً ـ إغراء بعض النجديين للشيخ أبو السَّمح على الزواج، وقال فيه: (مع أنَّ عندَه عشرة أبناء، كان الله في عونه!)[٢] اهـ [٢٩/ رمضان/ ١٣٥٧هـ].

٢ ـ المكاتبات من عبد الظاهر أبو السَّمح إلى أحمد البَنّا:

جرتْ بينهما عدة مكاتبات؛ اقتطفُ منها ما يُعبِّر عن كامل القصة.

فمنها قول أبو السمح للبنا:

(أخبرني صديقي الفاضل محمد أفندي مصطفى الفقيه أنَّكم تفضلتم بإهدائنا نسخةً من كتاب «الفتح الرَّباني»؛ فلم يسعني إزاء ذلك التّفضل، إلا شكركم، والدُّعاء لكم، وأني منذ رأيتُ إعلانًا عن هذا الكتاب، وأنا أُثني عليكم، وأنوه بعملِكم هذا المبرور بين الناس، وقد اشتركَ بعضُهم، وأملي أنْ يكثر المشتركون في «الحجاز»، إنْ شاء الله، وليس تنويهي بالكتاب، ومُرَتِّبه[٣]، وخادِمه، إلا تنويهًا بـ «السُّنةَّ» نفسِها، ونشرِها، وقد

---

(١) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٥٨).

(٢) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٥٨).

قلتُ: مرّ معنا أنَّ عددَ أبناء الشيخ (١٤) ابنًا، ولكن العدد الوارد ـ هنا ـ بتاريخٍ قديمٍ.

(٣) لم تُضبط في المصدر، فاجتهدتُ في ضبطِها؛ باعتبار أنَّ عملَه الأصل هو ترتيب ⇦

كتبتُ كلمةً، أرسلتُها لمحمد أفندي في هذا العدد لينشرها؛ فما أدري هل قام بذلك؟ أم لا؟

هذا؛ وإنَّكم ـ يا أخي ـ رفعتم رأس «مصرَ»، بهذا العمل الجليل، وأقمتُم الدليل على أنَّ في «الكنَانة» من يخدم «السُّنَّة»، ويعمل على إحيائِها، ولم يبقَ لأهلِ «الهند» استئثارٌ بهذا الأمر، بعد أنْ ضربتم لهم هذا المثلَ[1]، أعانكم الله، وأجزل ثوابكم، وأدام توفيقكم، وجعلني وإياكم ممن يُحيون «السُّنَّة»، ويُميتون البدعة.

والمشتركون عندنا أكثر من (١٢) مُشتركًا، وإنْ كانوا يتأخرون ـ أحيانًا ـ في الدفع، فنقوم عن بعضِهم[2]، ولا عجب فإنَّ أكثرَ مُحبِّي «السُّنَّة» ـ إنْ لم أقلْ كُلهم ـ ليسوا بأهل ثراءٍ وغنى، إنَّما هُم منَ الفُقراءِ.

= «المُسند».

(١) ينوه ابو السّمح ـ هنا ـ إلى فضل «أهل الحديث» بـ «الهند»، وكيف أنَّهم أحيوا «علم الحديث» و «الاتباع»، في زمن لم يُوجد في «بلاد العرب» من يقوم بذلك بمثلِ هِمَّتهم، وله جهود عظيمة في طباعة كتب الحديث ورجاله.

وله مقالٌ قديمٌ، تطرَّق فيه للموضوعِ نفسِه، في حوارٍ مع هندي من «أهل الحديث»، انظر نص المقال في المبحث الحادي عشر (ص).

(٢) وهذا من بِرِّه وإحسانِه بطلبةِ العِلم رَحِمَهُ اللَّهُ.

وإني أُكرِّر الشُّكر لفضيلتِكم، وأسألُ اللهَ عن مُحبّكم ـ في الله ـ خيرًا، وأنْ يجعل هذا الكتاب رابطةَ ودٍّ في الله، وإخاءٍ له تعالى، لا تنفصِم عُراها على مرِّ الليالي والأيام)[١] اهـ [٩ ربيع الآخِر ١٣٥٤هـ].

وبعد أن أنهى أبو السَّمح الخِطَاب، عادَ فكَتبَ على هامِشه هذه الزيادة: (وأَبَشِّرُ ـ الأَخَ[٢] بأنَّ الكِتابَ سيَروجُ جدًا بحول الله وقوتِه، وسأجتهدُ لدى جلالة المَلِك، ليأخذ منه كمية، وحبذا لو ساعدني الأخ على هذه الأمنية ـ بتجليد الجزأين الأوَّلين تجليدًا حسنًا، وكتب عليه الاسم، وأُرْسِلتْ إليه هدية، وأنا سأكتبُ إلى جلالته اليوم كتابًا مُمهِّدًا لذلك)[٣] اهـ

ثم عاد فراسله ومما قاله:

(وقد زُرْنا جلالةَ الملِك ليلةَ أمسٍ، وذَكَرْنا كتاب «الفتحِ»، وقد ترجمتُكم له ترجمةً سُرَّ بها، وشوَّقتُه إلى الاشتراكِ في مئاتٍ من الكتابِ، وقد أمرني أنْ أُكَلِّمَ حضْرَتكم في ذلك، فهو كانَ يُريد (٢٠٠) نسخة فقط، فراجعتُه ليأخذَ (٥٠٠) فوافقَ، وأَمَر أنْ أكتبَ لكم في ذلك.

---

(١) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٦١).

(٢) يقصدُ الشيخَ: أحمد البَنَّا مُؤلِّف: «الفتح الرَّبَّاني».

(٣) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٦١).

أفيدونا لعلَّنا نحصل لكم على شيءٍ من ثمنِها، يُساعدكم على إتمامِ الطبع)[1] اهـ [٢٣ ذو الحجة ١٣٥٤هـ].

قلتُ: لطول الكتاب، ولعدم اكتماله، ولشدة حِرص الشيخ أبو السَّمح على إتمام الكِتاب تأليفًا وطبعًا ونشرًا؛ خاف على الكتاب ألَّا يتم، وذلك لعدة أسبابًا؛ منها: طولُ الكتاب كما ظهر في الأجزاء المطبوعة منه، وفواتُ العُمر، وارتفاعُ سعر الورق وزيادة كُلْفة الطباعة.

والخاسر الأكبر في مثل هذه الحالة؛ هُم العُلماء وطلبة العِلم، ولاسيما المُحدِّثين منهم، أو من كان على «مذهب أحمد»؛ فكتب الشيخ أبو السَّمح إلى مُؤلِّفه المُحدِّث أحمد البَنَّا يقول له:

(نرجوا أنْ تختصروا في الشرحِ، حتى يُمكِنُ إتمام الكتابِ؛ فإنَّ الأعمارَ ـ كما لا يخفى ـ غيرُ مضمونةٍ، وإذا أَطلتُم الشرحَ احتجتُم إلى مالٍ كثيرٍ وعُمْرٍ طويلٍ، والمالُ يُمكنُ أنْ يُدرك، ولكن مَن يَضمن طُولَ العُمرِ؟

وهذا المرحومُ السَّيِّدُ رشيدُ رِضا، تَركَ «تفسيرَه» ناقصًا، وكمْ مِن قائلٍ له اختصرْ، وقائلٍ له اقتصرْ، فلم يَسمعْ إلَّا آخرَ حياتِه، ولم يُدْرِكْ ما أَمَّلَ، فلا المُطَوَّلُ أَكْملَ، ولا المُخْتصَرُ أَتَمَّ، وتَركَ كليهما ناقصًا.

---

(١) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٦٢).

فلِمَ المسألةُ[١]؟! ولا تجعلْ لغيرِكَ فيها يدًا، واشرحْ ما لا بُدَّ منه، وحسبك تخريج الحديثِ، وشرح غريبِه، والإشارة إلى ما اختَلَف فيه العُلماء، والدلالة على مواضِع البحثِ فيه...)[٢] اهـ [٣ ذو القعدة ١٣٥٧هـ].

قلتُ: جهود الشيخ أبو السَّمح في دعمِ الشيخ المُحدِّث أحمد البَنَّا تُذْكَر فتُشْكَر، وليستْ باليسيرة، ولاسيما بعد اعتماد كتابه «الفتح الرباني» للتدريس في «دار الحديث الخيرية» بـ «مكة المكرمة».

وقد كانت هذا الجهود محلَّ تقديرٍ وإعجابٍ من قِبل الشيخ البَنَّا، وكتب في ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ يقولُ:

(إنَّا لنتقدَّمُ بأجْزلِ الشُّكرِ، وعاطِرِ الثَّناءِ، إلى فضيلةِ العلَّامةِ الأجلِّ، مديرِ «دارِ الحديث» بـ «مكَّة المُكرَّمةِ» ـ زادها اللهُ تشريفًا ـ، على مُعاضدتِه إيَّانا، واجتهادِه في نَشرِ الكِتابِ، وتعميمِ النَّفعِ بِه، حتَّى صارَ مُقرَّرًا على

---

(١) سؤال تعجّب؛ وذلك لأنَّ المُؤلِّف الشيخ البَنَّا، كانَ يسألُ [يطلب المال عبر شراء نُسخ كثيرةٍ] من أجل دعم الكتاب، كما ظهر من سياق المراسلات السابقة.
وهذه ـ من الشيخ أبو السمح ـ صراحةٌ وجُرأة، أملاها عليه الموقف آنذاك، ومحبة أنْ يُنجز الكتاب على وجه السرعة، وبطريقة مختصرة.

(٢) انظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٦٧).

طَلبةِ هذه الدَّارِ المُباركةِ، تَتوالى علَيْنا طلباتُ الاشْتِراكِ فيه من «الأرضِ المُقدَّسة».

كما أنَّ فضيلتَه، أَطْرى الكِتابَ، وقدَّمه لمُحبِّي «السُّنَّة»، أجملَ تقديمٍ، في الصُّحفِ السَّيَّارةِ، مِمَّا كانَ له أَجملُ الأثرِ في نفسِنا.

وحَسْبُنا أنْ يَجدَ الكِتابُ مِن فُضلاءِ المُحدِّثين هذا التَّقديرِ، ويَلْقَى منهم هذه العِناية، والكتابُ ـ الآنَ ـ يُدرَّسُ في «الحرمين الشريفين»، مما يجعلُنا نَتفاءلُ بقبولِه، ونَسْتبْشِرُ فيه برِضْوانِ اللهِ ورسولِه إنْ شاء الله)[1] اهـ

قلتُ: الذي يطَّلعُ على القصة الكاملة لهذا الموضوع؛ يعلم ـ عِلم اليقين ـ بأنّ الشيخَ أحمد البَنَّا رَحِمَهُ اللَّهُ لم يكن يهدف للمتاجرة بهذا الكتاب، ولا الربح من ورائه، بل كان يهدف إلى طلب المساعدة في طبعه، ونشره، وتوزيعه لأكبر قدر من العُلماء، وطلبة العِلم.

وكذا الشيخ عبدالظاهر أبو السَّمح، كان مُحبًّا للعِلم والعُلماء، مُساهِمًا ـ وداعِيًا ـ في بذل العِلم ونشره، وتوفير بين يدي العلماء وطلبة العِلم.

---

(١) «الفتح الرباني» (٢/ ٣٢٠).

وانظر: «خطابات حسن البَنَّا» (ص ٦٦).

وما جاء اختيار الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، إلا لِمَا لَمَساهُ من حُبِّه للعِلم، ودعمه للعلماء وطلبة العلم، وتشجيعه للمؤسَّسات العلمية، الحكومية والأهلية، ولاسيما أنَّ الأمر يتعلّق بـ «مُسند أحمد».

وكذلك العلامة أبو السّمح لم يتم اختياره لهذه المهام؛ إلا لقربه من الملك العزيز، ولمكانته عنده.

إنَّ هذه المكاتبات تعطينا صورة عن معاناة العُلماء وطلبة العِلم عند التأليف والطبع والنشر، لإنتاجٍ علميٍّ، قد يَقعُ اليوم بين أيدينا ـ وهو في مُجلَّداتٍ ـ مُصوَّرًا بالمجَّان عبر رفعِه على أحد المواقع الإلكترونية...!

* * * *

المَبْحَثُ السَّابِعُ عَشَر
[أَبُو السَّمْحِ و«التكفير»]

[تمهيد]:

لرأس البلاء الفكري الأعظم عند المسلمين جناحين؛ هما:

١ ـ الإرجاء.

٢ ـ التكفير.

وليس هنا موضع مناقشة هذا البلاء، وأصوله، ولكن لكثرة كلام العلامة عبد الظاهر أبو السَّمح رَحِمَهُ اللَّهُ على دُعاة القبور والأضرحة، والغاليين في الأولياء والصالحين، ومن يتوجَّهون بالعبادة ـ صراحةً ـ لغير الله ﷻ = كانت له مواقفُ مُشدَّدةٌ معهم، حماية لجناب «التوحيد الخالص»، ما جعلني أعقدُ هذا المبحث.

[سجالاتٌ عقائدية]:

كانت المعاركُ العقائدية بين العلامة عبد الظاهر و «مناوئي التوحيد» سِجالاً، وقد وصلت إلى المحاكم «الجزئية»، ثم «الاستئناف»، وسُجِّلت اتهامات بالكُفرِ من كلا الطرفين، أقولها صراحةً، وهي ليستْ بخافيةٍ على من قرأ في تاريخ الوقائع بينهما، بل إنَّ هذه التُّهمة تحضر ـ غالبًا ـ في المعارك الاعتقادية الكلامية، بين دعاة الحقِّ والباطل، وما كان لها أنْ تحضر ـ بين طرفَيْن مُسلمَيْن؛ ما لم يحدث ما يستوجب حضورها؛ لأنَّه لا إشكال في تكفير مَنْ كفَّره الله ﷻ ورسوله ﷺ، بشرط: العِلم، وعدم الجهل، وإقامة الحُجَّة، وعدم شبهة التأويل القوية.

ومن خلال تأملي لتاريخ هذه المعارك، وقراءتي العميقة لها؛ تبيَّن لي:

١ ـ أنَّ العلامة عبد الظاهر أبو السَّمح، كان «سلفيًّا» على الجادة، ويسير في مسألة «الإيمان والتكفير»، على المنهج الحقِّ، منهج «أهل السُّنة والجماعة»، حيثُ لا يُكفِّرون أحدًا من «أهل القبلة» بذنبٍ، ما لم يستحلّه، ويَرَوْنَ الصلاةَ خلفَ كُلِّ برٍ وفاجرٍ...

ولكنَّهم ـ في الوقت نفسِه ـ يُكفِّرون مَنْ كفرَّه الله ﷻ ورسوله ﷺ، ويُكفِّرون من لم يتوجه إلى الله بالعِبادة، وصَرَفَها إلى غيره، منَ الأولياء والصالحين، الأموات منهم، والأحياء.

وهذه ليست عقيدة «أهل السُّنة والجماعة» فحسب، بل هي «عقيدةٌ قرآنيةٌ»، ينبغي ألا نجادلَ فيها، وهي حقيقةُ دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ يقول ربُّنا ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال ﷻ: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن].

فمن أقرَّ بوجودِ الله ﷻ، وأنَّه الخالِق، الرَّازق، المُحيي، المُميت...، ثم صرفَ عِبادةً ـ أيَّ عِبادةٍ ـ إلى غيرِه؛ فقد أشركَ شركًا أكبرَ مُخرِجًا منَ المِلة، ولو صلَّى، وصامَ، وحجَّ، ولا ينفعه ـ حينها ـ إقراره بـ «الربوبية».

وهذه هي حقيقةُ عقيدة «مشركي العرب»، الذين كانوا يُقرِّون بـ «الربوبية»، ويُشركون مع الله آلهةً أُخرى، ثم يقولون: نحن نُقرُّ بأنَّ اللهَ هو الخالقُ، الرازقُ، ولكن ما نعبد هذه «الأوثان»؛ إلا ليكونوا لنا شُفعاء، ويُقرِّبونا إلى الله زُلفى فقط!

وقد وصفَ اللهُ حالَهم، وحكمَ عليهم في عدة آياتٍ؛ منها: قوله ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت][1]. وقوله ﷻ: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر].

٢ ـ أنَّ المناوئين لـ «التوحيد»، كفَّروا الشيخ أبو السمح، وحكموا بردَّته، بغيرِ وجهِ حقٍّ، وبغير دليلٍ شرعي؛ سوى حجة شيوخ الضلالة، حين أزال عبد الظاهر من «المساجد» البدع والمُحدثات المُنكرة، وبيَّن أنَّ الأولياء والصالحين، لا يملكون لأنفسِهم نفعًا ولا ضرًّا، وأنَّ العبادةَ يجبُ أنْ تُصرف لله ﷻ وحده...

---

(١) وانظر الآية (٦٣) من السورة نفسِها، والآيات: (٨٤ ـ ٨٩) من سورة المؤمنون، و (٢٥) من سورة لقمان، و (٣٨) من سورة الزمر، و (٩، ٨٧) من سورة الزُّخرف.

فقالوا ـ بمكابرةٍ جاهلية ـ إنَّه أرادَ أنْ نترك ما وجدنا عليه مَنْ قَبْلنا، من الشيوخ، والآباء، والأجداد، وأنَّه تطاول على «المقدَّسات الدينية»، وأهانَها؛ فوجبَتْ رِدَّتُه، وحلَّ دمُه، ورفعوا أمرَه إلى «المحاكم»[١].

٣ ـ مع كثرة وجود البدع والمنكرات الشِّركية، في عصر الشيخ عبد الظاهر، ولاسيما في مجتمعِه مِن حولِه؛ كثر كلامُه على «الشِّرك»، وصورِه، ومن خلال قراءتي لكتبه ومقالاته؛ رأيتُ منه بعض العبارات، التي خصَّ بها غُلاة «المتصوفة»، ودعاة القبور والأضرحة، قد تُفهم منه على غير المراد؛ وربما أَتى غير مُنْصفٍ، فاتَّهمه بـ «التكفير»؛ منها قوله:

(والمقصود هنا: بيانُ أنَّ **المسلمينَ اليومَ ليسوا على شيءٍ من الإسلامِ**، فإنْ قالَ قائلٌ حتَّى الصلاة؟ قلنا له ما قاله أنسٌ ﷺ: ألستم غيَّرتُم فيها ما غيَّرتُم، فصرتم تنقرونَها نقرَ الغربان؟! وبعد أنْ يُصلِّي أحدُهم، يدعوا اللهُ من المقربين في زعمِه، ليقربوه إلى الله!

إنَّنا إذا أردنا أنْ نزنَ حالَ المسلمين اليوم، بـ «القرآن الكريم»، و «السُّنة النبوية»؛ تجد كفَّتَهم شائلةً، عائلةً، وإذا أردنا أنْ نُحقِّق نسبتَهم إلى الإسلام؛ نجدُ أدعياءَ، لا يمتون إليه إلاَّ بالاسم...)[٢] اهـ

---

(١) سيأتي بسط ذلك ـ تفصيلاً ـ في موضعه من المبحثين القادمين (ص).

(٢) مقال: «الدِّين الخالص وحال المسلمين»؛ منشورٌ في: «مجلة الهَدْي النَّبوي»؛ ⇦

قلتُ: هذا الكلامُ منصرفٌ ـ بلا شكٍّ ـ إلى بيئةٍ اعتقادية مُعينة، كان يتحدَّثُ عنها الشيخُ في المقالِ نفسِه، وفي مقالاته الأُخرى، ومن ينظر في مقالاته؛ سيعلم صِدق ذلك، كما سيعلم حقيقة المردود عليهم، وهم خصومه فقط من غُلاة «المتصوفة»، وشيوخ «الطُّرق»، وغيرِهم من «أولياء الشيطان»، ولم يكن كلامُه مُتوجِّهًا لأهل بلدته، فضلاً عن أهل «مصرَ»، ناهيك عن عامة المسلمين.

وكُلُّ من نظرَ إلى واقِع السِّجال بين الشيخ ومُناوئيه؛ عَلم أنَّ دعوتَه كانت هي دعوة النبي محمد ﷺ إلى «كفار قريش» نفسُها، دعوةٌ إلى «توحيد العِبادة» لله ﷻ وحده، دعوةٌ مُتوجِّهةٌ إلى من أقرَّ بـ «توحيد الربوبية»، وصرفَ «توحيد العِبادة» لغيرِ الله ﷻ، بل تمادى بعضُهم فصرفَ «توحيد الربوبية» لغير الله، فاعتقد النَّفعَ والضرَّ، والرزق... للأموات، من الأولياء، والصالحين، وهذا ما لم يفعله «مشركي العرب»!

وبدعوة الشيخ «السَّلفية» النقية، سقط عن مناوئيه خيرٌ كثيرٌ؛ منه: تقديسُ العامَّةِ لهم، وإذلالهم العامَّة، وأكلُ أموالِهم بالباطل، بحجَّةِ دفع

=

العدد (١)؛ سنة: (١٣٥٨هـ).

وانظر نصَّ المقال كاملاً في: «المقالات السَّلفية» (ص ٢١٠).

النُّذور، والقرابين، وترميم القبور والأضرحة، وسِدانتِها... فعَادَوْه، وافْتروا عليه، ثم كفَّروه، ظلمًا، وجورًا.

هذا توضيحٌ لكلامٍ للشيخ، قد يُفهم على غيرِ مرادِهِ، مع بيان سببِه، وما انبنى عليه، ولم أرد بسط المسائل محل السِّجال؛ كـ: دُعاءِ الأموات، والنذر إليهم، والذبح عند القبور، والطواف بها، تقربًا إلى مَنْ فيها... لأنَّ الحكمَ فيها ظاهرٌ، وتقريرُه مستفيضٌ في كتب الاعتقاد.

ومع أنَّ الكلامَ على عقيدة الشيخ، سبق إجمالاً، في مبحثٍ سابق[1]؛ إلا أني اضطررتُ إلى عقدِ هذا المبحث ـ عن التكفير ـ مُستقِلاً؛ ذبًّا عن عرضِه، وحتَّى لا يُؤخذ هذا الكلام عليه، من قِبل مخاصمٍ فاجرٍ، ممن تشرَّبَ الضَّلال والظُّلمة، فما استساغَ بعدها الهداية والنور.

* * * *

(١) انظر المبحث الثالث (ص).

المَبْحَثُ الثَّامِنُ عَشَر
[مُلَخَّصُ الوَقَائِعِ الَّتِي جَرَتْ لَهُ مَعَ خُصُومِهُ]

لقد دَرس الشيخ عبد الظاهر أبو السَّمح رَحِمَهُ اللَّهُ «العقيدة السَّلفية» الصحيحة، وعرف «التوحيد»، في سننٍ مُبكِّرةٍ، وذلك من خلال ثلاث قنوات علمية:

١ ـ شيخه محمد أمين الشِّنقيطي (مشافهة).

٢ ـ اطلاعه المباشر على مُؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلاميذه ابن القيِّم.

٣ ـ دراستُه على يد شيخه رشيد رضا(١).

وقد عُرِفت هذه القنوات الثلاث، بالدعوة إلى «الكتاب» و «السُّنة»، والرجوع إلى «الإسلام الصَّافي»، ومحاربة «البدعة»، والدعوة إلى الإصلاح، والتجديد؛ لذا كان لهذه القنوات دورٌ في تكوينه العقلي، ولا ننسى أنَّ شيخَه رشيدًا على اهتمامِه بـ «المنهج السَّلفي» إلا أنَّه كان ـ أيضًا ـ ذا دعوةٍ إصلاحية تجديدية، لها أثرها حتَّى اليوم، وكذلك تأثَّره بشيخِه ـ القديم ـ محمد عبده في هذا الشأن تحديدًا(٢).

---

(١) سبق بيان ذلك ـ تفصيلاً ـ في المبحث الثاني (ص).

(٢) سبق الكلام على فِكر الشيخ محمد عبده، ونقده، ولكنَّه في ما يتعلّق بالخرافات والبدع؛ فقد كان له دورٌ حسنٌ، وكان يثي على «كتاب التوحيد»، و «كشف الشُّبهات» للإمام المُجدِّد، كما بيَّتُ ذلك في كتابي «قصة طبع كتاب المغني والشرح الكبير»، وهذا إنصافٌ له في هذا الموضع فقط، ولا يعني الغض عما ورد عنه ـ ⇦

وقد رأى أبو السمح ما عليه أمر الناس في بلده، من مخالفات شرعية صريحة، تقدح في «التوحيد»، وتخالف «المنهج العلمي» في الاتباع الصحيح لـ «الكتاب» و «السُّنة»؛ فلم يصبر، فبدأ بالدعوة إلى الله ﷻ، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان ـ زيادة على توجيه الناس وإرشادهم إلى «العقيدة الصحيحة» ـ يزيل منكرات «العقيدة» بيده، ولاسيما ما تؤول بالناس إلى «الشرك».

[ما حدث له من فِتن ومِحن وابتلاءات]:

بما أنَّ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ سار في دعوته، على هدى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وعلى خُطى الدُّعاة والمصلحين؛ فقد حدث له من الفتن والمِحن والابتلاءات ما حدث لمن قبله.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إنَّ اللهَ ـ تعالى ـ لما منَّ عليَّ بمعرفته، ووفقني لاتباع «كتابه»، و «سنة نبيه ﷺ»؛ رأيتُ أنَّ من أوجب الواجبات عليَّ، الدعوةَ إليه تعالى، والحثَ على التمسك بـ «السُّنَّة المُحمدية»، واتباع سبيل المؤمنين السالفين، وكان من أهم شيء عندي أبدأ به بيان «التوحيد»...)[1] اهـ

= سابقًا ـ عند ترجمته في المبحث الثاني، والخامس عشر (ص ،).

(١) «الرسالة المكية» (ص ٢).

ويقول صديقه العلامة د. تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللهُ ت (١٤٠٧هـ):

(اعلم أنَّ الدُّعاةِ إلى الله يُمْتحنُون على قدر إيمانِهم، وصبرِهم، وتجلُّدِهم، ومنهم الشيخ عبدالظاهر أبو السمح؛ فإنَّه كان يدعوا إلى الله بـ «رمل الإسكندرية»، وقد أنكر دعوته **جميعُ مَن يَنتسِبُ إلى العِلم** في «رمل الإسكندرية»، وفي «الإسكندرية» نفسِها...

ويدعوا إلى الله بإلقاء «الدروس» في «المسجد» المذكور[١] ـ وصلاةِ الجُمعة والجماعة ـ لوجهِ الله؛ فمُنعَ من ذلك، فدعاني لأنْ أنُوبَ عنه)[٢] اهـ

ويقول الشيخ: يوسف الصُّبْحي حَفِظَهُ اللهُ:

(وقد تأثَّر بشيخِه، السَّيِّد: رشيد رضا، ودرَّس في مدرستِه «دار الدعوة والإرشاد»، ودرَّس في عِدَّة مدارس: «القرآن»، و «التجويد»، و «الخطّ»، و «القِراءة»، وتنقَّلَ في عِدَّة أماكن للتدريس؛ فأُوذي بسببِ أمرِهِ بالمعروفِ، وإنكارِه للمنكر، ودعوتِه «السَّلفية»، والذَّبِ عنها، ونَجَّاهُ اللهُ من حوادِث وفِتن، من قِبَلِ المخالفين، وأصحاب الطُّرقِ)[٣] اهـ

ويقول أ. صلاح الزامل في معرض ثنائه على أبو السمح:

---

(١) يقصد «مسجد أبي هاشم»، وسبق الحديث عنه في المبحث الخامس (ص).

(٢) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٨).

(٣) «وسام الكرم» (ص ٢٥٢).

(كلُّ رجلٍ مشهور وناجح في عملِه، له محبون وأصفياء، وكذلك بالمقابل يكون له حساد وخصوم؛ فكذلك الشيخ أبو السمح عندما اشتهر أمره، وعلا ذكره، وبَعُدَ صيتِه، فكان أُناسٌ مؤيدين له، وآخرون معارضين، ورضا الناس غاية لا تدرك، ومن اعتقد أنَّه سيُرضي مجتمعَه كُلَّه، فهو كقابض الريح)[١] اهـ

وكانت ابتلاءاتُه وصبره عليها، وجهادُه في الدعوة إلى الطريق الحق، محل إعجابِ تلميذه الشيخ عبدالله خياط رَحِمَهُ اللَّهُ؛ إذ يقول:

(كنتُ أدرسُ عليه في دارِه كتب العقيدة ككتاب «الوسيلة» لشيخ الإسلام، و «الواسطية»، وجملة من كتب «العقيدة»؛ فكان يثلج صدري، ويَروِي ضمأ نفسي المُتعطِّشة للمزيد من التَّعرف على «العقيدة السلفية».

كنتُ أذهبُ إليه ضحوة كل يومٍ؛ فأجد من فضيلتِه ـ إلى جانبِ الإفادة من عِلْمه وخُلُقه ـ التجاربَ العظيمة التي مرَّتْ عليه، والمتاعبَ التي لقيها في سبيل الدعوة إلى الله في بلدِه، والتي تُترْجِم عنها قصيدتُه «النونية»[٢] في مُؤلَّفه «حياة القلوب»)[٣] اهـ مختصرًا.

---

(١) «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام»؛ صلاح الزامل؛ صحيفة الرياض؛ العدد (١٨٣٦٥)؛ الجمعة؛ (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ).

(٢) سبقَ ذِكْر نصِّها قبل قليلٍ.

(٣) «لمحات من الماضي» (ص ٣١٥).

[ذِكر بعضُ ما حَصلَ للشيخ من ابتلاءات]:

قال سعد بن أبي وقاص ﷺ، خال رسول الله ﷺ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ، زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ البَلاءُ بِالعَبْدِ، حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ، لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[(١)].

وقالت فاطمة بنت اليَمان رضي الله عنها، أُختُ حُذيفة ﷺ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً: الأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[(٢)].

قلتُ: لقد حصلَ للشيخ رحمه الله عدة ابتلاءات، شأنه شأن ورثة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وما زادته إلا صلابة، وثباتًا، وصبرًا، وثباتًا.

وهذا ذكرٌ لبعضِ ما وقفتُ عليه:

[الابتلاء الأول: فِتنُ العوام في «الجيزة»]:

حصلَ للشيخ أبو السمح رحمه الله في مُبتدأ حياتِه الدعوية، بعض الفتن، من أصنافٍ منَ الناس، وكان ذلك في مُديرية «الجيزة».

---

(١) أخرجه أحمد في: «المُسند» (٣/ ٧٨)؛ برقم: (١٤٨١).

(٢) أخرجه أحمد في: «المُسند» (٤٥/ ١٠)؛ برقم: (٢٧٠٧٩).

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

(مكثْتُ أربعَ سنين في بندر حاضرة مديرية «الجيزة»، كنت في أثنائها داعيًا إلى «كتاب الله»، و «سُنَّة رسولِه ﷺ»، آمرًا بالمعروفِ، ناهيًا عن المُنْكر، وقد لقيتُ فِتَنًا من العوام، وبعضِ أئمة المساجد، ومشايخ الطُّرق، ولكنَّ اللهَ نجَّاني منهم، ونصرني عليهم)[1].

قلتُ: من خلال سياق «سيرته الذاتية»؛ يظهر أنَّ هذه الفتن المذكورة، كانت في مُبتدأ حياتِه الدعوية، وبما أنَّ من أصناف هؤلاء المُناوئين له، أئمة مساجد، ومشايخ الطرق الصوفية؛ فهذا مؤشر أنَّ حياته الدعوية في مُبتدئِها، كانت في الدعوة إلى «السُّنة» ومحاربة «البدعة».

[الابتلاء الثاني: حادثة مع أهل الغلو والعوام]:

في أثناء وجود أبو السمح في «رمل الإسكندرية» سنة (١٣٣٤هـ) تقريبًا، عند تدريسه لبنات أحد الباشوات[2]، شرع في قراءة درسٍ للعوام بأحد المساجد، فهاج عليه أهل الغلو والعوام.

وقد تحدَّث هو عن ذلك فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٩)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦١).

(٢) تقدَّم الكلام على تدريسه إيّاهم في المبحث الخامس (ص).

(وشرعتُ في قراءة درسٍ للعوام، في أحد مساجد «الرمل»، وما قرأتُ درسين فيها، حتى قامتْ قيامة المُتغالِين والعوام عليَّ، وقد أمضيتُ حوالي تسع سنين في «الرمل»، لو فصَّلتُ كُلَّ ما وقع لي من الحوادِث والفِتن، لاحتجتُ إلى مجلدٍ كبيرٍ.

وقد ذكرتُ بعض ذلك في رسالتي المُسمَّاه: «الرسالة المكية»...)[1] اهـ

[الابتلاء الثالث: الاعتداء عليه وهو يُصلي]:

أجلُّ مواقِف المُسلِم في حياتِه كلِّها، هو موقفُه بين يديْ الله ﷻ، وهو موقفٌ إيمانيٌ لا يضاهيه موقفٌ، وهذا الموقف لم يراعِه «المُخرِّفون»، ولم يراعوا حرمةَ المُسلِم، ولا هيبةَ العِبادة التي هو فيها.

وهذا ما حصل لأبو السمح؛ فقد تم الاعتداء عليه رَحِمَهُ اللَّهُ وهو في حال إمامته للناس بالصلاة في «الإسكندرية»[2]، ولم يخشَ المُعتدي سخطِ الله ﷻ عليه، ولم يُبالِ بهيبة الموقف، إمامٌ يقف بين يدي ربه مُصلِّيًا بخشوع، والناس تصطفُ حوله، يدعون ربَّ العالمين، ثم يتجرأ هذا الضَّال على الشيخ فيُؤذيه.

---

(١) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٧٩)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧)، و «أعلام المكيين» (١/ ٢٠٣)، و «تاريخ أُمَّة» (٣/ ١١٧٤).

يقول الأستاذ: عمر ابن عبد الجبار رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أسَّسَ «جماعةَ أنصار السُّنة»؛ فاعتُدِيَ عليه، وهو يؤم الناسَ في «المسجدِ»، بسببِ دعوتِه إلى «توحيدِ الله ﷻ»، شأن كُلِّ داعٍ إلى الإصلاح، والدعوةِ إلى الله؛ فصبرَ على الأذى، واستمرَ في نشر دعوتِه)[1] اهـ

قلتُ: قولُه (أسَّس...؛ فاعتُدِيَ عليه...)؛ دليلٌ على أنَّ سبب هذا الاعتداء الآثم، هو تأسيسه هذه «الجماعة» السَّلفية المُباركة، والتي من أُولى اهتماماتِها محاربةُ البِدعةِ والخُرافات، والوقوف في وجه دُعاتِها.

ولكن سبق بيان أنَّ هذا وهمٌ، وأنَّ الذي أسس هذه الجماعة، هو الشيخ: محمد حامد فقي[2]، فيكون تعليل هذا الاعتداء، ما ورد في تتمة الخبر: (بسببِ دعوتِه إلى «توحيدِ الله ﷻ»)، والله أعلم.

[الابتلاء الرابع: التحقيق معه بغير إنصافٍ]:

هذا موقفٌ عصيبٌ، تعرَّض له العلامة أبو السَّمح، وصل لحدِّ الافتراء عليه، وجَمعِ الناس عليه، وضربِه، وقد حكى ذلك بنفسِه، وروى أحداث ما جرى بأدقِّ التفاصيل؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) «سِيَر وتراجم» (ص ٢٢٧).

(٢) سبق مناقشة هذا في المبحث الخامس (ص).

(أتاح اللهُ لي فرصة الدعوة إليه، في «رمل الإسكندرية»، فأخذتُ اقرأُ دروسًا في «المساجد»، وألقي خطبًا، وأدعو الناس بالحكمة، والموعظة الحسنة، حسب طاقتي، فاستجاب لي بعض الناس، الذين لم تفسد فطرتهم، وعاداني أكثرهم، تقليدًا لآبائهم، وطواغيتهم، شأنهم مع كل داعٍ.

وقد كان أشدُّ الناسِ عداوةً لي، وحسدًا، بعض المتعالمين في «الرمل»، والمتمشيخين به، فنبزوني بالألقاب، وافتروا عليَّ: أني أنكر الوسيلة، والشفاعة، والصلاة والسلام على خير الأنام... وغير ذلك مما تقشعر من الجلود، وتقف عند سماعه الشعور.

وكان أسلافُهم الضَّالون، قد افتروه على بعضِ العُلماء العاملين، والأئمة المُجدِّدين، بل هذه سيرة أعداء الحقِّ، حتى في زمن الأنبياء والمرسلين.

وإنَّما فعلوا ذلك؛ لينفروا الناس، من سماعِ دروسي، وخُطَبي، ويُحرِّضوهم على إيذاءِ، والصدِّ عنِّي[1]، ولم يتركوا بابًا في ذلك إلا ولجوه،

---

(١) وهذه من طُرق «مُشركي الجاهلية» في صدِّ الناس عن «دعوة التوحيد»؛ قال ﷻ على لسانِهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فُصِّلت].

ولا سبيلاً إلا سلكوه، وكانوا كلما اشتدوا في إيذائي، وتعاونوا على عدائي؛ أمدني اللهُ بالصبر الجميل، وثبَّتني على الدعوة إليه.

ولم يزلْ ذلك دأْبَي ودأْبَهم، إلى أنْ نصرني الله عليهم، نصرًا مُبينًا، وأخزاهم خزيًا مهينًا.

وقد كان من مكرِهم أنْ استغاثوا بـ «مَشْيَخة» عُلماء «الإسكندرية»، وكتبوا لها شكايةً، نسبوا إليها فيها من الفرى، ما ذكرتُ بعضه آنفًا؛ فوَعَدَتْهُم «المَشْيَخة» بالتحقيق، وفضِّ المُشْكِل من أقربِ طريقٍ.

وبعد شهرين أَرْسلتْ[1] لجنةً من عُلمائها، مُؤلَّفة من ثلاثة أشخاص، فحين حضروا بـ «مجلس المناقشة»، بأحد مساجد «الظاهرية» بـ «رمل الإسكندرية»، أحضروني إليهم، وكان المسجد غاصًا بالناس، لصلاة «الجمعة»، وبعد الصلاة جلسَ «رئيس اللجنة» على كرسي وسط المسجد.

ولما علم الناس بالتحقيق؛ هرعوا إلى ذلك المسجد، حتى ضاق بهم، ووقفوا في النوافذ، والأبواب، والشوارع، وأخرجَ الشيخُ «رسالةً»، من كُمِّه الطويل العريض، وأخذَ يقرؤها على الجمهور، بعد أنْ مهَّد لها أحدُ أفرادِ «اللجنة»، بخُطبةٍ حماسيةٍ، شنع بها على «المُوحِّدين»، ونال منهم ما نال.

---

(١) أي: «مَشْيَخة الإسكندرية».

وكنتُ أظنُّ أنَّهم جاءوا للتحقيق، وأنَّهم سيعملونَ على إصلاح ذات البَيْن، فيعقدون مجلسًا خاصًّا بنا، ويسألونني عنِ التُّهم، التي نسبَها إليَّ خصومي؛ ولكنَّهم لم يُفَّقوا إلى شيءٍ من ذلك، بل زادوا نارَ الفتنةِ ضِرامًا، وسُوءَها خِتامًا.

وبعد أنْ فرغَ الشيخ «المُخرِّف» من «رسالته»؛ صفَّق له العوام استحسانًا، ولم يمكنوني من الردِّ عليها، بل كانوا كلما عارَضْتُه، وأردتُ الاحتجاجَ عليه، أسكتوني بالعُنف، والتَّأنيب.

وأخيرًا؛ قام دعيٌّ متطفلٌ، وصعد «المنبر»، وقام يُكفِّرني مرة، ويسبني أُخرى، فقمتُ مُحتجًّا عليهم بأعلى صوتي، قائلاً لهم:

ما بِمثلِ هذا يَنحسمُ النِّزاع، ولا بالسبِّ والشَّتمِ، يَنكشفُ ـ عن الحقِّ ـ القناع، وما أنا ـ والله ـ بجالسٍ عندكم، ولا سامع أباطيلكم، وإني لعل الحقِّ، وسأبقى عليه ـ إنْ شاء الله ـ حتَّى أموت، ولأنصرنَّ «الكتاب»، و «السُّنة»، ما دمتُ حيًّا.

وما كدتُ أفرغُ من «مقالتي» هذه؛ حتَّى ابتدرني العوام بالضربِ، واللكم، وانهالوا عليَّ من كُلِّ صوبٍ، ولم ينقذني منهم، إلا الله، إذ قد حضرت «الشرطة»، وساروا حولي يحرسونني، إلى منزلي...)[1] اهـ

---

(١) «الرسالة المكية» (ص ٢ ـ ٤)، وهذه القصة هي سبب تأليف هذه الرسالة.

قلتُ: هذا ابتلاءٌ غريبٌ، اجتمعَ فيه ـ من «المُخرِّفين» على «دعاة التوحيد» ـ: الافتراءُ، والكذب، والتكفيرُ، والسَّب، والشتم، والضربُ، وتأليب العامة.

ثم يأتي مَن يقول إنَّ «السَّلفيِّين»، هم مَن يَفترون، ويُكفِّرون، ويعتدون على مخالفيهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف].

[الابتلاء الخامس: المَكْرُ به في مُناظرةٍ وضربه]:

في سنة (١٣٤١هـ) دعاه مرَّة مناوئوه إلى مناظرةٍ تُعقد في «المسجد»، وأحضروا رجلاً من العامة، وقالوا له: احضر ومعك «عصا»، وإذا أشرنا إليك فأضربه!

فلما اشتدت المناظرة، ودخلوا في مسألة «الاستغاثة بالنبي ﷺ»، وألجؤه إلى أنْ يقول: إنَّ النبي ﷺ بشرٌ لا يملك لنفسِه ـ ولا لغيره ـ نفعًا ولا ضرًّا، وإنَّما هو بشيرٌ ونذيرٌ... أشاروا إلى الرجل، فضربه في «المسجد»!

وبعد ذلك ـ بقليلٍ ـ جاء أمرُ محافظ «الإسكندرية» بمنع الشيخ أبو السمح من الصلاة والوعظ في «المسجد» وإغلاقه!

قلتُ: هذه مكيدة لا يصنعها إلا جبانٌ، ضعيف الحجة.

وقد ذكر هذه القصة صديقه العلامة د. تقي الدين الهلالي[1] رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان قد شهد الواقعة.

وللقصة تتمةٌ أذكرها؛ لما فيها من فائدةٍ وعِبرةٍ وحِكمةٍ...

فإنَّه حين انتهى الأمرُ، وانْفَضَّ الناسُ، أَرسَل أبو السمح في طلب صديقه المغربي ـ الهلالي ـ، وأخبره بما حصل، فذهب الهلالي إلى «المسجد» نفسِه ـ في الليلة التي سيُغلق في غدِها ـ وفتحه وصلَّى فيه، وألقى محاضرةً وعظ فيها «السلفيين».

فحضرت «الشرطة» لتنفيذ أمر إغلاق «المسجد»، وحين وجدوا الهلالي قالوا له: من أنت..؟ أنت أبو السمح..؟! فقال: أنا محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي المغربي. فتوقفوا ورجعوا إلى المحافظ وأخبروه. واختفى أبو السمح؛ فصار لا يظهر للناس، فأمر المحافظ بإبقاء «المسجد» مفتوحًا.

ولم يكتفِ المناوئون بما حصلَ، واشتدَّ حقدِهم على «السلفيين»، ولاسيما أنَّ المحافظ أمر بإبقاء مسجدهم مفتوحًا، ولم يُغلقه؛ فرفعوا الأمر إلى ملك «مصر» ـ الملك فؤاد ـ، وأخبروه بحال الشيخ أبو السمح ـ حسب روايتِهم على ما فيها من ظُلمٍ وزور ـ، وزادوا على ذلك أنْ كذَبوا على

(١) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٠).

محافظ «الإسكندرية»، فأخبروا الملك بأنَّهم أثبتوا ـ عنده ـ صِدق اتهامهم لأبو السمح، فطردَه من «المسجد» وأغلقه، فأناب أبو السمح عنه شخصًا مغربيًا له حمايةٌ «فرنسية»[1]... وعلَّلوا ما سبق بأنَّ أبو السمح لو بقيَ على نهجه، فسيُحدِث فتنةً تُراق فيها الدماء...!

فأحالَ الملك فؤاد هذا الخطاب إلى محافظ «الإسكندرية» لاتخاذ ما يلزم؛ فشؤون «المملكة» ـ لديه ـ لا تحتمل انشغاله بمثل هذه الأمور.

وصلَ كتاب شكواهم ـ بإمضائهم ـ إلى المحافظ؛ فغضِب عليهم جدًا؛ لأنَّ فعلَهم هذا فيه: تجاوزه إلى المَلِك، وأنَّهم لم يقنعوا بما اتخذه من إجراء، وأنَّه لم يكن أهلاً لحل شكواهم، زيادة على إدخالهم طرفًا خارجيًا ـ الهلالي ـ من دولةٍ أُخرى في الموضوع، وهذا يحرجهم مع «المغرب».

استدعاهم المحافظ كلُّهم، وسألهم ـ فَرْدًا فَرْدًا ـ عن نسبة كتاب الشكوى لهم، وعن صحة إمضائهم... فأقروا بذلك واحدًا واحدًا.

فوبَّخهم على فعلتِهم؛ إذا لم يكتفوا بما اتخذه من إجراء، وتجاوزوه إلى الملك، وصوَّروا للملك أنَّ في دعوة أبو السمح فتنة، وأنَّها ستُخل بأمن «الإسكندرية»...

ومما قاله المحافظ لهم (غاضبًا):

---

(١) يقصدون د. تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ!

أنتم لا شأن لكم بالفتنة والأمن.. هل المحافظة على الأمن مِن اختصاصِكم؟! ومَن أوكل إليكم ذلك؟! أنا المحافظ، وأنا المسؤول عن الأمن هُنا.. أنا وأعواني من الشُّرَط.. أنتم أصحابُ الفتنة، ودعاتُها المُوقِدون لنارِها، ولم يبقَ عندي شك في أنكم مفسدون. قلتم إنَّ المصري «وهَّابي»[(١)]؛ فهل المغربي ـ أيضًا ـ «وهابي»؟! فقالوا: نعم هو مثله!

وختم كلامَه معهم بقوله:

أنتم تستحقون العِقاب، ولكني أعفو عنكم هذه المرة، وكُلُّ فتنةٍ تقع ـ في المستقبل ـ في «الإسكندرية» أو «رملِها»، مِن هذا القبيل، فأنتم المسؤولون عنها، اغربوا عني...

قلتُ: أذلَّهم الله، وصاروا في حالةٍ، كانوا في غنى عنها! ورجع أبو السمح إلى المسجد مأمومًا بعد أن أمن على نفسه، والإمام كان الهلالي، ثم ـ بعد مدةٍ ـ رجع أبو السمح للإمامة والخطابة، ورَحَلَ الهلالي...[(٢)].

[الابتلاء السادس: اتهامه بالرِّدة، وطلبُ محاكمتِه]:

بعد أنْ أعياهم إلحاقُ الضَّررِ بالشيخ، وبعد أنْ عجزوا عن ثنيه عن دعوته الناس إلى «التوحيد الخالص»، زادوا في غيِّهم، وبالغوا في إيذائه،

---

(١) وسيأتي في المبحث القادم (ص)، أنَّ من جملة وما وصفوه به أنه «وهابي».

(٢) انظر: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١١).

حتى بلغ بهم أنَّهم حكموا عليه بـ «الرِّدَّة» عن دين الله! بحجة انتهاك حُرمات «بيوت الله»، وإهانة «المُقدَّسات» (زعموا)، كل ذلك لأنَّه كان يتلف مظاهر البدع والشرك.

ثم رفعوا أمره إلى «القَضاء»، طالبين الحُكمَ عليه بـ «الرِّدَّة»، ثم جرت بينه وبينهم عند «القَضاء» وقائعٌ، سجَّلها هو في أحد «رسائله»، وسجَّلها معه أحد شهود الواقِعة، وهو أحدُ شيوخه الذي درَّسوه، واعتنوا به صغيرًا، وكبيرًا، ثم فرحوا لما رأوا ثمرة تعليمهم، وهي تُجدِّد أمرَ الدِّين، وتُحارِبُ البِدعَ، وتُصلِح، وتُرشد... = إنَّه العلامة: محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد دوَّن وقائع ما جرى بين تلميذه أبو السمح وبين مناوئه، كما كان دقيقًا ومحترفًا في تدوينه للوقائع، حيث كتبها بطريقة تشعرك ـ وأنت تقرأ ـ وكأنَّك جالسٌ أمامَ حضراتِ القُضاة، وتستمع مباشرة لمداولات الجلسة!

وسيأتي بيان هذا الابتلاء ـ مُفصَّلاً ـ في المبحث القادم.

والغريب أنَّ هذه القصة، وسابقتها، لم تُذكرا في مصادر ترجمته، رغم حديث أبو السمح عنها ـ تفصيلاً ـ في «الرسالة المكية»، ورغم نشر «وقائع التقاضي» ـ تفصيلاً ـ من قِبل شيخه رشيد رضا، في مجلته ذائعة الصيت «المنار»!

وبعدُ؛ فإنَّ ما حدث في أمثلة الابتلاءات الماضية، ليس بجديدٍ، فهذا ما يحدثُ عادةً لكل «دُعاةِ التوحيد»، من الرسل والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إلى الصحابة

الكرام ﷺ، فمَن بعدهم، مرورًا بشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمُ اللهُ، حتَّى أنَّ شيخَه رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ لم يَسلم من هذا الابتلاء[١].

ومع كُلِّ ما حدث لأبو السمح، إلا أنَّ ذلك لم يزده ـ في الحقِّ ـ إلا صلابة، فلم يسكتْ، ولم يثنه هذا الإيذاء عن دعوته إلى الحق، واستمر عليها.

ثم شاء إله «الموحِّدين»، وناصِر المؤمنين عَزَّ وَجَلَّ، أنْ يَسْلمَ الشيخُ من مَكرِ «المُخرِّفين»، وأنْ ينتصر ـ عليهم؛ فآلت هذه الابتلاءات إلى نصرٍ ـ عزيزٍ، وتحقَّق وعدُ الله عَزَّ وَجَلَّ لأوليائه.

يقول أبو السمح رَحِمَهُ اللهُ:

(وقد نصرني الله ـ تعالى ـ في كلِّ مقامٍ على الأعداء؛ حتى طأطأوا رؤوسهم، وحُكم لي عليهم)[٢] اهـ

قلتُ: ولقد أكرمه الله عَزَّ وَجَلَّ ـ بعد كلِّ ما سبق ـ بأنْ جعله إمامَ وخطيبَ «المسجدِ الحرام»، نعم! إمامًا وخطيبًا في بُقعةٍ طاهرة مُقدَّسة، تأوي إليها

---

(١) تناولت ما حدث لشيخه رشيد رضا من ابتلاء، في كتابي: «قصة طبع المغني والشرح الكبير»؛ فأغني عن تكراره هنا.

(٢) انظر: «نثر الدُّرر» (ص ٥٨٠)، وعنه: «الجواهر الحِسان» (٢/ ٣٦٢).

أفئدةُ المؤمنين، فيأتي إليه أعداؤه ـ مُرغمين ـ يستمعون لخطبته، ويصلون خلفه، ويُنصتون لتلاوته، ولا يستطيعُ أحدُهم الاعتراض بكلمةٍ، وذلك وعدُ الله الحقّ لـ «أهل التوحيد». قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يونس].

يقول أبو السمح رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُبْتهِجًا بالنَّصرِ، الذي مَنَّ اللهُ به عليه:

(الحمد الذي الذي صدق وعده؛ حيث قال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج]. وحيث قال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [غافر]. وحيثُ قال: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم]. ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص]...)[1] اهـ

[مُجْمل ما اتُّهم به الشيخ أبو السمح]:

من خلال قراءاتي لسيرة هذا العالم والداعية السَّلفي المظلوم من قومه؛ وجدتُ أنَّ الناس رموه بعدة تُهمٍ، صحَّ لي منها واحدةٌ، دون بقيتِها.

---

(١) «الرسالة المكية» (ص ٥).

ويمكن معرفتها من خلال الاطلاع على ترجمته الواردة في هذا الكتاب، ومن خلال القِراءة فيما حصل له من أزماتٍ مع مُناوئيه، ومنه ما تقدّم في هذا المبحث[١]، وكان قد حكى بعضها في إحدى قصائده.

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ في «القصيدة الرملية» على لسان مناوئيه:

نقُولُ عليه: يُنكِرُ «الذِّكر» مرَّة ... ويُنْكِر حينًا مَن بِهم نَتقرَّبُ
ويُنْكِر أحْيانا «شفاعاتِ» أَحْمد ... لدَى اللهِ في قَوْمٍ أَساءُوا وأذْنَبوا
ويَطْعنُ فِيما جاءَنا مِن «مَذَاهِب» ... وليس له في الدِّين شيخٌ ومَذْهبُ
كذاك «طَلاقٌ» بالثَّلاث يَرُدّه ... فيَخْرِقُ «إجماعًا» ولا يتهيَّبُ
فقُوموا جميعًا نَمْلأُ «الصُّحفَ» نَعْرَةً ... ونَرفعُ صَوْتًا في النَّوادي ونخْطِبُ
ونرْفَعُ شَكْوانا بِكُلِّ عظيمةٍ ... لعلَّ عظيمًا مِن «أُولي الأمرِ» يَغْضَبُ
ونَشْكوه للأَشْياخِ في كُلِّ مَعْهد ... ونَرْميه بالكُفْر الصُّراحِ ونكْذِبُ
فإنِ لم يُفِدْ هذا شَكَوْناه للقَضَا ... وجِئْنا بِبُهْتَانٍ عَسَى نَتَغَلَّبُ

---

(١) وقد نصَّ عليها مجموعة في موضعٍ واحدٍ:

١. أبو السمح نفسه في «القصيدة الرملية»، وقد مضت في المبحث الثالث عشر ـ (ص)، وسأسوق بعض أبياتها.

٢. أبو السمح في «الرسالة المكية» (ص ٤).

٣. العلامة د. تقي الدين الهلالي في: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٠).

نقولُ رمى «الأعلامَ» من فوقِ منبر ودنَّس (رمزًا) للشريعة يُنسبُ
تَعدَّى عَلَى الدِّينِ الحَنِيفِ وأهلِهِ ومازَالَ في طعْنِ الأئمَّةِ يَدْأَبُ

ومجمل هذه التُّهم:

١. دعوته إلى «الوهابية».

«الوهابية» وصفٌ يُطلق على كل مَن تبع مذهب «الحنابلة» في «الاعتقاد»، وهي نِسبةٌ إلى دعوة الإمام المُجدِّد: محمد بن عبدالوهاب، التميمي، النجدي رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٢٠٦هـ).

و «الوهابية» ـ بعيدٌ عن كل زيفٍ ـ هي عقيدة «أهل السُّنة والجماعة»، وهي عينُها «اعتقاد السَّلف»، ولك أنْ تقول: «عقيدة أهل الحديث»، أو «عقيدة أهل الأثر»... كلُّها أسماء لشيءٍ واحدٍ، وهي العقيدة الصحيحة، وأركانُها الأصيلة: «الكتاب»، و «السُّنة»، وفهمها على فهم الصحابة رضي الله عنهم، وتابعيهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ، ومن تبعهم من السَّلف الصالح.

ولكن أصبحت «الوهابية» اليوم شتيمةٌ، وتهمةٌ يَقذِفُ بها المبتدِعةُ مخالفيهم، وأكثرُ مَن يستعملها اليوم هم غُلاة الصوفية «القُبورية»، وغُلاة المُؤولة، وهدفهم من ذلك تنفير الناس عن اتباع هذه الدعوة المباركة[١].

---

(١) انظر: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٠).

ومن نَظر في المسيرة العِلمية والدعوية للشيخ عبدالظاهر أبو السمح، ونَظر في مناوئيه؛ وجد أنَّ إطلاقَ وصف «الوهابي» عليه، أمرٌ غير مستغربٌ.

مع أنَّ تحوّله إلى «معتقد السَّلف»، ودعوته إليه؛ لم يكن من خلال مصنفات «أئمة الدعوة النجدية»، بل كانَ من خلال شيخه العلامة محمد أمين فال الله الشنقيطي، ومن خلال اطلاعه على مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الإمام ابن القيِّم[1] رَحِمَهُمُاللهُ، واتصالُه بعُلماء «نجد» = «الوهابية»، حصل له في وقتٍ مُتأخِّرٍ[2].

٢. قوله: إنَّ «عَصَاي» خيرٌ من النبي ﷺ.

هذه مقولة كُفريةٌ، لا يتصور صُدورها من آحادِ جهلة المسلمين، فكيف بعالمٍ؟! وقد اتُّهم بها أبو السمح ظُلمًا وزورًا، وأصل هذه المقولة يرجع إلى أنَّ اللهَ وحده ﷻ هو النافع الضار، والأولياء والصالحون الأحياء لا ينفعون ولا يضرون، إلا بإذن الله ﷻ، أما الأموات منهم فلا ينفعون ولا يضرون مطلقًا.

---

(١) انظر المبحثين الثاني، والثالث (ص ،).

(٢) انظر المبحث السادس (ص).

فمن اعتقد في أحدٍ حيٍّ النفع والضر ـ من دون الله، فقد أشرك بالله، شركًا أصغر مُخرجًا من المِلة، هذا في الحي الذي له قُدرةٌ واستطاعةٌ (نسبية)، وفي الميت من باب أولى.

فخرَّج مناوئو «الدعوة السلفية» على ذلك: أنَّ السلفيين يقولون إنَّ النبي ﷺ لا ينفع ولا يضر، وعليه فـ «العصا» التي نتوكأ عليه، ونستعين بها تنفع، وجناب المصطفى ﷺ لا ينفع ولا يضر، «العصا» تنفع في الدينا والنبي ﷺ لا ينفع، فلا يشفي مريضًا من مرضه، ولا يُغني فقيرًا من فقره، ولا ينقذ عانيًا من سجنه، ولا يغيث من استغاث به[1]!

وهذا تخريجٌ جائر، المراد منه اتهام «السلفيين» بالطعن في النبي ﷺ، لتنفير العامة منهم.

ومن يقرأ في كتب أصحاب «الدعوة السلفية»؛ يجدهم يُؤصِّلون ـ في أبواب الاعتقاد ـ مسائل النفع والضر للأموات من «الكتاب» و «السُّنة» و «المعقول»، وينتقون كلامَهم بهدي «الوحيين»، ولا يقولون ـ البتة ـ أيَّ عبارةٍ فيها ازدراء بجنابِ النبي الكريم ﷺ.

---

(١) انظر: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٠).

وسيأتي ـ بعد قليلٍ ـ استعاذته بالله من اتِّهامه بقول: إنَّ «عصاي» أفضلُ من الرسول ﷺ، وسيأتي ـ أيضًا ـ كلامُه عليها في المبحث القادم[١].

٣. إهانته لـ «المقدسات الإسلامية».

الكلامُ على هذه التُّهمة، يَستلزمُ جرَّ قصةٍ طويلةٍ بأحداثِها، وستأتي القصة ـ بكُلِّ فصولِها ـ في موضعٍ يخصُّها، وخلاصتُها: أنَّ الشيخ أبو السَّمح عمدًا إلى براقين ـ عَلَمَيْن ـ وُضِعا بين «منبر الجمعة»، وعُظِّمتْ واعتُقِد فيها؛ فقال: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنبياء][٢]، وألقاهما على الأرض، ولفَّقوا عليه أنَّه داسهما بقدميه، وقد كان مكتوبٌ عليهما «لا إله إلا الله»!

فاتَّهموا بإهانة «المُقدَّسات الإسلامية»، وكفَّروه، ورفعوا أمرَه إلى القضاء ليَحكم عليه بـ «الرِّدة»؛ فبرأه القضاءُ من تُهمة «الكُفرِ»، وحُكِم بأنَّه أَتلفَ ما يَعتقدُ فسادَه، وما يَعتقِدُ بأنَّه دخيلٌ على الدين، ونصرَه اللهُ ﷻ عليهم[٣].

---

(١) انظر المبحث التاسع عشر (ص).

(٢) انظر: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٠).

(٣) عقدتُ المبحثَ التاسع عشر (ص)؛ لبيان هذه القصة بكاملِ فصولِها.

وسيأتي ـ بعد قليلٍ ـ استعاذته بالله من اتِّهامِه بإهانةِ الدِّينِ ومُقدَّساتِه، وسيأتي ـ أيضًا ـ كلامُه عليها في المبحث القادم[١].

٤. ارتداده عن «المِلَّة».

هذه التهمة متفرعةٌ عن التهمة السابقة؛ حيث حكموا عليه بـ «الردة»، لقيامه بما هو مُنكرٌ في الدِّين ـ زعموا ـ، وطالبوا بمحاكمته، وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث القادم.

٥. إنكاره «الوسيلة» و «الشفاعة».

«الوسيلةُ» ثابتةٌ بنص «الكتاب» و «السنة»، ولكن لها معنىً وشروطٌ، ويجوزُ التقرب إلى الله ﷻ بوسيلةٍ مشروعة، وبغيرِها يكون التقربُ إليه بدعةً، وقد يكون كُفرًا أكبر مخرجًا مِن «المِلَّة».

وكذا «الشفاعةُ» ثابتة بـ «الكتاب» و «السُّنة»، ولكن لها شروطها... والتفصيل في هذا الباب، ليس موضعه هنا.

والمناوئون للشيخ أبو السمح، ادعوا عليه أنَّه ينكر «الوسيلة» و «الشفاعة» مُطلقًا، وهذا كَذِبٌ عليه، ولا يقولُ به مسلم، لأنَّ ذلك إنكار للنصوص الشرعية الصحيحة الصريحة[٢].

---

(١) انظر المبحث التاسع عشر (ص).

(٢) انظر الكلام على شُبه المُخرفين في «الوسيلة» و «الشفاعة»، واتِّهام «السَّلفيين» ⇦

وسيأتي قول أبو السمح ـ في رميهم له بهذه التهمة، وإنكاره لها ـ في التهمة الآتية.

٦. إنكاره الصلاة على النبي ﷺ.

وهذه التهمة من أغرب التهم التي يُمكن أنْ يُتَّهم بها مسلم، فلا نطيل في طرحها وردها.

يقول الشيخ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وافتروا عليَّ أني: أنكر الوسيلة والشفاعة، والصلاة والسلام على خير الأنام، وغير ذلك مما تقشعر منه الجلود، وتقف عند سماعه الشعور)[1] اهـ

٧. دعوتُه الناسَ إلى «مذهبٍ» خامسٍ، وسب أئمة «المذاهب».

من التُّهم التي يرميها مناوئو السلفيين على مخالفيهم، أنَّهم يدعون إلى مذهبٍ جديدٍ، أو مذهبٍ خامسٍ، والمراد بذلك دعوتهم إلى «الاتباع» ونبذ «التقليد»، وطلبِ «الدليل» من «الكتاب» و «السنة»؛ وما ذاك إلى لأنهم أتوا بما يخالف ما عليه الناس ومشايخهم.

وهذه تهمةُ زورٍ، تُكرَّر بين حينٍ وآخر، وممن رُمِيَ بها الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ ت (١٢٠٦هـ).

= بإنكارها (مُطلقًا)، والرد عليهم، في: «دعاوى المناوئين» (ص ٢٤١، و ٢٧٨).

(١) «الرسالة المكية» (ص ٢).

ومما قالوه في حقِّ أبو السمح: إنَّه يسب أئمة المذاهب، ولا يؤمن بـ «المذاهب الأربعة»[١]، وتقدّم أنَّه معظمٌ لهم، ويَرى أنَّ أَتْبَاع «المذاهب الأربعة» على حقٍّ، وعتب على بعض مُعاصريه من «أهل الحديث» كلامهم في «المذاهب الأربعة»، لكنَّه بعد اطلاعه على «المُحلَّى» لابن حزم، أصبح يقتفي «الدليل»، دون التقييد بمذهبٍ معين، بعد أنْ كان شافعيًا[٢]، وهذا ما كان يؤلب الناس عليهم!

يقول الشيخ أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ:

(إلَّا أنْ ادَّعَوْا عليَّ في «النيابة»، أني أُهين الدِّين، وأَسبُّ أئمة «المذاهب»، وأقول: «عصاي» أفضلُ من الرسول ﷺ، عِياذًا بالله من ذلك كُلِّه)[٣] اهـ

قلتُ: سبق نقلُ كلامٍ طويلٍ للشيخ أبو السمح، يظهرُ فيه تعظيمُه لأئمة «المذاهب الأربعة»، وإقرارُه لاتِّباعِهم، ودِفاعُه عن مُقلِّديهم، وردُّه على بعضِ غُلاة مدرسة «أهل الحديث»، في نقدِهم لـ «التمذهب»[٤].

٨. تفريقه بين أبناء الأسرة الواحدة.

---

(١) انظر: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٠).

(٢) انظر ما ورد في المبحث الثالث (ص ،).

(٣) «الرسالة المكية» (ص ٤).

(٤) انظر ما جاء في المبحثين: الحادي عشر، والخامس عشر (ص ،).

هذه تهمةٌ متفرعةٌ من كون العالم السَّلفي يُبيِّنُ للناس أنَّ عِبادة القبور والأضرحة، والاعتقاد في الأولياء والصالحين، فيما هو من خصائص الرَّبِّ ﷻ، كفرٌ أكبرٌ مُخرجٌ من المِلَّة، بل لهذا النوع من الكفر صورٌ، هي أشدُّ من صور مُشركي العرب؛ إذ لم يكونوا يُشْرِكون في الربوبية!

وكان الناسُ يهتدون على أيدي السَّلفيين؛ لما معهم من هَدْي «الكتاب» و «السُّنة»، ويتركون البدع المُكفِّرة، ويبقى غيرُهم على ضلال مشايخهم ـ مشايخ الضلال ـ؛ فقال القبوريون ـ تغريرًا بالناس ـ إنَّ السَّلفيين يُفرِّقون ـ بدعوتهم ـ بين المرء وأخيه[1]، وهذا عينُ ما كان يقوله مُشْرِكوا «قُريشٍ» على دعوة النبي ﷺ.

[أسبابُ ودوافع هذه التُّهم]:

حين نسبرُ هذه التُّهم، وحالَ أصحابِها ـ مناوئو «دعوة التوحيد» ـ؛ نجدُ أنَّ لهم أسبابًا ودوافِع، كانت وراء اتِّهام «أهل التوحيد» بما ليس فيهم.

فمن أسباب ودوافع ذلك:

١. أنَّ أصحاب الباطل، لم يستطيعوا مقابلة أصحاب الحقِّ بالحجة والبيان؛ فراحوا يكيلون لهم التُّهم والافتراء والكذب... وهذه حجة الضعيف.

---

(١) انظر: «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ١٠).

٢. حماية المكاسب المالية والمعنوية التي يجنونها من عوام الناس، ومعلومٌ ما يجنيه أشياخ «القُبورية» من «خزائن» الأضرِحة!

٣. تنفير الناس من دعاة الحق؛ فلا يسمعوا لهم.

٤. تحريض عوام الناس على إيذاء دُعاة الحق.

وقد تحدَّث الشيخ أبو سمح عن آخر دافعين؛ فقال رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بعد بيان ما اتَّهموه به كذِبًا وزروًا ـ:

(كانَ أسلافُهم الضَّالون، قد افتروه على بعص العُلماء العامِلين، والأئمة المُجدِّدين، بل هذه سيرةُ أعداءِ الحقِّ، حتى في زمنِ الأنبياء والمرسلين [عَلَيْهِمُ السَّلَامُ].

وإنَّما فعلوا ذلك؛ ليُنفِّروا الناسَ من سِماع دروسي وخُطَبي، ويُحرِّضُوهم على إيذائي، والصَّدِّ عنِّي، ولم يتركوا بابًا في ذلك إلا وَلَجوه، ولا سبيلاً إلَّا سلَكوه.

وكانوا كلما اشتدُّوا في إيذائي؛ وتعاونوا على عِدائي؛ أَمدَّني اللهُ بالصبرِ الجميلِ، وثبَّتني على الدعوة إليه)[1] اهـ

٥. قوة نشاط الشيخ، واشتهار دعوته، واستجابة الناس له، وكثرة أتباعه في مدة وجيزة؛ فأثار ذلك حسد وحِقد القوم.

---

(١) «الرسالة المكية» (ص ٣).

يقول الشيخ فتحي أمين عثمان:

(بدأ الشيخ أبو السمح دعوتَه إلى توحيد الله ﷻ في «الإسكندرية»، وقد استجابَ له كثيرٌ ممن أكرمهم اللهُ بـ «الهداية»، والانتفاع بدعوتِه، حتى كَوَّن جماعةً قويةً تُناصِره، وتؤيد «دعوة الحقِّ»، مما حرَّك «الصُّوفيةَ»؛ فألبوا عليه، وأغروا به أتباع كل ناعقٍ، فآذوه أَشدَّ الأَذى، فكانت معارك وقضايا في «المحاكم»، خَرج منها الشيخُ ـ بفضلِ الله ـ مُؤيَّدًا مَنْصورًا، بما أُوتي من الصِّدق والصبر، وبما حباهُ اللهُ من حُسنِ الخُلُق، وطهارة القلب، وقوة اليقين)[1] اهـ

* * * *

(١) «من أعلام الدعوة»؛ مجلة التوحيد؛ السنة (٢٤)؛ العدد (٩)؛ سنة (١٤١٦هـ)؛ (ص ٤٦).

المَبْحَثُ التَّاسِعُ عَشَر

[ذِكْرُ وَقَائِعِ مُحَاكَمَتِهِ بِحِكَايَتِهِ، وَرِوَايَةِ رَشِيدِ رِضَا]

وصلتْ إلينا قصةٌ العلامة عبد الظاهر أبو السمح مع مناوئيه، بإسنادٍ ذهبيٍّ، عالٍ جدًا، حيث قصَّها ورواها بأدقِّ تفاصيلها، مع إيراد أرقام وتواريخ وثائقها، علامتان ثقتان، وراويان عدلان؛ هما:

١. **شيخه**: محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ؛ وقد تحدَّث عنها في مجلته «المنار»[(١)]، وسأورد نصَّ مقالِه فيما يتعلَّق بشأن المحاكمة.

٢. **صديقه**: د. محمد تقي الدين الهلالي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ وقد تحدَّث عنها في مقدمة «رحلته» الدعوية[(٢)]، وقد نقلتُ منه ـ في المبحث السابق ـ ما ورد في الابتلاءات، وسأضع نصَّ كلامِه ـ على طوله ـ تامًّا في مُلحقٍ آخر الكتاب.

زيادة على ذلك؛ فإنَّ أبو السمح نفسَه، قد تحدَّث عنها في أحدِ كُتبِه، وتناول ما جرى من وقائع التقاضي في «المحكمة» بالتفصيل[(٣)].

ويمكن أنْ نُقسِّم مجريات هذه الواقعة، إلى قسمين:

القسم الأول: ما جرى له قبل المُحاكمة؛ ويتضمَّن قصتَه مع مناوئيه في «الجامع»، وإنكاره للمنكر، وإزالته للبدع المُحدثة، واجتماع لجنة من «مشيخة الإسكندرية»، للتحقيق في الواقعة.

---

(١) مجلة «المنار»، عدد (جُمادى الآخرة)، لسنة (١٣٤٤هـ)، المجلد (٢٦) الصفحة (٥٥٣).

(٢) «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص ٧).

(٣) «الرسالة المكية» (ص ٤٢).

وسبق الحديث عن هذه الوقائع في المبحث السابق.

القسم الثاني: ما جرى له في أثناء التقاضي؛ ويتضمّن المرافعة لدى المحكمة، والتقاضي فيها، والنطق بالحكم، وطلب استئنافه، والحكم القطعي فيه.

وهذا مجال حديثنا في هذا المبحث.

[منهج ذكر وتوثيق وقائع المحاكمة]:

١ ـ سوف أسوق مُلخَّصًا للقصة ـ أولاً ـ بحكاية عبد الظاهر نفسِه.

٢ ـ ثم أتبع ذلك برواية شيخه رشيد رضا.

٣ ـ وبعد ذلك أذكرُ نصَّ حُكم «المحكمة الجزئية»، بأرقامه، وتواريخه.

٤ ـ ويليه حُكم «محكمة الاستئناف».

٥ ـ اعتمدتُ ـ في المحاكمة ـ النَّصَّ الذي ذكره عبد الظاهر، بعد مقابلتِه بالنصِّ الذي ذكره شيخُه رشيد.

[أولاً: حكاية العلامة عبد الظاهر]:

يقول العلامة عبد الظاهر أبو السمح رَحِمَهُ اللَّهُ:

(وبعد هذه الحادثة[١] بأيَّامٍ نشر هذه «الرسالة»[١] الضَّالة السفيهة، رجلٌ أعمى اللهُ بصرَه، وبصيرته، في صحيفته السوداء، التي كان يصدرها

---

(١) حادثة «رمل الإسكندرية» التي تحدَّثنا عنها في المبحث السابق، عند الابتلاء ⇦

باسم «الإسعاد»، في «المحمودية»، وافترى عليَّ أنِّي قمتُ بين الجمهور، وقلتُ: إنَّ ما قرَّره مُؤلِّف «الرِّسالة» هو الحقُّ.

وكذبَ واللهِ؛ بل بقيتُ في «الرَّمل» على حالي، مُجدًّا في تقرير «التوحيد»، فلا يُدعَى إلا الله، ولا يُتوسل إلى الله إلا بما شرع، لا بالأموات.

إلا أنْ ادَّعَوْا عليَّ في «النيابة»، أني أهين الدِّين، وأسبّ أئمة المذاهب، وأقول: عصاي أفضل من الرسول ﷺ، عياذًا بالله من ذلك كُلِّه! وأني ألقيتُ «البراقين»، العَلمين الذَيْن يُزين بهما «المنبر» يوم الجمعة، ويختبئ وراءهما الخطيب، حياءً من هذا الموقف، الذي ليس له أهلاً، من فوق «المنبر»، وفيهما «لا إله إلا الله»[٢]، وأني وطئتهما بقدمي و.. و.. حتى

=

الرابع (ص).

(١) يقصد: «الرسالة الرمليّة في فصل الخلاف بين أهلي الرمل ودعاة الوهابية»؛ تأليف: محمد تاج الدين؛ المُدرِّس بـ «مشيخة علماء الإسكندرية»؛ طبعتها: «مطبعة النصر الوطنية».

(٢) وهو من البدع المُحدثة، التي أحدثها المُخرِّفون، الذين لهم وَلَعٌ بالإحداث في الدِّين.

وهؤلاء يسقط مذهبُهم ـ كُلُّه ـ بآيةٍ واحدةٍ، وحديثٍ واحدٍ.

أمَّا الآية؛ فهي قول الله ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ ⇦

صوَّرني لـ «النيابة» بصورة بشعةٍ، هم أحقُّ بها وأهلُها، وطُلِبتُ عدَّة مراتٍ أمام «المحكمة».

وأخيرًا؛ حُكِم ببراءتي مما نُسِب إليَّ، فكان النَّصرُ مُبينًا، والظَّفرُ عظيمًا، والفرحُ عميمًا، وعاد أخواني «المُوحِّدون» فرحين مسرورين، حامدين شاكرين لرب العالمين، وعادَ أهلُ الباطل خاسئين، وخرجوا من «المحكمة» مذمومين مدحورين.

ثم استأنفوا الحكم؛ فأيَّده الله في «محكمة الاستئناف» بالبراءة، وكانوا من الخاسرين)[1] اهـ

= لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

والحديث هو قول النبي ﷺ: ((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا، مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ**)).

أخرجه: أحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٢٦٣٢٩)، والبخاري في: «الصحيح»؛ برقم: (٢٦٩٧)، ومسلمٌ في: «الصحيح»؛ برقم: (١٧١٨)، وابن ماجه في: «السُّنن»؛ برقم: (١٤)، وأبو داود في: «السُّنن»؛ برقم: (٤٦٠٦)، وعند البخاري وأبي داود: ((**فِيهِ**)).

وفي رواية: ((**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً، لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا؛ فَأَمْرُهُ رَدٌّ**)).

أخرجه: أحمد في: «المُسند»؛ برقم: (٢٥٤٧٢)، ومسلمٌ في: «الصحيح»؛ برقم: (١٧١٨).

(١) «الرسالة المكية» (ص ٤).

[ثانيًا: رواية العلامة رشيد رضا]:

قبل رواية العلامة: رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ، لمجريات القضاء، مهَّد للواقعة بمقدمة لا غنى عنها، عن إطلاق «الحرِّيات الدينة»، فقال:

([القَضَايَا الدِّينِيَّةُ فِي المَحَاكِمِ، وَنَتَائِجِ الحُرِّيَّةِ][1]):

إنَّ ما أُحدثَ في «مصر» منذ عهد إسماعيل باشا، من «الحرية» في الاعتقاد، والقول، والعمل، قد كان سببًا لمفاسدَ كثيرةٍ، ومصالح قليلة، استباح الكثيرون به الفسقَ، والفجور، وراجتْ أسواقُ «البدع»، وتجرأ المنافقون على إظهار الكفرِ، والطَّعن في الدِّين[2]، وجَبُنَ عُلماءُ الدِّين، وقبعوا في كسور بيوتهم، وزوايا مدارسِهم، ومساجدهم، فلم يَبرزوا للإنكار على الفاسِقين، ولا لِنضالِ المُرتدِّين؛ لأنَّ «الحرية»، ومخازيها، جاءتْ من قِبل الأُمراء والحُكَّام.

وقد كانَ أوَّلُ صوتٍ سُمِعَ في الإنكارِ، على مفاسد «الحرية»، التي يجب أنْ تُتَّقى، وفي بيانِ منافِعها التي يجب أنْ تُجتنى، شيخَنا الأستاذ الإمام، الشيخ محمد عبده، في إثر توليته «إدارة المطبوعات»، ورئاسة تحرير جريدة «الحكومة» الرسمية: «الوقائع المصرية»، إذ دخلتِ البلادَ في عصرٍ جديدٍ

---

(١) هذا العنوان والآتي بعده، من صنع رشيد نفسِه.

(٢) هذه بعضُ آثار «الحرية»، التي يُنادَى بها حتى اليوم.

منَ الإصلاح، في أول عهدِ إمارة توفيق باشا[١]، بتولِّي رجل «مصر» الأكبر مصطفى باشا رياض[٢] للوزارة.

كان الأستاذُ الإمام، وإخوانه، ومريدوه، خُطباء مِنبره، وفرسان حَلبته، حتَّى إذا قضت «الثورة العُرابية»[٣]، على ذلك العهد المسعود، وانتهت بـ «الاحتلال البريطاني» المنحوس[٤]، وصلت حرية الفساد والشر إلى آخر حدود الإسراف، ولم تكن حرية الصلاح والإصلاح محظورة، ولكن

---

(١) محمد توفيق باشا، ابن الخديوي إسماعيل ت (١٣٠٩هـ)، من الأسرة «الخديوية»، الحاكمة في «مصر»، ومحمد علي باشا هو جدُّ والده، وفي عهده أنشأ «نظام الشورى»، و «المحاكم الأهلية»، وفي عهده تكاثرت الأحداث، ومنها «الثورة العُرابية»، فصبر لها.

انظر ترجمته في «الأعلام» (٦/ ٦٥).

(٢) مصطفى رياض باشا ابن إسماعيل الوزان ت (١٣٢٩هـ)، تولَّى «رئاسة الوزراء» عدة مرات، واشتهر بمناصرته لـ «الصَّحافة».

انظر ترجمته في: «الأعلام» (٧/ ٢٣٣).

(٣) نسبة للزعيم: أحمد عُرابي باشا بن محمد عُرابي ت (١٣٢٩هـ)، أتمَّ حفظ «القرآن» في صغره، ووصل إلى مناصب عُليا في الدولة، وثورته من أشهر الثورات العربية الحديثة.

انظر ترجمته في: «الأعلام» (١/ ١٦٨).

(٤) كان ذلك سنة: (١٢٩٩هـ).

الاستبداد السابق، والفساد اللاحق، أضعفا الاستعداد، وقَلَّلا أهل الرشاد، والإرشاد، حتى إذا ما انتهت مدة نفي الأستاذ الإمام، وعاد إلى «مصر»، طفق يطرق أبواب الإصلاح في جميع المصالح الرسمية وغير الرسمية، فلم يجد على شيء منها أعوانًا، حتى قال لي: إنَّ هذه «الحرية المُطلقة» للأمة ـ دون «الحكومة» ـ في القول، والعمل الشخصي ـ، والاجتماعي، كانت كافية لإصلاح البلاد، والنهوض بها إلى ذروة الفلاح، والاستقلال، لولا فساد الأخلاق، الذي بذرت بذوره في عهد إسماعيل باشا.

ولما شرعنا في الإصلاح الديني، والاجتماعي، بإنشاء «المنار»[1]، وجدنا من كثيرٍ من العُلماء الجامدين وشيوخ الطريق، الخُرافِّيين ، مقاومةً عنيفةً ، ودسائس كثيرةً، ومن أمير البلاد، وأحزابِه، تحريضًا شديدًا ، سببه تنويه «المنار» بالأستاذ الإمام، وثناؤه عليه ودفاعه عنه.

ولكن لم تستطع تلك الدسائس، والتحريضات، أنْ تُسكت «المنار»، ولا أنْ تَقطع عليه طريق الإصلاح؛ فانتشرت «الدَّعوة» حتَّى في «الأزهر»، بالرغم من عصبيةِ العُلماء الجامدين، أعداءِ أنفسِهم، وأعداء «الكتاب» و «السُّنة»، الذين يَعذرون أنفسَهم بالمحافظة على «فقه الأئمة»، وهم لم يستطيعوا بهذا «الفقه»، الذي لا يعرفون منه إلا أماني، من كتب المتأخرين،

(١) كان ذلك سنة: (١٣١٥هـ).

والمقلدين، أنْ يَدفعوا عن «الإسلام» شبهةً، ولا أنْ يميتوا به بدعةً، ولا أنْ يحيوا به «سُنَّةً»، ولا أنْ يحيوه هو أيضًا، فهو يموت بين أيدِيهم، وأيدي حكامِهم، فيدفنونه ويهيلون عليه تُرابَ «القوانين»، وآخرها «قانون الأحكام الشخصية»، الذي ساعد «الحكومةَ» عليه بعضُهم، وسكتَ الباقون، بل لم يمنعْهم من نَصرِ البِدع، والطعن في دين المُنكرين على أهلِها، ونبزهم بالألقاب، ثم السَّعي لحكم الحاكم عليهم، إمَّا بالعقاب، وإمَّا بالكفر، وما يترتب على «الرِّدة» من الأحكام، كالتفريق بين المرء وزوجه.

وقد رُفِعت عدةُ قضايا لـ «المحاكم الشرعية»، و «الأهلية»، في قضايا تتعلَّق بـ «الرِّدة» عن «الإسلام»، وبمخالفة تعاليمه، وإهانة شعائره، بعضُها حقٌّ وبعضُها باطلٌ[1].

أهمها: قضيةُ رجلٍ انتحلَ دين «البابية البهائية»، وزعم أنَّه لا ينافي «الإسلام»؛ فحكمتِ «المحاكم الشرعية» ابتداءً، واستئنافًا، بردَّته، والتفريق بينه وبين امرأته.

وحكمُها هذا حقٌّ، ووددنا لو اطلعنا على صورتِه، وأسبابه؛ لننشرها في «المنار».

---

(١) باطلٌ وحقٌّ... وصفٌ للقضايا المرفوعة لـ «المحاكم»، وسيأتي بثلاثة أمثلة لهذه القضايا.

وقد ذكرنا ـ من قَبْلُ ـ حُكم «محكمة دمنهور الشرعية»، بردَّة الشيخ محمد أبي زيد[١]، بالباطل، وتبرئة «محكمة الاستئناف» له بالحقِّ[١].

---

(١) محمد أبو زيد، الدمنهوري، الأزهري (كان حيًّا ١٣٥٠هـ)، درَس في «الأزهر»، وفي «دار الدعوة والإرشاد»، لرشيد رضا، وهو من روَّاد «التفسير الإلحادي»، وألَّف فيه: «الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرن»، وهي حواشٍ فاسدةٍ، على هامش «المُصحف»، طعن فيها على جمهور المفسرين، وألْحَدَ في تفسير آيات «القرآن»، ولاسيما ما له تعلّقٌ بالمعجزات، والغيبيَّات، وإنكار بعض الأحكام القطعية، وطُبع في «مطبعة الحاج مصطفى البابي الحلبي»، بـ «القاهرة».

وما إنْ صَدرَ تفسيرُه، حتى انتفض عليه العُلماء، وعلى رأسهم «الأزهر»، وحكموا عليه وعلى تفسيره، بالإلحاد في الدين، وتم مصادرة الكتاب في حينه، وكذلك التي بقيت في مُستودعات المطبعة، والأُخرى التي كانت في «إدارة البريد»، و «سكة الحديد»، تمهيدًا لإرسالها، وتمّ ـ ولله الحمد ـ السيطرة على جُلِّ النُّسخ، وإتلافها.

وقد أَخفى الله ذكر هذا الرجل، وسيرته، وتفسيره، فلم تذكره أشهر كتب الأعلام والكتب؛ كـ: «معجم المطبوعات» لسركيس، و «الأعلام» للزركلي، و «معجم المؤلفين» لكحالة، وغيرها، رغم أنَّه على شرطهم، لكن أراد الله طمس أثره، فلا يَعرفه، ولا يَعرف كتابه، ولم يرَه، إلا من تكلَّف ـ جدًّا ـ البحث عنه.

لذا؛ تكاد لا تجد له ترجمةً، إلا من خلال ما نُشر له، أو عنه، في الصُّحف، والمجلات، التي عاصرت قضيته؛ ومنها حوارٌ معه في صحيفة «الأهرام»، بتاريخ: (٢٦/ ١٢/ ١٣٤٩هـ).

⇦

[قَضِيَّةُ الشَّيْخِ أَبُو السَّمْحِ]:

ومنها: قضية بعض أنصار البدع والخرافات، على الشيخ عبد الظاهر محمد أبي السَّمح، أحدِ دعاة السُّنة، وأعداء البدع، فإنَّهم بعد ضُروبٍ من

=

وقليلٌ من المعاصرين مَن تعرَّض له؛ منهم: الذهبي في «التفسير والمفسرون» (٢/ ٥٣٢)، والرُّومي في: «اتجاهات التفسير» (٣/ ١٠٧٦)... نعوذ بالله من الضلال.

(١) لا يُشْكِل دفاعُ رشيد رضا عن هذا النَّكرة، رغم الإجماع على نبذه؛ فقد كان من طلابه في «دار الدعوة والإرشاد»، وكان يُلقي كلماتٍ طلابية بين يديه، رأيتُها في مجلة «المنار»، ورأيتُ له فيها خطبًا ومقالاتً.

ثم رأيتُ لرشيد مقالاتٍ في «منارِه»، يتبرأُ منه، بعد خروج تفسيره المشؤم؛ يقول في أحدِها:

(... وليعلم القُرَّاء؛ أنَّ هذا «المُلحد» هو: محمد أبو زيد، الذي كان دخل مدرستنا «دار الدعوة والإرشاد»، وكنتُ كتمتُ اسمَه، حياءً من خِزيه وعارِه، ولكن قال لي الأستاذ الأكبر شيخ «الأزهر»: وماذا عليك من ذلك؛ وقد ارتدَّ أحدُ المسلمين الأولين، ممن كتبوا الوحي عن الإسلام، فلم يضر ارتدادُه الإسلامَ، ولم يُشوه المسلمين).

مجلة «المنار»، عدد (المُحرَّم)، لسنة (١٣٥٠هـ)، المجلد (٣١) الصفحة (٧٥٣).

ثم إنَّ حكمَ «محكمة الاستئناف» بنقض الحكم بردَّته؛ جاء بعد أنْ أعلن أبو زيد التوبة، والإنابة، والله أعلم، وهو يتولاه.

التُّهم، والإيذاء له، ونبزه بلقبِ «الوهَّابي»، أي: المُتَّبع لـ «السَّلف»، حملوا «النيابة العمومية» على مقاضاتِه، على ما اتهموه به.

فرُفِعت عليه قضية في «محكمة العطَّارين» بـ «الإسكندرية»؛ فحكمت ببراءته، ولدى استئناف الحكم، حكمت «محكمة الاستئناف» بتأييده، وهذا نصُّ حيثياته...)[1] اهـ

[ثالثًا: نص حكم «المحكمة الجزئية»]:

(بسم صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول ملك مصر.

أصدرت «محكمة العطارين» الجزئية الأهلية، بجلستها العلنية المنعقدة تحت رئاسة حضرة: محمد صدقي خليل بك، وبحضور حضرة: نصر الدين زغلول أفندي وكيل النيابة، ومحمد فهمي علواني أفندي الكاتب ـ الحكم الآتي بيانه:

في قضية «النيابة العمومية»، نمرة (١١)، سنة (٩٢٤م)، ضد عبدالظاهر محمد أبي السمح، سن (٣٨) سنة، إمام «مسجد الظاهرية»[2].

---

(١) مجلة «المنار»، عدد (جُمادى الآخرة)، لسنة (١٣٤٤هـ)، المجلد (٢٦) الصفحة (٥٥٣).

(٢) تقدم في المبحث الخامس (ص)، أنَّ اسمه «مسجد أبي هاشم»، وسبب هذه التسمية، ولكن يبدوا أنَّهم أطلقوا عليه «مسجد الظاهرية»؛ لكون جماعة المسجد من السلفيين، لا يتبعون مذهبًا من «المذاهب الأربعة»، ويعملون بموجب ما ⇦

حيثُ إنَّ «النيابة العمومية» اتهمت المذكور بأنَّه في سنة (١٩٢٣م)[١]، وما قبلها بدائرة قسم «الرمل»، دنَّس رموزًا لها حُرمة، بإحدى المساجد، بأنْ صعد المنبر، وأخذَ «البراقين»[٢]، وألقى بهما في الأرض، وبأنَّه أيضًا ـ في الزمان والمكان المذكورين، تعدَّى على «الدين الإسلامي»، وعرَّض بـ «صاحب الشرع»، بأنَّه كانَ يخطبُ في المساجد، والمجتمعات، وينشر تعاليم مهينة لآداب المذهب، ومناقضة لتعليماته المعروفة، وطَلَبَتْ عقابه، بمقتضى المادتين (١٣٨) و (١٣٩) «عقوبات»، والمُتَّهم حضر ـ أمام الجلسة، وأنكر التُّهمة، وأجابَ بما هو مُدوَّن بـ «المحضر».

وحيثُ إنَّ التُّهمة المنسوبة هي إلقاؤه «البراقين» في المسجد، وتعديِّه على «الدِّين الإسلامي»، وحيث إنَّه بالنسبة لإلقائه «براقين» في المسجد، ففضلاً عما هو ثابتٌ من أنَّ هذا العمل حصل من مدة تزيد عن (الأربع) سنوات؛ فإنَّ إلقاءها لا عقاب عليه قانونًا، إلا إذا كان قصد المُتَّهم من إلقائها إهانة الدِّين، وثابتٌ من أقوال المُتَّهم أنَّ قصدَه كان بعيدًا عن هذه الإهانة؛ إذ

=

يرونه ـ باجتهادهم ـ من «الدليل».

(١) يوافق سنة: (١٣٤٢هـ).

(٢) المُراد بـ «البراقين»: العَلَمان اللذان جرتِ العَادة بوضعِهما على جانبي المنبر. [رشيد رضا].

قلتُ: سبق التعليق على إحداثه، عند بيان أبو السَّمح له، قبل قليل.

علَّل إلقاءه لهذين «البراقين» بنفي نسبتها إلى «السَّلف الصالح»، وعليه فيتعيَّن براءته من هذه التُّهمة.

وحيث إنَّه بالنسبة لتعدي المُتَّهم على «الدِّين الإسلامي»، وتعريضه بصاحب الشرع، بنشر تعاليم مهينة، ومناقضة للدِّين، قدَّم المُتَّهم مذكرةً بدفاعِه عنها، تاريخها: (٢٦ يناير سنة ١٩٢٤م)[١].

وحيث إنَّ «المحكمةَ» ترى منَ الاطلاع على هذه المذكرة، ما يُؤخذ منها صراحةً أنَّ المُتَّهم ما كان يَطعن، ولا يقصد التعريض بالدِّين، بل إنَّه كان يُفسِّر «القرآن»، و «الأحاديث»، بما يراه ويعتقده صحيحًا.

وحيثُ إنَّ «المحكمةَ» لا تثقُ بما جاء عن لسان الشهود، مما زادَ عما جاء بهذه المذكرة؛ إذ لو كان لأقوالِ هؤلاء الشهودِ صحةً، لانَفَضَّ مِن حوله مَن يستمعونَ لدروسِه، الذين شهدوا أنَّ المُتَّهم لم يَحصلْ منه طعنٌ في «الدِّين».

وحيث إنَّه لذلك تكون التُّهمةُ المنسوبة إلى المُتَّهم، غيرَ صحيحة، ويتعيَّن براءته منها، عملاً بالمادة (١٧٢ج).

فلهذه الأسباب، وبعد رؤية المادة السَّالفة الذِّكر؛ حكمتِ «المحكمةُ» حضوريًّا، ببراءةِ المُتَّهم، مما أُسندَ إليه، وأعفتُه منَ المصاريف.

---

(١) يوافق: (١٩/ ٦/ ١٣٤٢هـ).

هذا الحكمُ حكمتْ به «المحكمةُ»، بجلستها العلنيَّة، المُنعقدة في يوم (١٢ أُغسطس سنة ١٩٢٤م) و (١١ محرم ١٣٤٣هـ)[١].

[رابعًا: نص حكم «محكمة الاستئناف»]:

وبعدَ أنْ صدرَ هذا الحكمُ بالبراءة؛ استأنفته «النِّيابة» يوم صدوره.

وبجلسة (٦ ديسمبر سنة ١٩٢٤م) و (٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ)، نظرته «محكمة الاستئناف الأهلية»، وأيَّدته تحت رئاسة حضرة: حسن بك زكي محمد القاضي، وبحضور حضرتَيْ: محمد بك حسن عزت، وحليم بك، برسوم القاضيين، وحضور حضرة: حسن أفندي لطفي، وكيل «النِّيابة»، وأحمد زكي أفندي السِّيسي، كاتب «المحكمة».

وهذا نصُّ حيِّثيَّات الحكم:

«المحكمة»: بعد سماع التقرير، الذي تلاه حضرة: محمد بك حسن عزت، وطلبات «النيابة العمومية»، وبعد الاطلاع على الأوراق، والمداولة قانونًا، حيث إنَّ «الاستئنافَ» مُقدَّمٌ في الميعاد القانوني، فهو مقبول شكلاً.

وحيث إنَّ الحكمَ المُستأنف في محله للأسباب الواردة به، والتي تَأخذ بها هذه «المحكمة»؛ فيتعيَّن تأييده.

---

(١) «الرسالة المكية» (ص ٤٢)، ومجلة «المنار»، عدد (جُمادى الآخرة)، لسنة (١٣٤٤هـ)، المجلد (٢٦) الصفحة (٥٥٥).

فلهذه الأسباب، وبعد رؤية المادة (١٧٢ج)؛ حكمتِ «المحكمةُ» حضوريًّا بقبول «الاستئناف» شكلاً، وفي الموضوع برفضِه، وتأييد الحكمِ المستأنف، بلا مصاريف)[١] اهـ

قلتُ: لا أملكُ بعد هذا إلا أنْ أتلو قول الله ﷻ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الأسراء]. وقوله ﷻ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء]. وقوله ﷻ: ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف].

وأختمُ بقولِ الصَّادق المصدوق ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ**»[٢].

* * * *

(١) «الرسالة المكية» (ص ٤٢)، ومجلة «المنار»، عدد (جُمادى الآخرة)، لسنة (١٣٤٤هـ)، المجلد (٢٦) الصفحة (٥٥٦).

(٢) أخرجه مسلمٌ في: «الصحيح»؛ برقم: (١٩٢٠)، والترمذي في: «السُّنن»؛ برقم: (٢٢٢٩)، وغيرهما، عن ثوبان ﷺ، عن النبي ﷺ مرفوعًا.

الخَاتِمَةُ
خُلاَصَةُ البَحْثِ، وَنَتَائِجُهُ

[أولاً: خلاص البحث]

بعد هذه الجولة المباركة في حياة هذا العالم المجاهد الرباني، أضع هنا ملخَّصا لما تم طرحه:

١ ـ العلامة: عبد الظاهر أبو السَّمح رَحِمَهُ اللَّهُ، عالمٌ، فقيهٌ، مُحدِّثٌ، مُفسِّرٌ، قارئ، واعظٌ، على منهج «أهل السُّنة والجماعة».

٢ ـ كان في «الأصول» سلفيًّا على جادة «السَّلف الصَّالح»، وفي «الفروع» كان في أول الطَّلب على مذهب «الشافعية»، وبعد أنْ قرأ في «المُحلَّى» لابن حزم، تأثَّر به، وتحول من الطريقة المذهبية، إلى طريقة «أهل الحديث»، ولكن لم تظهر منه ردة فعلٍ غير مقبولة حول «المذاهب الأربعة»، شأن بعض غلاة «الظاهرية».

٣ ـ تأثر كثيرًا بفكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم، وقرأ في كتبِهما، ونقلَ فكرهما، ولاسيما ما له تعلّقٌ بـ «التوحيد»، و «البدع»، و «المُحدثات».

٤ ـ كان يحمل ـ في مجال «العقيدة» ـ همَّ أُمَّته؛ فلم يكن يرضى بالبِدع والخرافات، وكان يحاربُها، ويدعو الناسَ إلى «الإسلام الصَّافي»، و «العقيدة الصحيحة»، و «التوحيد الخالص».

٥ ـ عانا كثيرًا من هذا الطريق الذي سلكه، فتمَّ الاعتداء عليه، وضرْبَهُ، والافتراء عليه، بل وتكفيره، وطُلِب الحكمُ عليه بـ «الرِّدة»، ولم يثنِه ذلك عن طريقِه، بل واصلَ جهادَه حتَّى وفاتِه.

٦ ـ كان له في «مصرَ» ـ بلده الأول ـ دورٌ عِلمي، وتربوي، بقيت آثاره إلى اليوم.

٧ ـ كانت له بصمةٌ واضحةٌ في «مكة المكرمة»، باقية إلى اليوم، فهو: أوَّل من استخدم مُكبِّرات الصوت في «الحرم»، ومُؤسِّس «دار الحديث الخيرية»، التي استفاد منها آلاف الطُّلاب، وأخرج للأمة، علماء ودعاة.

٨ ـ وقد كان إماما وخطيب في «المسجد الحرام»، في وقتٍ لم يوجد فيه غيره، وكان ذو صوتٍ رخيمٍ مؤثر، يتسابق المُصلَّون على الصَّف الأول لسماع قراءتِه.

٩ ـ شارك في كل الوسائل الدعوية؛ كـ: التعليم، والتوجيه، والإرشاد، والوعظ، والإمامة، والخطابة، والتدريس، والتأليف، والمقالة، والمناظرة، والشِّعر، وتأسيس الجمعيات، ودُور العِلم.

١٠ ـ كان داعيًا إلى «السُّنة»، قويًّا في الحقِّ، لا يهابُ الباطلَ، ورجالَه، ولا تأخذه في دينِ الله، لومة لائم، وحارب البدع، والخرفات، وجاهد أهل الباطل بلسانِه خطيبًا ومناظِرًا، وبقلمه تأليفًا ـ رسائل ومقالات ـ وشِعرًا، وقوتُه في هذا المجال، شبيهةٌ بقوة السَّادة «الحنابلة»، في باب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

[ثانيًا: نتائج البحث]

وجدتُ لهذا البحث المتواضع، الكثير من الفوائد، والدروس، والعبر؛ منها:

١ ـ أنَّ للأنبياء والرسل عليهم السلام منهجًا واضحًا، رضيه الله سبحانه وتعالى لهم؛ فلا ينبغي للعالِم، والداعية، وطالب العِلم، أنْ يحيد عنه، وكلُّ مسلكٍ يخالف طريقَهم، ومنهجَهم، هو ضلالٌ، مهما كانت المبررات.

٢ ـ على وضوح هذا المنهج؛ إلا أنَّه مليءٌ بالابتلاءات، ولا يسلكه ويجتازه، إلا من استعان بالله عز وجل، وصبرَ، واحتسبَ.

٣ ـ لا ينجح طالب العِلم في حياته، ما لم يتأسَّس جيِّدًا، ولاسيما في علوم «الكتاب» و «السُّنة»، ويأخذ من «الأصول» و «الفقه» بحظٍ وافرٍ، ويحفظ «المتون» المباركة، في مختلف الفنون الشرعية والعربية، ويثني ركبه عند العُلماء.

٤ ـ على الداعية بذل غاية الجهدِ، وعدم استعجال قطف الثمار، وإنْ حصلت فهي خيرٌ، ولكن عليه التركيز في جهوده، والصبر، والاحتساب، وإنْ تأخرت الثمار؛ فلِحِكمٍ إلهية.

٥ ـ أهل البدع الدَّاعون، ولاسيما الخُرافيِّون والقبوريِّون، لا يضرهم صافي العقيدة، الذي لا يتعدَّى أمرُه بيتَه ومحرابَه، بل ما يهمُّهم ويُكدِّرُهم، هو الداعية إلى «السُّنة»، والمُحارِب لـ «البدعة»؛ لذلك ضاقوا بالشيخ عبد الظاهر وحاربوه.

٦ ـ أنَّ من أهم أسباب محاربة دعاة «البدعة» للدعاة «التوحيد»؛ هو أنَّ «دعوة التوحيد» تسلبهم امتيازاتٍ كثيرة، من أهمِّها أكلهم أموال الناس بالباطل.

٧ ـ أنَّ النصرَ مع الصَّبرِ، والعاقبةُ للمتقين، والخذلانَ لأهل الباطل، وإنْ طال الزمن؛ قال ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

* * * *

المُلْحَقُ الأَوَّلُ

السِّيرَةُ الذَّاتِيَّةُ لأَبُو السَّمْحِ بِقَلَمِهِ

المُلْحَقُ الثَّانِي
مُشَاهَدَاتُ تَقِيِّ الدِّينِ الهِلاَلِي
لِمَا جَرَى لأَبُو السَّمْحِ

المُلْحَقُ الثَّالِثُ
الصُّوَرِ وَالوَثَائِقِ

الملك عبدالعزيز، ملك الحجاز ونجد

شعار المملكة قديمًا

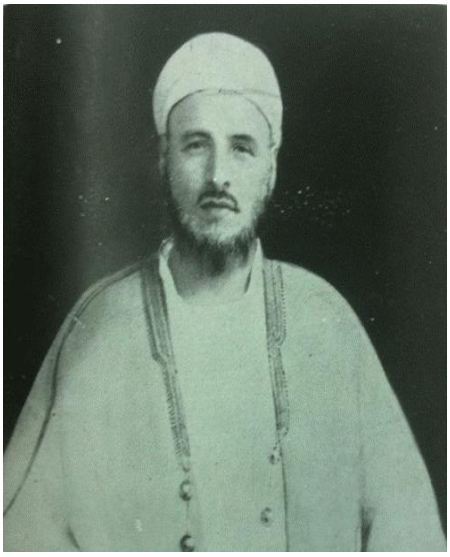

عبد الظاهر أبو السمح في شبابه

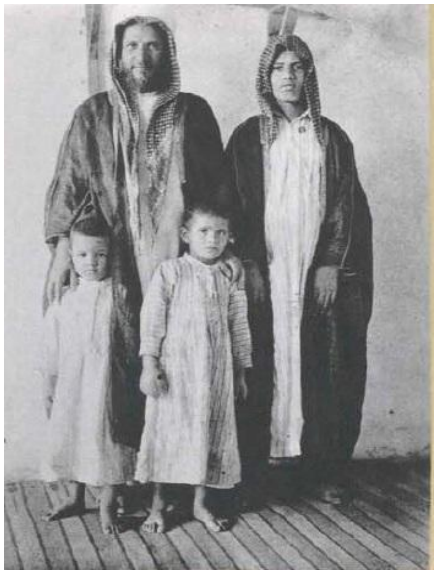

عبد الظاهر مع بعض أولاده

عبد الظاهر في شيخوخته

شقيقه بدر الدين

شقيقه عبد المهيمن

تلميذه وشقيق زوجته

محمد بن عبد الرزاق حمزة

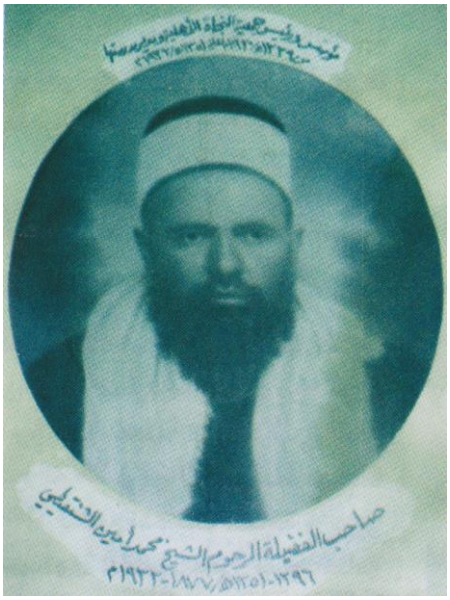

شيخه محمد الشنقيطي

شيخه محمد عبده

شيخه محمد رشيد رضا

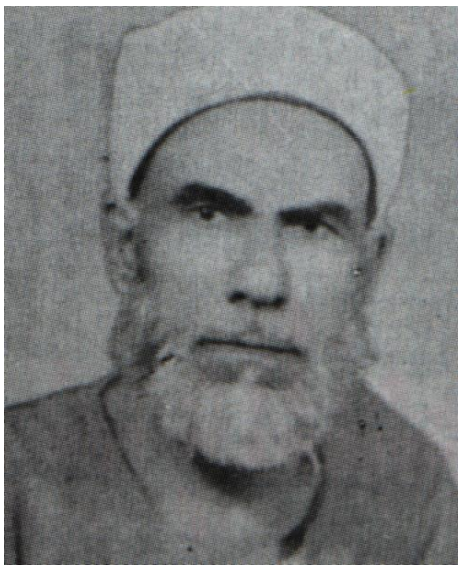

أحمد البنا مؤلف «الفتح الرباني»

صديقه العلامة د. تقي الدين الهلالي

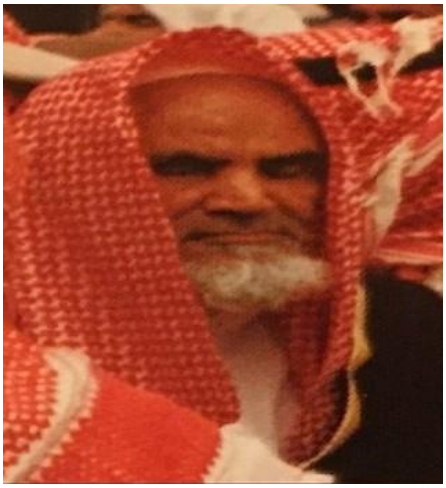

تلاميذه الشيخ عبدالله بن حميد

تلميذه الشيخ عبدالله خياط

تلميذه الشيخ سليمان البسام

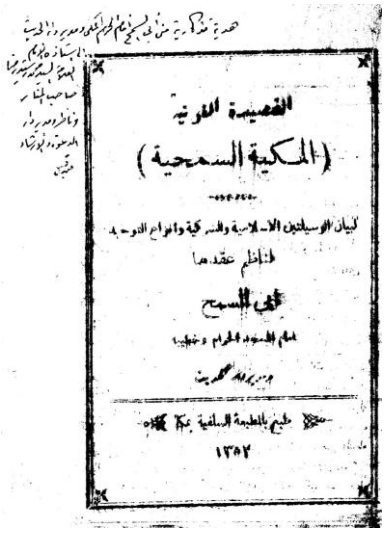

القصيدة الفوثية

(المكية السمحية)

لبيان الوسيلتين الاسلامية والشركية وانواع التوحيد

للناظم عقدها

أبي السمح

إمام المسجد الحرام وخطيبه

طبع بالمطبعة السلفية بمكة

١٣٥٢

تلميذه الشيخ علي الهندي

إهداء من أبو السمح إلى شيخه رشيد

صورة نادرة للشيخ أبو السمح بالجلابية البيضاء، في مطبعة المنار عام (١٩٢٦م)، يجلس على يمين الشيخ عبدالرحمن عاصم ابن عم رشيد رضا

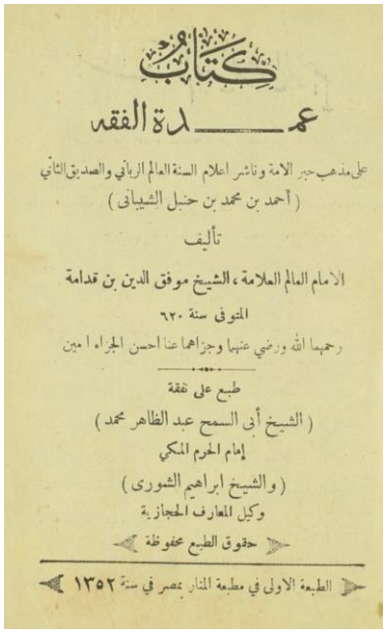

كتاب

عمدة الفقه

على مذهب حبر الامة وناشر اعلام السنة العالم الرباني والصديق الثاني

(أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني)

تأليف

الامام العالم العلامة ، الشيخ موفق الدين بن قدامة

المتوفى سنة ٦٢٠

رحمهما الله ورضي عنهما وجزاهما عنا احسن الجزاء امين

طبع على نفقة

(الشيخ أبي السمح عبد الظاهر محمد)

إمام الحرم المكي

(والشيخ ابراهيم الشورى)

وكيل المعارف الحجازية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر في سنة ١٣٥٢

طبع على نفقة أبو السمح

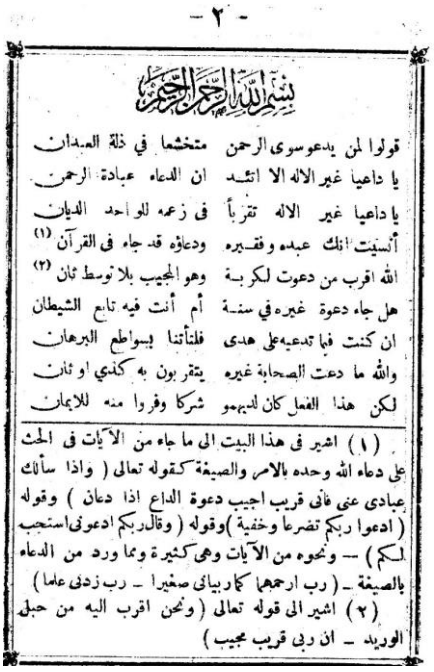

- ٢ -

بسم الله الرحمن الرحيم

قولوا لمن يدعو سوى الرحمن متخشعا في ذلة العبدان

يا داعيا غير الاله الا اتئد ان الدعاء عبادة الرحمن

يا داعيا غير الاله تقرباً في زعمه للواحد الديان

أنسيت انك عبده وفقيره ودعاؤه قد جاء في القرآن (١)

الله اقرب من دعوت لكربة وهو المجيب بلا توسط ثان (٢)

هل جاء دعوة غيره في سنة أم أنت فيه تابع الشيطان

ان كنت فيما تدعيه على هدى فلتأتنا بسواطع البرهان

والله ما دعت الصحابة غيره يتقربون به كذي او ثان

لكن هذا الفعل كان لديهمو شركا وفروا منه للايمان

(١) اشير في هذا البيت الى ما جاء من الآيات في الحث على دعاء الله وحده بالامر والصيغة كقوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان) وقوله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وقوله (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) — ونحوه من الآيات وهي كثيرة ومما ورد من الدعاء بالصيغة ـ (رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ـ رب زدني علما)

(٢) اشير الى قوله تعالى (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ـ ان ربي قريب مجيب)

الصفحة الولى من القصيدة النونية

الرسالة الرملية

في فصل الخلاف بين أهالي الرمل ودعاة الوهابية

تأليف الفقير الى ربه الغني القدير

محمد تاج الدين

المدرس بمشيخة علماء الاسكندرية

ويليها قصيدة ارشاد المؤلف العمـ

بنادي جمعية الشبان المسلمين

المنتخب وكيلا لها بمدينة الاسكندرية

مطبعة الفجر الوطنية ـ بشارع فاروق رقم ١٠٩ بالاسكندرية ـ علي وعبده ابراهيم

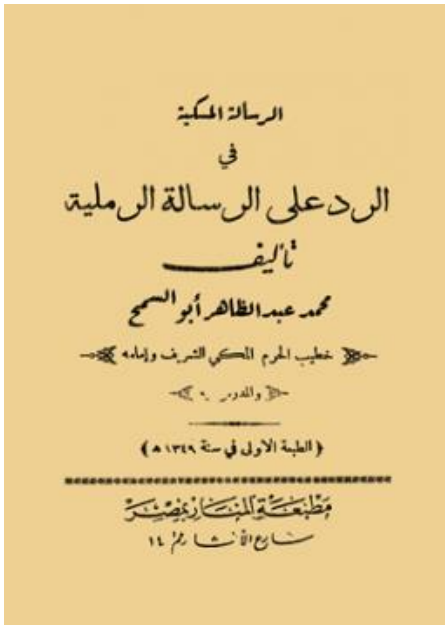

الرسالة المكية

في

الرد على الرسالة الرملية

تأليف

محمد عبد الظاهر أبو السمح

خطيب الحرم المكي الشريف وإمامه

والمدرس

الطبعة الاولى في سنة ١٣٤٩ هـ

مطبعة المنار بمصر

شارع الأزهار نمرة ١٤

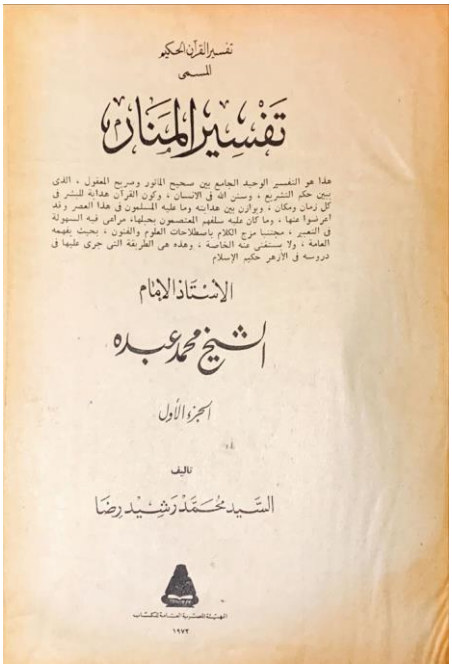
تفسير القرآن الحكيم
المسمى
تفسير المنار
هذا هو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول ، الذي بين حكم التشريع ، وسنن الله في الانسان ، وكون القرآن هداية البشر في كل زمان ومكان ، وبرأين بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر رغد اعرضوا عنها ، وما كان عليه سلفهم المغتصون بحبلها، مراض فيه السهولة في التعبير ، مجتنبا مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون ، بحيث يفهمه العامة ، ولا يستغني عنه الخاصة ، وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الازهر حكيم الاسلام
الاستاذ الامام
الشيخ محمد عبده
الجزء الأول
تاليف
السيد محمد رشيد رضا
الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٢

تفسير المنار لشيخه رشيد

الجزء الاول ١ المجلد الثالث والعشرون
المنار
١٣١٥
فاتحة المجلد الثالث والعشرون
بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم لك الحمد على ما أسبغت علينا من نعمك الظاهرة في السراء، والباطنة في الضراء، وأوزعتنا من آياتك في الآفاق بتنازع الباغين الطاغين وغشيهم، وفي أنفسنا بالتأليف بين المستضعفين المؤذن بظفرهم، وأتممت النعمة بما أنلت لنا قبل من الدين، واستخلفتنا في الارض فجعلتنا أمة واحدة، اذ جعلت لدينا لاهل العدل من عبادك الصالحين، ونصلي ونسلم على من بشته خاتما للنبيين، محمد ذي الرحمة، الامي المعلم للكتاب والحكمة، وآله وعترته، وكل من فاز بصحبته، الذين آمنوا وجاهدوا وهاجروا في سبيل الله، والذين آووا ونصروا، والذين آمنوا من بعدهم هاجروا وجاهدوا معهم ولو الذين جاءوا من

مجلة المنار لشيخه رشيد رضا

أم القرى
تقرير لجنة الحج
موت طيور الحمام وعلتها

العدد ١ السنة الاولى
صوت الحجاز
جريدة وطنية جامعة
بسم الله الرحمن الرحيم
افتتاح الصحيفة

صحيفة كتب فيها أبو السمح

صحيفة كتب فيها أبو السمح

صحيفة كتب فيها أبو السمح

صحيفة كتب فيها أبو السمح

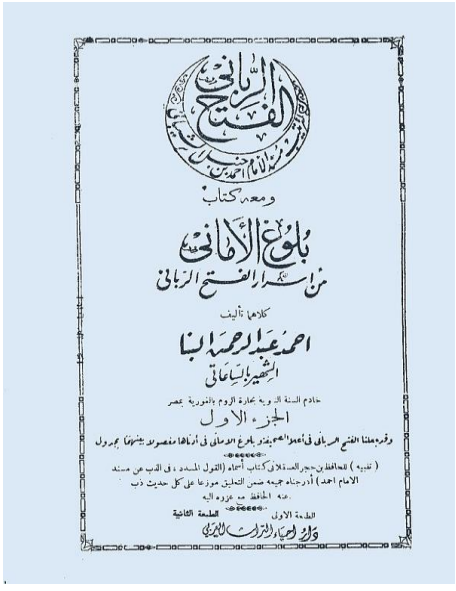

كتاب دعمه أبو السمح

المدرسة التي أسَّسها أبو السمح

خطاب الملك عبد العزيز لعبد الظاهر أبو السمح بشأن تأسيس «دار الحديث»

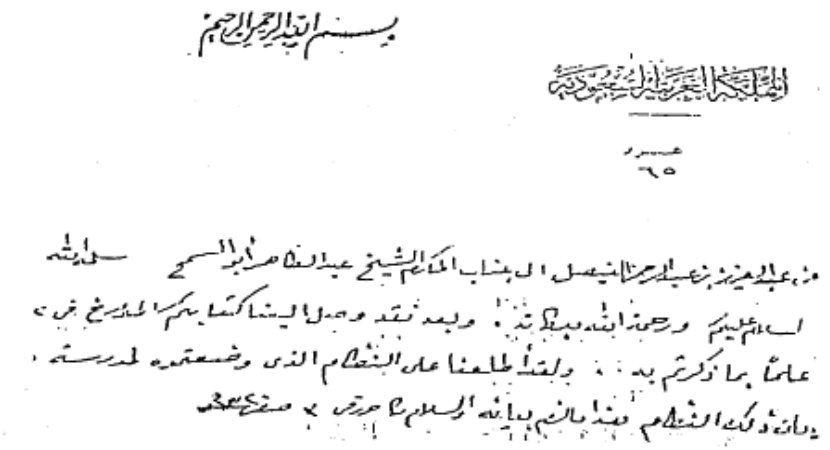

خطاب الملك عبد العزيز لعبد الظاهر أبو السمح بالموافقة على تأسيس «دار الحديث»

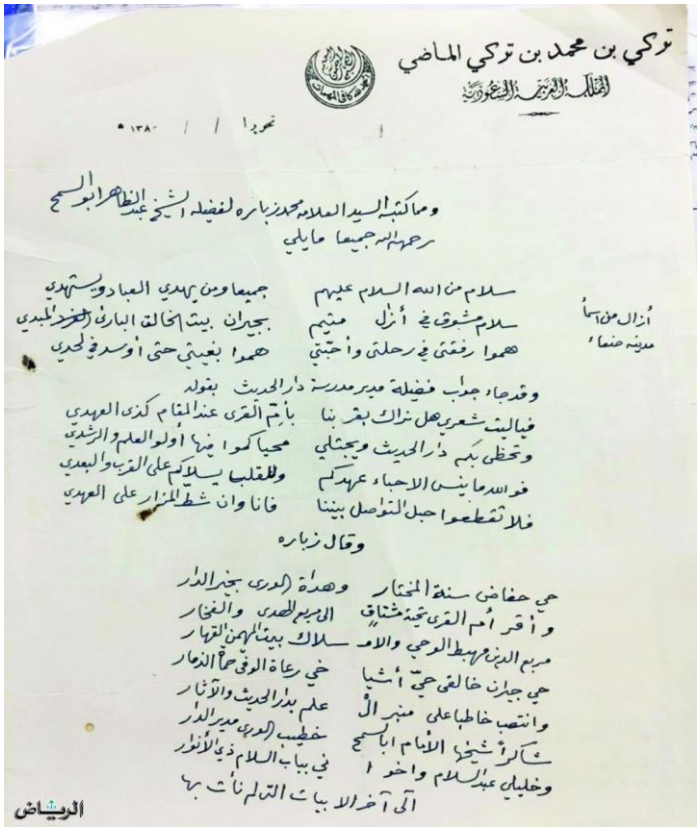

تركي بن محمد بن تركي الماضي
المثلث العربية السعودية

تحريرا / / ١٣٨٠ هـ

ومما كتبه السيد العلامة محمد زباره لفضيلة الشيخ عبد الظاهر ابو السمح
رحمهم الله جميعا مايلي

سلام من الله السلام عليهم ... جميعا ومن يهدي العباد ويستهدي
سلام مشوق في أزل منيم ... بجيران بيت الخالق البارئ الفرد المبدي
هموا رفقتي في رحلتي واحبتي ... هموا بغيتي حتى أوسد في لحدي

أزال من آسأ مدينة صنعاء

وقد جاء جواب فضيلة مدير مدرسة دار الحديث بقوله

فيالبث شعري هل نراك بقربنا ... بأم القرى عند المقام لذي العهدي
وتحظى بكم دار الحديث ويجتلي ... محياكموا منها أولو العلم والرشد
فوالله ما بين الاحباء عهدكم ... وللقلب يسلاكم على القرب والبعد
فلا تقطعوا حبل التواصل بيننا ... فانا وان شط المزار على العهد

وقال زباره

حي حفاض سنة المختار ... وهدأة الهدى بجنب الدار
وأقر أم القرى تحية مشتاق ... الى مهبط الهدى والفخار
مهبط الدين مهبط الوحي والامـ ... ـلاك بيت الهدى القرار
حي جيران خالق حي أشيا ... خي رعاة الوفي حماة الذمار
وانتصب خاطبا على منبر الـ ... علم بدار الحديث والآثار
شاكرا شيخنا الامام ابا السمح ... خطيب الهدى مدير الدار
وخليلي عبد السلام واخوا ... في بباب السلام ذي الأنوار
الى آخر الابيات التي لم نأت بها

الرياض

سطور المشاهير

سيرة رجال ونساء وقفوا مخلصين خلف منجز بلادهم.. وتاريخ يسروى لجيل اليوم حفاظاً على وحدة وطنهم واستقراره.

عبدالظاهر أبو السمح.. المُعلّم والإمام

هو الشيخ عبدالظاهر بن محمد نور الدين الفقيه - أبو السمح -، ولد العام 1300هـ في بلدة التلين التابعة لمركز منيا القمح مديرية الشرقية بمصر. وكان أبوه معلم القرآن في القرية، فعلمه القرآن وحفظه وعمره تسعة أعوام، ولما أتم حفظ القرآن أدخله والده في الأزهر ومكث في الأزهر عشرة أعوام متعلما وقارئا ودارسا جميع العلوم التي تدرس في الأزهر حافظا لمتونها مستظهرا لها، وقد رزقه الله الحفظ السريع وبطء النسيان وذكاء جيدا.

وفي سنة 1344هـ حج الشيخ المقرئ عبدالظاهر أبو السمح - رحمه الله - مع شيخه العالم محمد رشيد رضا - رحمه الله - والشيخ المحدث محمد عبدالرزاق حمزة ومعهم مجموعة من طلبة العلم فنزلوا بضيافة الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه -، وكان الملك قد أوعز لأبي السمح والشيخ محمد حمزة أن يبقيا في مكة لأجل الاستفادة من علمهما فأجابا مسرورين بهذا الموضوع وانتهى حج العام 1344هـ هذه أول رحلة حج للشيخ عبدالظاهر أبي السمح بل أول قدوم إلى المملكة العربية السعودية.

وفي العام 1345هـ عينه الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - إماما وخطيبا للمسجد الحرام، بعد ذلك عينه الملك في العام 1347هـ عضوا مراقبا في هيئة المراقبة والمدرسين في الحرم المكي، كذلك في العام 1348هـ عُيّن وكيلا لهيئة التدريس والمراقبة في الحرم المكي، ومن أعماله وأنشطته المهمة أنه عقد حلقة علم وتدريس بالمسجد الحرام في علم التوحيد والعقيدة، وكذلك درس تجويد القرآن الكريم.

عيّنه الملك عبدالعزيز إماماً وخطيباً للمسجد الحرام وساهم في تأسيس دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

إعداد -صلاح الزامل

عينه الملك عبدالعزيز إماما وخطيبا للمسجد الحرام عام 1345هـ

عقد حلقة علم وتدريس بالمسجد الحرام في التوحيد والعقيدة

عبدالظاهر أبو السمح

التزوده بالعلم

بعد الأزهر دخل عبدالظاهر أبو السمح مدرسة المعلمين الأولية وحصل على هذه الشهادة، وكان العلامة الشهير عالم الشيخ محمد رشيد رضا قد أنشأ مدرسة أسماها دار الدعوة والإرشاد فانضم إليها هذا الشاب متعطشا للمزيد من العلم والعلوم، وطالب العلم الحقيقي هو الذي لا يشبع مطلقا من العلم فكان أبو السمح - رحمه الله - من طلاب العلم الذين لا يشبعون من القراءة ولا يكتفون بما عندهم من العلم، ومع أنه انتظم في الأزهر عشرة أعوام متتالية دارسا على مشايخ وعمالقة الأزهر في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري أوائل القرن العشرين، إلا أنه إذا وجد سبيلا وطريقا إلى الاستزادة توجه إليه مسرعا، وقد جلس مدة من الزمن في مدرسة محمد رشيد رضا - رحمه الله - ونهل من علومه وجالسه في الدار وفي منزله وأصبح من تلاميذه النجباء ومن محبيه وتأثر به، وهذه المدرسة أسسها دار الدعوة والإرشاد، ولازم حضور مجالس الشيخ محمد أمين الشنقيطي ولعب دروسه، وكانت هذه المجالس والدروس مفتاحا له لمعرفة كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم وأصبح يقرأ فيهما، وبعد مدة رحل الشيخ أبو السمح إلى الإسكندرية الابتدائية حيث عين في مدرسة الإسكندرية وقد قام بتأسيس فرع لجماعة أنصار السنة التي كانت على الحق والسلف الصالح في الدعوة والإرشاد والنصح وضد الخرافة، فنفع الله به دعوته في الإسكندرية وانت نصار دعوته هذه.

إلحام الخصم

وكان الشيخ أبو السمح لديه قدرة منطقية وملكة في الإقناع وإلحام الخصم مع غزارة العلم بالكتاب والسنة والعصر والمعاصرة على الأدق الحسي والمعنوي، واستمر في الإسكندرية يقول عن نفسه فيما نقله عنه د. أحمد الطاهر في كتابه جماعة أنصار السنة: «فإن الله تعالى لا من علي بمعرفته ووفقني لإتباع كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم رأيت أن من أوجب الواجبات على الدعوة إليه تعالى والحث على التمسك بالسنة المحمدية واتباع سبيل المؤمنين السالفين، وكان من أهم ما أعتني أن أبدأ به بيان التوحيد، ويقول أيضا الشيخ أبو السمح إبان سكنه الإسكندرية: «وقد أتاح الله لي فرصة الدعوة إليه في رحل الإسكندرية، فأخذت أقرأ دروسا في المساجد وألقي خطبا وأدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة حسب طاقتي، - المولى تعالاه -».

الجدير بالذكر أن الشيخ أبي السمح قد حصل على دبلوم من مدرسة المعلمين بالقاهرة تؤهله للتدريس، ويحقق على هذه الشهادة قفاذة المعلمين وقد مارس التدريس في الدعوة والإرشاد بعد حصوله على هذه الشهادة مدرسا للخط والقرآن الكريم، وقبل الانتقال إلى الإسكندرية عمل معلما في ابتدائية بالسويس.

المطلب الأجر

وقد استمر الشيخ أبو السمح مدرسا وأستاذا وواعظا ومعلما لعلوم الشريعة في الإسكندرية قرابة العشرة أعوام، بدأ لا جهد وظائفه وشبابه وصحته ووقته وجميع إمكاناته في الدعوة إلى الله تعالى محتسبا الأجر والمثوبة من الله تعالى وليس له راتب حكومي أو نحل داخلي لكن الله سبحانه سخر له بعض خلقه الذين أحبوه محبة خالصة وصادقة من أهالي الإسكندرية، وقد عُرف عن الشيخ عبدالظاهر أبي السمح الزهد في الدنيا والبعد عن المظاهر وعيش الكفاف والقناعة بما رزقه الله لذلك بارك الله له في حياته ودعوته في الإسكندرية وفيما بعد نجابه إلى مكة، فقل رجل مشهور وناجح في عمله له محبون وأصفياء وكذلك بالمقابل يكون له حساد وخصوم فكذلك الشيخ أبو السمح عندما اشتهر أمره وعلا ذكره وبعد صيته فكان أناس مؤيدين له وآخرون معارضين، ورضا الناس غاية لا تدرك، ومن أعظم أنه سيرضي مجتمعه كله فهو كفابض الريح، هذه حياة أبي السمح في مصر والإسكندرية.

إمام وخطيب الحرم

كما قلت في المقدمة عن حياة الشيخ أبي السمح في العام 1344هـ وبعد مضي عام على ضم الملك عبدالعزيز - رحمه الله - مكة وبقية الحجاز فيما بعد في حكمه، قدم الشيخ أبو السمح مع وفد برئاسة العالم الشهير محمد رشيد رضا ومعه تلميذاه الشيخ عبدالظاهر أبو السمح والمحدث صديق أبي السمح الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، وقد ذهب الوفد إلى الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - للسلام عليه وبعد أداء فريضة الحج استقرت نية الشيخين البقاء في مكة إقامة دائمة وكان ذلك رغبة من الملك عبدالعزيز، وبعد انتهاء العام ١٣٤٤هـ وبتاريخ الخامس من ربيع الآخر لعام ١٣٤٥هـ، يقول الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة - كما نقله عنه الشيخ محمد بن أحمد سيو - رحمه الله - في كتابه عن الشيخ محمد حمزة : «وسلمنا الحجاز في الثامن من ربيع الثاني سنة ١٣٤٥هـ وتقابلنا في جدة بحالة الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - في دار الشيخ محمد نصيف وجيه جدة والحجاز فعين أبا السمح إماما وخطيبا للمسجد الحرام، وتعينت أنا مدرسا بالمسجد الحرام ومدرسا بالمعهد العلمي السعودي، ومن ذلك التاريخ العام ١٣٤٥هـ والشيخ عبدالظاهر أبو السمح إمام وخطيب للمسجد الحرام ومضى وفاته - رحمه الله - العام ١٣٧٠هـ، أي أنه مكث خمسا وعشرين سنة في محراب المسجد الحرام أمام الكعبة، ويا له من شرف كبير ومجد خالد لأبي السمح - رحمه الله - في إمامة أفضل وأقدس بقعة على وجه الأرض المسجد الحرام، وهو من أوائل الأئمة في المسجد الحرام الذين عينهم الملك عبدالعزيز.

أعماله ووظائفه

كان من الوظائف التي تولاها الشيخ عبدالظاهر أبو السمح - رحمه الله - غير إمامة المسجد الحرام والخطابة يوم الجمعة حيث عينه الملك عبدالعزيز العام ١٣٤٧هـ عضوا مراقبا في هيئة المراقبة والمدرسين في الحرم المكي، وفي سنة ١٣٤٨هـ عين وكيلا لهيئة التدريس والمراقبة في الحرم المكي، وكذلك من أعماله وأنشطته المهمة أنه عقد حلقة علم وتدريس بالمسجد الحرام في علم التوحيد والعقيدة، وكذلك درس تجويد القرآن الكريم، وكان الشيخ أبو السمح مدرسة المعلمين الأولية وحصل على هذه الشهادة، وكان العلامة الشهير عالم الشيخ محمد رشيد رضا قد أنشأ مدرسة أسماها دار الدعوة والإرشاد فانضم إليها هذا الشاب متعطشا للمزيد من العلم والعلوم، وطالب العلم الحقيقي هو الذي لا يشبع مطلقا من العلم فكان أبو السمح - رحمه الله - من طلاب العلم الذين لا يشبعون من القراءة ولا يكتفون بما عندهم من العلم، ومع أنه انتظم في الأزهر عشرة أعوام متتالية دارسا على مشايخ وعمالقة الأزهر في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري أوائل القرن العشرين، إلا أنه إذا وجد سبيلا وطريقا إلى الاستزادة توجه إليه مسرعا، وقد جلس مدة من الزمن في مدرسة محمد رشيد رضا - رحمه الله - ونهل من علومه وجالسه في الدار وفي منزله وأصبح من تلاميذه النجباء ومن محبيه وتأثر به، وهذه المدرسة أسسها دار الدعوة والإرشاد، ولازم حضور مجالس الشيخ محمد أمين الشنقيطي ولعب دروسه، وكانت هذه المجالس والدروس مفتاحا له لمعرفة كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم وأصبح يقرأ فيهما، وبعد مدة رحل الشيخ أبو السمح إلى الإسكندرية الابتدائية حيث عين في مدرسة الإسكندرية وقد قام بتأسيس فرع لجماعة أنصار السنة التي كانت على الحق والسلف الصالح في الدعوة والإرشاد والنصح وضد الخرافة، فنفع الله به دعوته في الإسكندرية وانت نصار دعوته هذه.

الشيخ عبدالله عبدالغني خياط أحد تلاميذ أبو السمح

أبيات كتبها محمد زيارة عالم اليمن إلى أبو السمح بخط المؤرخ تركي الفاضي

بقراءة الشيخ عبدالظاهر أبي السمح ونغمات صوته قريبة جدا من أداء وتلاوة الشيخ عبدالظاهر، ومن الذين أخذوا علم التجويد عن الشيخ عبدالظاهر سماحة الفقيه عبدالله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء، ومن أعلام الإعمال التي قدمها الشيخ أبو السمح في إنشائه وتأسيسه لدار الحديث بمكة، فقد عرض الفكرة على الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - بعدما عرض تفاصيلها والهدف منها، فوافق الملك عبدالعزيز، على العام ١٣٤٣هـ، تم افتتاح دار الحديث التي يطلق عليها دار الحديث الخيرية وفتحت أبوابها للطلاب، وكان الهدف هو التركيز على دراسة الحديث النبوي وإحياء السنة النبوية ودراسة العلوم الشرعية الأخرى وعلوم اللغة العربية وغيرها من الأهداف السامية، ولاشك أن هذا الإنجاز الذي أسسه الشيخ عبدالظاهر أبو السمح لهو كبير وجليل فمنذ العام ١٣٩٢هـ، وحتى وقتنا الحاضر مازالت هذه المدرسة تخرج الكثير من الطلاب من مختلف الجنسيات وهي خمسة من حسنات الشيخ عبدالظاهر، وهي أثر باق من آثاره التي استمرت بعد وفاته، ولقد مضى على إنشائها الثاني وخمسون سنة، ولم تتوقف طيلة هذه الأعوام، رحم الله أبا السمح فله نصيب كبير من اسمه فكان سمحا في أخلاقه وتعامله وسلوكه مع التلاميذ ومع الناس وكل عرفه.

يقول عنه تلميذه وصديقه المحب الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة عند وفاته: «فقد المسجد الحرام إماما كان أهلا لإمامته ومزمارا من مزامير آل داوود مرتلا لآياته بصوته الرخيم أمام وجه الكعبة ربع قرن من الزمان.

مؤلفات ورسائل

وألف الشيخ عبدالظاهر أبو السمح مؤلفات ورسائل نشرت أيام حياته، منها رسالته القيمة «الأولياء والكرامات» وقد اطلعت عليها وهي كتيب جيد طبع لأول مرة العام ١٣٦٩هـ ولم يعاد طبعها، ورسالته الحج وفق السنة النبوية، وكان - رحمه الله - يجيد النظم وله منظومة في التوحيد والعقيدة، ورسالته «في آداب تلاوة القرآن واستماعه»، وقد طبع بعض كتيبات الجواب الكافي في سؤال عن الدواء الشافي، على نفقته ومعه محمد صالح نصيف العام ١٣٤٦هـ.

وقد توفي الشيخ عبدالظاهر أبو السمح في مستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية بمدينة الحجوزة بمصر العام ١٣٧٠هـ في شهر رجب - غفر الله ورحمه وتجاوز عنه -.

ومن جانب آخر فإن الباحث محمد سيد أحمد - رحمه الله - المدرس بدار الحديث الخيرية قد ألف كتابا عن حياة الشيخ عبدالظاهر أبي السمح، كما أخبرني عبر لقاء في الرياض قبل عشرة أعوام، ولا أعلم ما هو مصير هذا الكتاب، رحم الله الباحث محمد سيد أحمد فقد توفي قبل خمسة أشهر وله بحوث وكتب في السير والتراجم.

صورة لمقال مُوسّع عن العلامة عبد الظاهر أبو السَّمح ـ أ. صلاح الزامل ـ صحيفة الرياض ـ الجمعة (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ) ـ العدد (١٨٣٦٥)

* * * *

فِهْرِسُ الأَعْلاَمِ

قَائِمَةُ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ

(١) **أئمة الحرمين [١٣٤٣ ـ ١٤٣٦هـ]** ـ عبدالله بن أحمد الغامدي ـ دار الطرفين (الطائف) ـ ط الثانية (١٤٣٦هـ).

(٢) **أئمة المسجد الحرام [١٣٤٣ ـ ١٤٣٦هـ]** ـ عبدالله بن أحمد الغامدي ـ دار الطرفين (الطائف) ـ ط الثانية (١٤٣٦هـ).

(٣) **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر** ـ أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ـ الناشر: المؤلف ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ).

(٤) **إتمام «الأعلام»** ـ د. نزار أباظة، وآخر ـ دار صادر (بيروت) ـ ط الأولى (١٩٩٩م).

(٥) **الإحسان في تقريب: «صحيح ابن حِبَّان»** ـ الأمير: علي بن بَلْبَان الفارسي ت (٧٣٩هـ) ـ ت. شعيب الأرنؤوط ـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٠٨هـ).

(...) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب = مُعجم الأُدباء.

(٦) **أساس البلاغة** ـ محمود بن محمود الزمخشري ت (٥٣٨هـ) ـ ت. محمد باسل عيُون السُّود ـ دار الكتب العلمية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤١٩هـ).

(٧) **الأسماء والصفات** ـ أحمد بن الحسين البيهقي ت (٤٥٨هـ) ـ ت. عبد الله بن محمد الحاشدي ـ مكتبة السَّوادي (جدة) ـ ط الأولى (١٤١٣هـ).

(٨) **الإصابة في تمييز الصحابة** ﷺ ـ أحمد بن علي (ابن حجر) العسقلاني ت (٨٥٢هـ) ـ ت. أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربيَّة والإسلاميَّة بـ (دار هجر) ـ هجر (القاهرة) ـ ط الأولى (١٤٢٩هـ).

(٩) **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)** ـ خير الدين محمود الزِّرِكْلي ت (١٣٩٦هـ) ـ دار العلم للملايين (بيروت) ـ ط السَّادسة (١٩٨٤م).

(١٠) (...) أعلام المغرب = نثير الجمان في عشر مَن نَظَمَني وإياه الزمان.

(١١) **أعلام المكِّيِّين (من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري** ـ عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (مكة المكرمة) ـ ط الأولى (١٤٢١هـ).

(١٢) **الإمام الفقيه موسى الحَجَّاوي وكتابه «زاد المُستقنِع» (دراسةٌ علمية عن إمام الحنابلة في وقته مُوسى الحَجَّاوي، حياته، وآثاره، وعقيدته، ودراسة المسائل الفقهية التي خالف فيها الراجح في المذهب)** ـ د. عبد الله بن محمد الشمراني ـ مدار الوطن (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٣٥هـ).

(١٣) **امتاع الفضلاء بتراجم القُرَّاء فيما بعد القرن الثامن الهجري** ـ اليأس بن أحمد حسين البرماوي ـ مكتبة دار الزمان (المدينة المنورة) ـ ط الثانية (١٤٢٨هـ).

(١٤) **إِنْباء الغُمْر بأَنْباء العُمْر** ـ أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ت (٨٥٢هـ) ـ ت. د. حسن حبشي ـ وزارة الأوقاف (القاهرة) ـ ط الأولى (١٣٨٩هـ).

(١٥) **إِنْباه الرُّواة على أَنباهِ النُّحاة** ـ علي بن يوسف القِفْطِيّ ت (٦٢٤هـ) ـ ت. محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار الفكر العربي (القاهرة)، ومؤسسة الكتب الثقافية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ).

(١٦) **الأوائل لمكة في العهد السعودي** ـ الحسني.

(١٧) **أئمة «الحرمين» في العهد السُّعودي** ـ عبد الله بن أحمد الغامدي ـ دار الطرفين (الطائف) ـ ط الثانية (١٤٣٦هـ).

(١٨) **أئمة «المسجد الحرام» في العهد السُّعودي (١٣٤٣ ـ ١٤٣٦هـ)** ـ عبد الله بن أحمد الغامدي ـ دار الطرفين (الطائف) ـ ط الثانية (١٤٣٦هـ).

(١٩) **البحر الزَّخَّار (مُسند البزار)** ـ أحمد بن عَمرو البزار ت (٢٩٢هـ) ـ ت. محفوظ الرحمن زين الله ـ مؤسسة علوم القرآن (بيروت)، ومكتبة العلوم والحِكَم (المدينة المنورة) ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ).

(٢٠) **بدائع المِنن في جمع وترتيب: «مُسند الشافعي» و «السُّنن»** ـ أحمد بن عبدالرحمن البنا السَّاعاتي ت (١٣٧٨هـ) ـ مكتبة الفرقان (مصر) ـ ط الثانية (١٤٠٣هـ).

(٢١) **البداية والنهايَّة** ـ إسماعيل بن عمر الدمشقي (ابن كثير) ت (٧٧٤هـ) ـ ت. أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بـ (دار هجر) ـ هجر (القاهرة) ـ ط الأولى (١٤١٧هـ).

(٢٢) **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ـ محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠هـ) ـ ت. محمد حسن حلاق ـ دار ابن كثير (دمشق) ـ ط الأولى (١٤٢٧هـ).

(٢٣) **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في: «الشرح الكبير»** ـ عمر بن علي (ابن الملقن) ت (٨٠٤هـ) ـ ت. مصطفى أبو الغيظ عبدالحي، وآخرين ـ دار الهجرة (الثقبة ـ السعودية) ـ ط الأولى (١٤٢٥هـ).

(٢٤) **بُغية الوُعَاة في طبقات اللغويِّين والنُّحاة** ـ عبدالرحمن بن الكمال السّيوطي ت (٩١١هـ) ـ ت. محمد أبو الفضل إبراهيم ـ [تصوير دار الفكر (بيروت) ـ ط الثانية (١٣٩٩هـ)].

(٢٥) **البُلْغة في تراجم أئمة النَّحو واللغة** ـ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت (٨١٧هـ) ـ ت. محمد المصري، وآخر ـ دار سعد الدِّين (دمشق) ـ ط الأولى (١٤٢١هـ).

(٢٦) **بلوغ الأماني من أسرار: «الفتح الرباني لترتيب: (مسند) الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني»** ـ أحمد بن عبدالرحمن البنا السَّاعاتي ت

(١٣٧٨هـ) ـ [مطبوع مع متنه: «الفتح الرباني» الآتي للمُصنِّف نفسِه].

(٢٧) **تاريخ الأدب العربي** ـ كارل بروكلمان ت (١٩٥٦م) ـ ترجمة: جماعة من المختصين بإشراف أ. د. محمود فهمي حجازي ـ المنظمة العربيَّة للتربية والثقافة والعلوم، والهيئة المصريَّة العامة للكتاب ـ ط الأولى الكاملة (١٩٩٣م).

(٢٨) **تاريخ أُمَّة في سير أئمة (تراجم لأئمة «الحرمين الشريفين» وخطبائهما منذ عهد النبوة إلى سنة ١٤٣٢هـ)** ـ د. صالح بن عبد الله ابن حُميد ـ مركز تاريخ مكة المكرمة (مكة المكرمة) ـ ط الأولى (١٤٣٣هـ).

(٢٩) **تاريخ جُرْجَان (معرفة عُلماء أهل جُرْجَان)** ـ حمزة بن يوسف السَّهمي ت (٤٢٧هـ) ـ ت. محمد عبدالمعيد خان ـ عالم الكتب (بيروت) ـ ط الثالثة (١٤٠١هـ).

(٣٠) **تتمة: «الأعلام» للزِّرِكْلِي (وفيات: ١٣٩٦ ـ ١٤١٥هـ)** ـ محمد خير رمضان يوسف ـ دار ابن حزم (بيروت) ـ ط الثانية (١٤٢٢هـ).

(٣١) **تذكرة أُولي النُّهى والعرفان بأيَّام الله الواحد الدَّيَّان وذكر حوادث الزمان** ـ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن ت (١٤٢٥هـ) ـ مطابع مؤسسة النُّور (الرِّياض) مكتبة الرشد (الرياض) ـ ط الأولى.

(٣٢) **ترتيب المدارك وتقريب المسالك** ـ عياض بن موسى اليَحْصَبِي ت (٥٤٤هـ) ـ ت. د. محمد بن شريفة، وآخرين ـ حكومة المغرب (الرباط) ـ ط الأولى (١٤٠٢هـ).

(٣٣) **تسهيل السَّابلة لمريد معرفة الحنابلة** ـ صالح بن عبد العزيز العثيمين ت (١٤١٠هـ) ـ ت. د. بكر بن عبد الله أبو زيد ـ مؤسسة الرِّسالة (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٢هـ).

(٣٤) **تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة** ـ أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ت (٨٥٢هـ) ـ ت. د. إكرام الله إمداد الحق ـ دار البشائر الإسلامية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤١٦هـ).

(٣٥) **التعليق المُغني على «الدَّارقطني»** ـ محمد شمس الحق العظيم آبادي ت (١٣٢٩هـ) ـ ت. شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٤هـ) ـ [مطبوع مع «سُنن الدَّارقطني» الآتي].

(...) تفسير ابن جرير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

(٣٦) **تفسير القرآن الحكيم** ـ محمد رشيد رضا ت (١٣٥٤هـ) ـ دار المنار (القاهرة) ـ ط الثانية (١٣٦٦هـ).

(...) تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم.

(٣٧) **التفسير والمفسرون (بحث تفصيلي عن نشأة التفسير، وتطوّره، ألوانه، ومذاهبه، مع عرض شامل لأشهر المفسرين، وتحليل كامل**

لأهم كتب التفسير، من عصر النبي ﷺ إلى عصرنا الحاضر) ـ د. محمد حسين الذهبي ت (١٣٩٧هـ) ـ دار الكتب الحديثة (القاهرة) ـ ط بدون.

(٣٨) **تقريب: «التهذيب»** ـ أحمد بن علي (ابن حجر العسقلاني) ت (٨٥٢هـ) ـ ت. أبو الأشبال أحمد شاغف ـ دار العاصمة (الرِّياض) ـ ط الأولى (١٤١٦هـ).

(...) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث «الرافعي الكبير» = التمييز في تلخيص تخريج أحاديث «شرح الوجيز».

(٣٩) **تلخيص: «المُستدرك على الصَّحِيحَيْن»** ـ محمد بن أحمد الذهبي ت (٧٤٨هـ) ـ [مطبوع مع: «المستدرك)) الآتي].

(٤٠) **التوضيح لشرح: «الجامع الصَّحيح»** ـ عمر بن علي الأنصاري (ابن المُلقِّن) ت (٨٠٤هـ) ـ ت. دار الفلاح بإشراف خالد الرَّبَّاط، وآخر ـ وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلامية (قطر) ـ ط الأولى (١٤٢٩هـ).

(٤١) **التمييز في تلخيص تخريج أحاديث «شرح الوجيز»** ـ أحمد بن علي (ابن حجر العسقلاني) ت (٨٥٢هـ) ـ ت. د. محمد الثاني بن عمر بن موسى ـ أضواء السَّلف (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٢٨هـ).

(٤٢) **الثَّبَت الرفيع العالي في إسناد أهل العلم والتوقيع ومعه تراجم العلماء المعاصرين** ـ سليمان بن عبدالرحمن الصَّنِيع ت (١٣٨٩هـ) ـ دار الصميعي (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٣٣هـ).

(٤٣) **جامع البيان عن تأويل آي «القرآن»** ـ محمد بن جرير الطبري ت (٣١٠هـ) ـ ت. أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخر ـ دار هجر (القاهرة) ـ ط الأولى (١٤٢٢هـ).

(٤٤) **الجامع لشعب الإيمان** ـ أحمد بن الحسين البيهقي ت (٤٥٨هـ) ـ ت. جماعة بإشراف د. مختار أحمد النَّدوي ـ مكتبة ابن رشد (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٢٣هـ).

(٤٥) **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين [ابن تيمية والهيتمي]** ـ نعمان بن محمد الألوسي ت (١٢١٧هـ) ـ ت. الدَّاني بن منير آل زَهْوي ـ المكتبة العصرية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٧هـ).

(...) الجواب الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي = الدَّاء والدَّواء.

(٤٦) **الجواهر الحِسان في تراجم الفُضلاء والأعيان من أساتذة وخلان** ـ زكريا بن بِيلَّا ت (١٤١٣هـ) ـ ت. أ. د. عبدالوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، وآخر ـ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي (لندن) ـ ط (١٤٢٧هـ).

(٤٧) **جوانب مُضيئة لمسيرة التعليم** في عه الملك عبدالعزيز ـ عبدالله حمد الحقيل ـ مجلة دار الملك عبدالعزيز (الرياض).

(٤٨) **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح** ـ محمد بن أبي بكر (ابن قيِّم الجوزيَّة) ت (٧٥١) ـ ت. زائد بن أحمد النّشيري ـ دار عالم الفوائد (مكة المكرمة) ـ ط الأولى (١٤٢٨هـ).

(٤٩) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ـ أحمد بن عبد الله الأصبهاني (أبو نُعَيْم) ت (٤٣٠هـ) ـ مطبعة السعادة (القاهرة) ـ ط (١٣٩٩هـ) ـ [تصوير دار الكتب العلمية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ)].

(٥٠) **حلية البشر ـ في تاريخ القرن الثالث عشر ـ** عبدالرزاق بن حسن البيطار ت (١٣٣٥هـ) ـ مَجْمَع اللغة العربية (دمشق) ـ ط (١٣٨٠هـ).

(٥١) **خطابات حسن البنَّا الشَّاب إلى أبيه (مع ترجمة مسهبة وموثَّقة لحياة وعمل الوالد الشيخ: أحمد البنَّا)** ـ جمال بن أحمد البَنَّا ت (١٤٣٤هـ) ـ دار الفكر الإسلامي (القاهرة) ـ ط الأولى (١٤١٠).

(٥٢) **الخطط التوفيقية الجديدة لـ «مصرَ» و «القاهرة» ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة** ـ علي باشا مبارك ت (١٣١١هـ) ـ المطبعة الكُبرى الأميرية (بولاق) ـ ط الأولى (١٣٠٦).

(٥٣) (...) خطط مبارك = الخطط الجديدة التوفيقية.

(٥٤) **الدَّاء والدَّواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي)** ـ محمد بن أبي بكر (ابن قيِّم الجوزيَّة) ت (٧٥١) ـ ت. محمد أجمل الإصلاحي، وآخر ـ دار عالم الفوائد (مكة المكرمة) ـ ط الأولى (١٤٢٩هـ).

(٥٥) **الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور** ـ عبد الرحمن بن الكمال السّيوطي ت (٩١١هـ) ـ ت. أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخر ـ مركز هجر للبحوث والدراسات (القاهرة) ـ ط الأولى (١٤٢٤هـ).

(٥٦) **دُرَّة الحجال في أسماء الرجال (ذيل: «وفيات الأعيان»)** ـ أحمد بن محمد المكناسي (ابن القاضي) ت (٩٦٠هـ) ـ ت. د. محمد الأحمدي أبو النور ـ المكتبة العتيقة (تونس)، ودار التراث (القاهرة) ـ ط الأولى (١٣٩١هـ).

(٥٧) **دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ عرضٌ ونقضٌ** ـ د. عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف ـ دار طيبة (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ).

(٥٨) **الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة** ـ د. محمد تقي الدين بن عبدالقادر الهلالي ت (١٤٠٧هـ) ـ دار الطباعة الحديثة (الدار البيضاء) ـ ط (بدون).

(٥٩) **دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام** ـ مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال ـ دار طيبة (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ).

(٦٠) **الدليل الشَّافي على: «المنهل الصَّافي والمستوفي بعد الوافي»** ـ يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت (٨٧٤هـ) ـ ت. فهيم محمد شلتوت (القاهرة) ـ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) ـ ط الأولى.

(٦١) **الدِّيبَاج المُذْهَب في معرفة أعيان علماء المَذْهَب** ـ إبراهيم بن علي اليعمري (ابن فرحون) ت (٧٩٩هـ) ـ ت. د. محمد الأحمدي أبو النور ـ مكتبة دار التراث (القاهرة) ـ ط بدون.

(٦٢) **ديوان أبي نواس (رواية الصُّولي)** ـ الحسين بن هاني (أبو نواس) ت (١٩٨هـ) ـ رواية: محمد بن يحيى الصُّولي ت (٣٣٥هـ) ـ ت. د. بهجت عبد الغفور الحديثي ـ هيئة أبو ظبي للتراث (أبو ظبي) ـ ط الأولى (١٤٣١هـ).

(٦٣) **ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ** ـ جمع عبدالعزيز الكرَم ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ).

(٦٤) **ذيل: «الأعلام» [معجم تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين]** ـ أحمد بن إبراهيم العلاونة ـ دار المنارة (جُدة) ـ ط الأولى (١٤٢٢هـ).

(٦٥) **الذيل على: «طبقات الحنابلة»** ـ عبد الرحمن بن أحمد السَّلامي (ابن رجب) ت (٧٩٥هـ) ـ ت أ. د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ـ مكتبة العبيكان (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٢٥هـ).

(٦٦) **رجال من مكة المكرمة** ـ د. زهير بن محمد جميل كتبي ـ الناشر: المؤلف (مكة المكرمة).

(٦٧) **الرِّسالة المكية في الرَّد على «الرسالة الرَّملية»** ـ عبد الظاهر بن محمد أبو السَّمح ت (١٣٧٠هـ) ـ مطبعة المنار (القاهرة) ـ ط الأولى (١٣٤٩هـ).

(٦٨) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ـ محمود بن عبد الله الألوسي ت (١٢٧٠هـ) ـ ت. محمد منير الدمشقي ـ إدارة الطباعة

المنيرية (القاهرة) ـ ط الأولى (١٣٥٣هـ) ـ [تصوير: دار إحياء التراث العربي (بيروت)].

(٦٩) **روضة النَّاظِرين عن مآثر علماء «نجد» وحوادث السنين** ـ محمد بن عثمان القاضي ـ مطبعة الحلبي (القاهرة) ـ ط الثَّالثة (١٤٠٣هـ).

(٧٠) **روضة النَّاظِرين عن مآثر علماء «نجد» وحوادث السنين (٣)** ـ محمد بن عثمان القاضي ـ النَّاشر: المؤلف (عنيزة) ـ ط الأولى (١٤١٩هـ).

(٧١) **الزُّهد والرقائق** ـ عبد الله بن المبارك المروزي ت (١٨١هـ) ـ ت. حبيب الرحمن الأعظمي ت (١٤١٢هـ) ـ دار الكتب العلمية (بيروت) ـ ط الثانية (١٤٢٥هـ).

(٧٢) **الزُّهد** ـ وكيع بن الجرَّاح بن مليح (١٩٧هـ) ـ د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ـ مكتبة الدَّار (المدينة المنورة) ـ ط الأولى (١٤٠٤هـ).

(٧٣) **الزُّهد** ـ أحمد بن محمد الشيباني (ابن حنبل) ت (٢٤١هـ) ـ دار الكتب العلمية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ).

(٧٤) **الزُّهد** ـ هنَّاد بن السري الكوفي ت (٢٤٣هـ) ـ ت. د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ـ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي (الكويت) ـ ط الأولى (١٤٠٦هـ).

(٧٥) **الزُّهد** ـ سليمان بن الأشعث السِّجستاني (أبو داود) ت (٢٧٥هـ) ـ ياسر بن إبراهيم بن محمد، وآخرَيْن ـ دار المشكاة (حلوان) ـ ط الأولى (١٤١٤هـ).

(٧٦) **الزُّهد (كتاب فيه ذكر الدنيا والزُّهد فيها والصمت وحفظ اللسان والعُزلة)** ـ أحمد بن عمرو الشيباني (ابن أبي عاصم) ت (٢٨٧هـ) ـ ت. د. عبد العلي عبد الحميد ـ الدار السلفية (بومباي) ـ ط الأولى (١٤٠٣هـ).

(٧٧) **السَّلفيِّون في مصر** ـ محمد حامد محمد ـ منشور على «الإنترنت» دون بيانات نشر، ولم تظهر عليه أرقام الصفحات.

(٧٨) **السُّنن** ـ محمد بن يزيد القزويني ت (٢٧٣هـ) ـ ت. خليل مأمون شيحا ـ دار المعرفة (بيروت) ـ ط الثانية (١٤١٨هـ).

(٧٩) **السُّنن** ـ سليمان بن الأشعث السِّجِسْتَاني (أبو داود) ت (٢٧٥هـ) ـ ت. عزت عبيد الدَّعَّاس، ورفيقه ـ دار الحديث (بيروت) ـ ط الأولى (١٣٩١هـ).

(٨٠) **السُّنن (الجامع الصحيح)** ـ محمد بن عيسى بن سَوْرَة (الترمذي) ت (٢٧٩هـ) ـ ت. أحمد بن محمد شاكر، وآخرين ـ مطبعة البابي الحلبي (القاهرة) ـ ط الثانية (١٣٩٥هـ).

(٨١) **السُّنن** ـ علي بن عمر الدارقطني ت (٣٨٥هـ) ـ ت. شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٤هـ).

(٨٢) **السُّنن الكُبرى** ـ أحمد بن الحسين البيهقي ت (٤٥٨هـ) ـ ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية (حيدر آباد) ـ ط الأولى (١٣٤٤هـ).

(٨٣) **سِيَر أعلام النُّبلاء** ـ محمد بن أحمد الذهبي ت (٧٤٨هـ) ـ ت. شعيب الأرنؤوط، وآخرين ـ مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط الثانية (١٤٠٢هـ).

(٨٤) **سِير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرَّابع عشر ـ للهجرة** ـ عمر بن يحيى عبد الجبار ت (١٣٩١هـ) ـ تهامة (جدة) ـ ط الثَّالثة (١٤٠٣هـ).

(٨٥) **شجرة النُّور الزَّكيَّة في طبقات المالكيَّة** ـ محمد بن محمد مخلوف ت (١٣٦٠هـ) ـ المطبعة السلفيَّة (القاهرة) ـ ط الأولى (١٣٤٩هـ). [تصوير: دار الفكر (بيروت)].

(٨٦) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ـ عبدالحي بن أحمد الدِّمشقي (ابن العماد) ت (١٠٨٩هـ) ـ محمود بن عبدالقادر الأرنؤوط ـ دار ابن كثير (دمشق) ـ ط الأولى (١٤١٣هـ).

(٨٧) **شرح السُّنَّة** ـ الحسين بن مسعود البغوي ت (٥١٦هـ) ـ ت. شعيب الأرنؤوط، وآخر ـ المكتب الإسلامي (بيروت) ـ ط الثَّانية (١٤٠٣هـ).

(٨٨) **شرح «صحيح البُخاري»** ـ علي بن خلف القرطبي (ابن بطَّال) ت (٤٤٩هـ) ـ ت. ياسر بن إبراهيم ـ مكتبة الرشد (الرياض) ـ ط الثانية (١٤٢٣هـ).

(٨٩) **شرح «العقيدة الطحاوية»** ـ علي بن علي (ابن أبي العز) ت (٧٩٢هـ) ـ ت. أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وآخر ـ مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط الثانية (١٤١١هـ).

(...) شُعب الإيمان = الجامع لشعب الإيمان.

(٩٠) **الشِّعر والشُّعراء** ـ عبد الله بن مسلم الدِّينَوَرِي (ابن قُتيبة) ت (٢٧٦هـ) ـ ت. أحمد ابن محمد شاكر ت (١٣٧٧هـ) ـ دار المعارف (القاهرة) ـ ط الثانية (١٣٨٦هـ).

(٩١) **الشَّقائق النُّعْمانية في عُلماء «الدَّولة العثمانية»** ـ أحمد بن مصطفى الرُّومي (طاش كبرى زاده) ت (٩٦٨هـ) ـ دار الكتاب العربي (بيروت) ـ ط (١٣٩٥هـ).

(٩٢) **الشيخ محمد أمين الشِّنقيطي ١٢٩٣ ـ ١٣٥١هـ (من أعلام الفكر الإسلامي في «البصرة»)** ـ عبد اللطيف الدّليشي ـ الخالدي ـ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (العراق) ـ ط الأولى (١٤٠١هـ).

(٩٣) **صحيح البخاري** ـ محمد بن إسماعيل البُخاري ت (٢٥٦هـ) ـ ت. محب الدين الخطيب، وآخرَيْن ـ المطبعة السَّلفية ومكتبتها (القاهرة) ـ ط الأولى (١٤٠٠هـ).

(...) صحيح ابن حِبَّان ـ محمد بن حِبَّان البُسْتِي ت (٣٥٤هـ) = الإحسان في تقريب: «صحيح ابن حِبَّان».

(٩٤) **صحيح مسلم** ـ مسلم بن الحجاج القشيري ت (٢٦١هـ) ـ ت. محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الحديث (القاهرة) ـ ط الأولى (١٢١٢هـ).

(٩٥) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ـ محمد بن عبدالرحمن السَّخاوي ت (٩٠٢هـ) ـ دار الكتاب الإسلامي (القاهرة) ـ [تصوير].

(٩٦) **طبقات الشافعيَّة الكبرى** ـ عبدالوهاب بن علي السُّبكي ت (٧٧١هـ) ـ ت. أ. د. عبدالفتاح محمد الحلو، وآخر ـ دار إحياء الكتب العربية (القاهرة) ـ ط الأولى (١٣٨٣هـ).

(٩٧) **طبقات النَّسَّابين** ـ د. بكر بن عبد الله أبو زيد ت (١٤٢٩هـ) ـ مكتبة ابن رشد (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ).

(٩٨) **العقيدة الطَّحاوية** ـ أحمد بن محمد الطَّحاوي ت (٣٢١هـ) ـ دار ابن حزم (بيروت) ـ ط الأولى (١٤١٦هـ).

(٩٩) **العِلل** ـ عبدالرحمن بن محمد الرازي (ابن أبي حاتم) ت (٣٢٧) ـ ت. أ. د. سعد بن عبدالله الحميد، وآخر ـ مؤسسة الجريسي ـ (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٢٧هـ).

(١٠٠) **العِلل الواردة في الأحاديث النبوية** ـ علي بن عمر الدارقطني ت (٣٨٥هـ) ـ ت. د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي ـ دار طيبة (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٠٥هـ).

(١٠١) **عُلماء الحنابلة (من الإمام أحمد إلى وفيات عام: ١٤٢٠هـ)** ـ د. بكر بن عبد الله أبو زيد ت (١٤٢٩هـ) ـ دار ابن الجوزي (الدمام) ـ ط الأولى (١٤٢٢هـ).

(١٠٢) **عُلماء «نجد» خلال ثمانية قرون** ـ عبد الله بن عبد الرحمن آل بَسَّام ت (١٤٢٣هـ) ـ دار العاصمة (الرِّياض) ـ ط الثانية (١٤١٩هـ).

(١٠٣) **عمل اليوم والليلة** ـ أحمد بن محمد الدِّينَوَري (ابن السُّنِّي) ت (٣٦٤هـ) ـ ت. بشير محمد عيون ـ مكتبة دار البيان (دمشق)، ومكتبة المؤيد (الطائف) ـ ط الأولى (١٤٠٧هـ).

(١٠٤) **عناية الملك عبد العزيز بـ «القرآن الكريم» وعلومه** ـ أ. د. محمد بن عبد الله السلمان ـ بحث مقدم لندوة: «عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه بالمدينة المنورة» ـ منشور على «الإنترنت».

(١٠٥) **غاية النِّهاية في طبقات القُرَّاء** ـ محمد بن محمد الجَزَرِي ت (٨٣٣هـ) ـ ت. ج. براجستراسر ـ دار الكتب العلمية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٧هـ).

(١٠٦) **تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين (١٩٢٠ ـ ١٩٤٠م)** ـ أحمد أنور سيد أحمد الجندي ت (١٤٢٢هـ) ـ دار الاعتصام (القاهرة) ـ ط (بدون).

(١٠٧) **الفتح الرباني لترتيب: «مسند» الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني** ـ أحمد بن عبدالرحمن البنا السَّاعاتي ت (١٣٧٨هـ) ـ ط الثانية ـ [تصوير: دار إحياء التراث العربي (بيروت)].

(١٠٨) **الفِكر السَّامي في تاريخ «الفقه الإسلامي»** ـ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ت (١٣٧٦هـ) ـ ت. أيمن صالح شعبان ـ دار الكتب العلمية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤١٦هـ).

(١٠٩) **فِهرس «الخزانة التيمورية»**[1].

(١١٠) **فِهرس الفهارس والأثبات ومُعجم المعاجم والمشْيَخات والمُسلسلات** ـ عبد الحي بن عبد الكبير الكتَّاني ت (١٣٨٢هـ) ـ ت. د. إحسان رشيد عباس ت (١٤٢٤هـ) ـ دار الغرب الإسلامي (بيروت) ـ ط الثانية (١٤٠٢هـ).

(١) النقل منه بواسطة مُقدمة مُحقِّق: «منهج السالك إلى بيت الله المبجل» للدمنهوري.

(١١١) **القاموس المحيط والقابوس الوسيط** ـ محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت (٨١٧هـ) ـ مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط السَّادسة (١٤١٩هـ).

(١١٢) **قصة طباعة «المغني» و «الشرح الكبير»** ـ د. عبدالله بن محمد الشمراني ـ منشور على موقع المقنع [www.Almoqnea.com].

(١١٣) **القول الحسن شرح: «بدائع المِنن»** ـ أحمد بن عبدالرحمن البنا السَّاعاتي ت (١٣٧٨هـ) ـ [مطبوع مع متنه: «بدائع المِنن» الآتي للمُصنِّف نفسِه].

(...) كتاب الزُّهد = الزُّهد.

(...) كتاب العِلل = العِلل لابن أبي حاتم.

(١١٤) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ـ جار الله ابن محمود الزمخشري ت (٥٣٨هـ) ـ ت. عادل أحمد عبد الموجود، وآخر ـ مكتبة العبيكان (الرياض) ـ ط الأولى (١٤١٨هـ).

(١١٥) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ـ مصطفى بن عبدالله الرُّومي (حاجي خليفة) ت (١٠٦٧هـ) ـ المطبعة الإسلاميّة (طهران) ـ ط (١٣٨٧هـ) ـ [تصوير: دار الكتب العلميَّة (بيروت) ـ ط (١٤١٣هـ)].

(١١٦) **لسان العرب** ـ محمد بن مكرم بن منظور ت (٧١١هـ) ـ دار صادر (بيروت) ـ ط الأولى (١٤١٠هـ) ـ [تصوير: دار الفكر (بيروت)].

(١١٧) **لسان «الميزان»** ـ أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ت (٨٥٢هـ) ـ ت. عبد الفتاح أبو غُدَّة ت (١٤١٧هـ) ـ دار البشائر الإسلامية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٣هـ).

(١١٨) **لمحات من الماضي** ـ عبدالله بن عبدالغني خيَّاط ت (١٤١٥هـ) ـ دارة الملك عبدالعزيز (الرياض) ـ ط (١٤٢٥هـ).

(١١٩) **المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر وبعض تلاميذهم** ـ إبراهيم بن محمد السيف ـ ت. حسان بن إبراهيم السيف ـ دار العاصمة (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٢٦هـ).

(...) محمد أمين الشِّنقيطي = الشيخ محمد أمين الشِّنقيطي.

(١٢٠) **المدخل إلى مذهب الإمام أحمد** ـ عبد القادر بن أحمد (ابن بدران) ت (١٣٤٦هـ) ـ ت. أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التُّركي ـ مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط الثَّالثة (١٤٠٥هـ).

(١٢١) **المدخل المفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب** ـ

(١٢٢) د. بكر بن عبد الله أبو زيد ت (١٤٢٩هـ) ـ دار العاصمة (الرِّياض) ـ ط الأولى (١٤١٧هـ).

(١٢٣) **مدرسة «دار الحديث المكية» بـ «مكة المكرمة» (دراسة تاريخية تقويمية)** ـ مريم بنت راجح ـ بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير ـ سنة: (١٤٢٥هـ) ـ كلية التربية بجامعة أم القرى ـ سنة: (١٤٢٥هـ) ـ منشور على «الإنترنت».

(١٢٤) **مُذكِّرات محمد أمين فال الخير الحَسَني الشِّنقيطي مُؤسس «مدرسة النجاة» في «الزُّبير» (كتبها في مدينة «عُنيزة» سنة: ١٣٣٦هـ ـ ١٩١٨م)** ـ محمد أمين فال الله الشِّنقيطي ت (١٣٥١هـ) ـ ت. عبد الرحمن بن صالح الشبيلي ـ مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي (الكويت) ـ ط الأولى (١٤٣٦هـ).

(١٢٥) **المذهب الحنبلي ـ دراسة في تاريخه، وسِماته، وأشهر أعلامه، ومُؤلَّفاته ـ** أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التُّركي ـ مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٣هـ).

(١٢٦) **المُستدرك على: «تتمة الأعلام»** ـ محمد خير رمضان يوسف ـ [مطبوع بذيل: «تتمة الأعلام» السابق].

(١٢٧) **المُستدرك على: «الصَّحِيحَيْن»** ـ محمد بن عبد الله الحاكم ت (٤٠٥هـ) ـ مجلس دائرة المعارف النظامية (حيدر آباد الدكن) ـ ط الأولى (١٣٣٥هـ) ـ [تصوير: دار المعرفة (بيروت)].

(١٢٨) **المُسند** ـ مُسدد بن مسربل البصري ت (٢٢٨هـ) ـ [مطبوع ضمن «المطالب العالية» الآتي].

(١٢٩) **المُسند** ـ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ت (٢٣٥هـ) ـ عادل بن يوسف الغزاوي، وآخر ـ دار الوطن (الرياض) ـ ط الأولى (١٤١٨هـ).

(١٣٠) **المُسند ـ** إسحاق بن إبراهيم المَرْوَزي (ابن راهويه) ت (٢٣٨هـ) ـ ت. عبد الغفور عبد الحق حسين البَلُوشي ـ مكتبة الإيمان (المدينة المنورة) ـ ط الأولى (١٤١٢هـ).

(١٣١) **المُسند ـ** أحمد بن محمد بن حنبل ت (٢٤١هـ) ـ ت. شعيب الأرنؤوط، وآخرين ـ مؤسسة الرِّسالة (بيروت) ـ ط الثَّانية (١٤٢٠هـ).

(١٣٢) **المُسند ـ** أحمد بن علي الموصلي (أبو يعلى) ت (٣٠٧هـ) ـ ت. حسين سليم أسد ـ دار المأمون للتراث (دمشق)، ودار الثقافة العربية (دمشق) ـ ط الثانية (١٤١٠هـ).

(...) مُسند البزَّار = البحر الزَّخَّار.

(١٣٣) **مُسند أحمد؛ طبعاته وما لحثه من أعمال ـ** د. عبدالله بن محمد الشمراني ـ منشور على موقع المقنع [www.Almoqnea.com].

(١٣٤) **مسيرة الشيخين محمد عبد الظاهر وأخيه عبد المهمين إمامَيْ وخطيبَيْ «المسجد الحرام» وجهودهُما العِلمية ـ** عبد المحسن بن ردة الصاعدي ـ جامعة أم القرى (مكة المكرمة) ـ ط الأولى (١٤٢٥هـ)[1].

(١) النقل منه بواسطة بحث: «مدرسة دار الحديث المكية»، السابق.

(١٣٥) **مشاهير علماء «نجد» وغيرهم** ـ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ت (١٤٠٦هـ) ـ دار اليمامة (الرِّياض) ـ ط الأولى (١٣٩٢هـ).

(١٣٦) **المُصنَّف في الأحاديث والآثار** ـ عبد الله بن محمد (ابن أبي شيبة) ت (٢٣٥هـ) ـ ت. كمال يوسف الحوت ـ مكتبة الرشد (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٠٩هـ).

(١٣٧) **المطالب العالية بزوائد: «المسانيد» الثمانية** ـ أحمد بن علي العسقلاني (ابن حجر) ت (٨٥٢هـ) ـ ت. أ. د. سعد بن ناصر الشثري، وآخرين ـ دار العاصمة (بالرياض)، ودار الغيث (الرياض) ـ ط الأولى (١٤١٩هـ).

(١٣٨) **معاني «القرآن»** ـ يحيى بن زياد الفرَّاء ت (٢٠٧هـ) ـ ت. محمد علي النَّجار، وآخر ـ عالم الكتب (بيروت) ـ ط الثالثة (١٤٠٣هـ).

(١٣٩) **مُعجم الأُدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)** ـ ياقوت بن عبدالله الحموي ت (٦٢٦هـ) ـ ت. د. إحسان عباس ـ دار الغرب الإسلامي (بيروت) ـ ط الأولى (١٩٩٣م).

(١٤٠) **مُعجم البُلدان** ـ ياقوت بن عبدالله الحموي ت (٦٢٦هـ) ـ دار صادر (بيروت) ـ ط (١٣٧١هـ) ـ [تصوير].

(١٤١) **معجم «مصنفات الحنابلة» (من وفيات ٢٤١ ـ ١٤٢٠هـ)** ـ أ. د. عبد الله بن محمد الطريقي ـ النَّاشر: المؤلف (الرِّياض) ـ ط الأولى (١٤٢٢هـ).

(١٤٢) **معجم المطبوعات العربيَّة والمُعرَّبة** ـ يوسف بن إليان سَرْكِيس ت (١٣٥١هـ) ـ مطبعة سَرْكِيس (مصر) ـ ط (١٣٤٦هـ). [تصوير: دار صادر (بيروت)].

(١٤٣) **معجم المناهي اللفظية** ـ د. بكر بن عبد الله أبو زيد ت (١٤٢٩هـ) ـ دار العاصمة (الرياض) ـ ط الثالثة (١٤١٧هـ).

(١٤٤) **معجم المؤلِّفين** ـ عمر رضا كحَالة ت (١٤٠٨هـ) ـ مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط الأولى (١٤١٤هـ).

(١٤٥) **المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات** ـ محمد بن عبد الرحمن المغراوي ـ مؤسسة الرسالة (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ).

(١٤٦) **المقابلة بين الهُدَى والضَّلال (حول ترحيب الكوثري بنقد «تأنيبه»)** ـ محمد بن عبد الرَّزَّاق حمزة (١٣٩٢هـ) ـ ت. عبد الله بن صالح المدني ـ المكتب الإسلامي (بيروت) ـ ط الثَّانية (١٤٠٦هـ) [مطبوع في مقدمة «التنكيل» للمعلمي].

(١٤٧) **المقالات السَّلفية لفضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السَّمح إمام وخطيب «المسجد الحرام» ومُؤسِّس «دار الحديث الخيرية» بـ «مكة»**

(**من تراث أعلام الدعوة السَّلفية بـ «مصر»**)[1] ـ دار سبيل المؤمنين (القاهرة) ـ ط الأولى (١٤٣٢هـ).

(١٤٨) **من أعلام الدعوة... محمد عبد الظاهر أبو السَّمح** ـ فتحي أمين عثان ـ مجلة التوحيد؛ السنة: (٢٤)؛ العدد: (٩)؛ سنة: (١٤١٦)؛ (ص ٤٥ ـ ٤٧).

(١٤٩) **منهج المدرسة العقلية في التفسير** ـ أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ـ الناشر: المؤلف ـ ط الثانية (١٤٠٣هـ).

(١٥٠) **موسوعة أسبار للعلماء والمتخصِّصين في الشريعة الإسلاميَّة في: «المملكة العربيَّة السُّعوديَّة»** ـ دار أسبار للدِّراسات والبحوث والإعلام (أسبار) ـ ط الأولى (١٤١٩هـ).

(١٥١) **المُوشَّح في مآخِذ العُلماء على الشُّعراء** ـ محمد بن عِمران المرزَباني (٣٨٤هـ) ـ ت. محمد حسين شمس الدين ـ دار الكتب العلمية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤١٥هـ).

---

(١) نُشر الكتابُ، ولم أجدْ على غِلافه، ولا في مقدمته اسم المُعتني به. وأخبرني أحدُ طلبة العِلم من المُهتمِّين بالإرث العِلمي لـ «جماعة أنصارا لسُّنة المحمدية»، بأنَّ المُعْتني بجمع هذه «المقالات»، هو الشيخ: محمد عوض عبدالغني المصري.

(١٥٢) **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** ـ محمد بن أحمد الذهبي ت (٧٤٨هـ) ـ ت. علي محمد البجاوي ـ [تصوير: دار المعرفة (بيروت)].

(١٥٣) **نثر الدُّرر في تذييل «نظم الدُّرر»** ـ عبد الله بن محمد الغازي ت (١٣٦٥هـ) ـ ت. أ. د. عبد الملك بن عبد الله ابن دهيش ت (١٤٣٤هـ) ـ المكتبة الأسدية (مكة المكرمة) ـ ط الأولى (١٤٣٤هـ).

(١٥٤) **نثر القلم في تاريخ «مكتبة الحرم»** ـ محمد بن عبدالله باجودة ـ مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض) ـ ط الأولى (١٤٢٣هـ).

(١٥٥) **نثير الجمان في شعر مَن نَظَمَنِي وإياه الزمان (أعلام المغرب والأندلس)** ـ الأمير إسماعيل بن الأحمر الأندلسي ت (٨٠٧هـ) ـ ت. د. محمد رضوان الداية ـ مؤسسة الرسالة ـ ط الأولى (١٣٩٦هـ).

(١٥٦) **نيل الابتهاج بتطريز «الديباج»** ـ أحمد بابا بن أحمد التِّنْبَكتي ت (١٠٣٦هـ) ـ ت. د. عبد الحميد بن عبد الله الهرَّامة ـ دار الكاتب (طرابلس) ـ ط الثانية (٢٠٠٠م).

(١٥٧) **هدية العارفين أسماء المؤلِّفين وآثار المصنفين من: «كشف الظنون»** ـ إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي ت (١٣٣٩هـ) ـ المطبعة الإسلاميّة (طهران) ـ ط (١٣٨٧هـ) ـ [تصوير: دار الكتب العلميَّة (بيروت) ـ ط (١٤١٣هـ)].

(١٥٨) **الوافي بالوَفَيَات** ـ خليل بن أَيْبَك الصَّفَدي ت (٧٦٤هـ) ـ ت. أحمد الأرنؤوط، وآخر ـ دار إحياء التراث العربي (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٠هـ).

(١٥٩) **وِسَام الكَرَم في تراجم أئمة وخُطَباء الحَرَم (تراجم أئمة وخُطَباء «المسجد الحرام» عبر العصور)** ـ يوسف بن محمد الصُّبْحي ـ دار البشائر الإسلامية (بيروت) ـ ط الأولى (١٤٢٦هـ).

(١٦٠) **وَفَيَات الأعيان وأنباء الزمان** ـ أحمد بن محمد الإربلي (ابن خَلِّكَان) ت (٦٨١هـ) ـ ت. د. إحسان عباس ـ دار صادر (بيروت) ـ [تصوير: دار الفكر (بيروت)].

* **المجلات والدُّورِّيات:**

(١٦١) **مجلة التوحيد** ـ فتحي أمين عثمان: «من أعلام الدعوة... محمد عبد الظاهر أبو السَّمح»؛ السنة: (٢٤)؛ العدد: (٩)؛ سنة: (١٤١٦)؛ (ص ٤٥ ـ ٤٧).

(١٦٢) **مجلة المنار (مجلة شهرية إسلامية إصلاحية علمية منوعة)** ـ محمد رشيد رضا ت (١٣٥٤هـ) ـ ابتداءً من (١٣١٥هـ) ـ مطبعة المنار (القاهرة).

(١٦٣) **مجلة العرب (مجلة ف صلية تاريخية تراثية)** ـ مقال في المجلد (٧) صفحة: (٩٤٧).

(١٦٤) **صحيفة أُم القرى (رسمية يومية)** ـ المملكة العربية السعودية (مكة المكرمة) ـ وفاة الشيخ عبد الظاهر أبو السَّمح ـ تاريخ: (١٣/ ٧/ ١٣٧٠هـ)[١].

(١٦٥) **صحيفة الرياض (يومية)** ـ المملكة العربية السعودية (الرياض) ـ مقال: «عبد الظاهر أبو السَّمح... المُعلِّم والإمام» ـ أ. صلاح الزامل ـ يوم الجمعة الموافق: (٢٥/ ١/ ١٤٤٠هـ)؛ عدد: (١٨٣٦٥).

(١٦٦) **صحيفة عكاظ (يومية)** ـ المملكة العربية السعودية (جدة) ـ الزَّاوية اليومية «مع الفجر» ـ أ. عبد الله عمر خياط ـ مقال: «أبو السَّمح في ذمة الله» مقال في تأبين صديقه: أ. عبد الله أبو السمح ـ يوم الخميس الموافق: (٢٠/ ٢/ ١٤٣٩هـ).

(١٦٧) **صحيفة البلاد (يومية)** ـ المملكة العربية السعودية (جدة) ـ عدد: (٧٤١٤)؛ بتاريخ: (٥/ ١١/ ١٤٠٣هـ) ـ صورة خطابان ملكيِّان؛ برقم: (٦٢)؛ وتاريخ: (١/ ٢/ ١٣٥٢هـ)، وبرقم: (٦٥)؛ بتاريخ: (٣/ ٢/ ١٣٥٢هـ)[٢].

---

(١) النقل منها بواسطة كتاب: «معجم المطبوعات العربية في المملكة»، السابق.

(٢) النقل منها بواسطة كتاب: «المبتدأ والخبر»، السابق.

(١٦٨) **صحيفة المدينة (يومية)** ـ المملكة العربية السعودية (جدة) ـ الشيخ أحمد علي الكاظمي ت (١٤١٣هـ) ـ مقال: «كلمة رثاء» يرثيه فيه الشيخ أبو السمح ـ بتاريخ: (١٥/ ٧/ ١٣٧٠هـ)[١].

* **المواقع الإلكترونية**[٢]:

(١٦٩) ـ موقع: «رابطة أدباء الشام».

(١٧٠) ـ موقع: «الألوكة».

(١٧١) ـ موقع: «صيد الفوائد».

(١٧٢) ـ موقع: «مجلة سنابل الأدبية».

(١٧٣) ـ موقع: «علماء مكة».

* * * *

(١) النقل منها بواسطة كتاب: «معجم المطبوعات العربية في المملكة»، السابق.

(٢) سأكتفي بذكر المواقع التي تمت الإحالة إليها فقط.

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ وَالفَوَائِدِ

الموضوع	الصفحة
المقدمة ـ المدخل إلى الموضوع	٥
سبب التأليف في سيرة الشيخ عبدالظاهر أبو السمح	٦
خطة البحث	٨
التوطئة: قصة الصِّراع بين الحقِّ والباطل	١١
إرسال الرسل عليهم السلام من كمال عدل الله عليه السلام	١٣
أثر الكِبْر في الصِّد عن الحق، ومثاله، ودليله	١٣
قصص مناوئي الحقِّ وأهلِه، وانتصارُ أهلِ الحقِ عليهم	١٤
موجز لحياة وجهاد وانتصار الشيخ عبدالظاهر أبو السمح	١٥
التمهيد: دراسة تحليلية لمصادر ترجمة عبدالظاهر أبو السمح	١٦
أصناف من ترجم له	١٧
تحليل ما وقفتُ عليه من مصادر ترجمته	١٧
أهمية السيرة الذاتية	١٧
تميّز ترجمة د. تقي الدين الهلالي، وتضمّنها مشاهدات حصرية	١٨
استفادت المتأخرين من ترجمة الزركلي	١٩
انفراد بعضِ المترجِمين بمعلومات وخصائص للترجمة	١٩
سرد مصادر ترجمته	٢١

ترجمة كحالة هي نفسُها ترجمة الزركلي بنصِّها وحرْفِها	٢٤
أهمية كتاب «خطابات حسن البنا» في الترجمة	٢٦
مصادر ترجمته من «الصحف»، و «المجلات»	٢٩
المبحث الأول: حياته الخاصة	**٣٣**
اسمه، ونسبه، ولقبه	٣٤
الاسم المركب، وإضافة «محمد» قبل الاسم للتبرّك	٣٤
تنبيه في ضبط لقب «أبو السمح»، واضطرابُ المترجمين فيها	٣٥
مولده	٣٧
الخلاف في تاريخ ميلاده، وتحقيقه	٣٧
أُسرته	٤٠
يَنتمي إلى أُسرة مُتديِّنة، لها اهتمامٌ بـ «كتاب الله»	٤٠
شقيقَيْ عبدالظاهر أبو السمح، ونُبذةٌ عنهما	٤٠
زوجاته وأبناؤه	٤١
زوجته «حبيبة»، شقيقة العلامة محمد عبدالرزاق حمزة	٤١
حصوله على «الجنسية السعودية»، وأسبابها	٤٥
تقدير «المملكة» لأهل العِلم، ورعايتُهم	٤٥
مرضه ووفاته	٤٧
أسباب وفاته، وتحديد وقتها، ومكانها	٤٧
برقية الملك عبدالعزيز في تعزية أبو السمح، وحلمه مع ابنه	٤٨

المبحث الثاني: نشأته العلمية، ورحلاته العلمية، وشيوخه ٥٠
دراسته في «الكُتَّاب» ٥١
وصلةٌ بين التعليم الديني والدنيوي ٥١
وصية والدُه له قبل إلى إرساله إلى «الأزهر» ٥٢
حِرص والدِه على تعليمه صنعةً؛ لكي لا يأكل بـ «القرآن»! ٥٢
دخوله «الأزهر» ٥٢
العلوم التي درسها في «الأزهر» ٥٣
الكلام على «العقيدة السنوسية»، وأنَّها كتابان (ح) ٥٣
تحقيق نسب العالم السنوسي، وأنَّه ليس من «الأشراف» (ح) ٥٣
الكلام على متن «أبو شجاع»، ومُصنِّفه (ح) ٥٤
الكلام على متن «الآجُرُّومية»، ومُصنِّفها (ح) ٥٥
معنى «ابن آجُرُّوم» بلُغة «البربر» ٥٥
الكلام على «ألفية ابن مالك»، ومُصنِّفه (ح) ٥٥
الكلام على متن «الشاطبية»، ومُصنِّفها (ح) ٥٦
خروجه من «الأزهر» ٥٦
وقفةٌ تربويةٌ عظيمةٌ لأُمِّ أبو السمح ٥٦
عودته إلى «القاهرة» ٥٧
نماذج لدور «المرأة» في نُبوغ العُلماء (ح) ٥٧
مشايخه ٥٨

ترجمة الشيخ المُقرئ: محمد البيومي	٥٨
الكلام على متن «طيبة النشر» «والدُّرَّة»، ومُصنِّفهما (ح)	٥٩
مشايخه في «الأزهر»	٦٠
اتصاله بمفتي «مصر»، الشيخ محمد عبده، وبيان فِكره	٦١
اهتمامه ـ في «الأزهر» ـ بالمتون حفظًا ودرسًا	٦٣
انقطاعه عن «القِراءة»، وسببه	٦٤
دخوله «مدرسة عبدالعزيز»، والتعريف بها، وتاريخها	٦٤
اتصاله بالشِّنقيطي، وتغيّر فِكره	٦٦
ترجمة العلامة: محمد أمين فال الله الشنقيطي	٦٦
اتصاله بالعلامة: رشيد رضا، وترجمته	٦٨
تاريخ «دار الدعوة» لرشيد، وإغلاق الإنجليز لها (ح)	٦٨
شيوخه بعد وصوله «الحجاز»	٧١
سماحة الشيخ: عبدالله بن حسن آل الشيخ، وترجمته	٧١
العلامة: محمد الحضرمي الشِّنقيطي	٧٢
المبحث الثالث: عقيدته، ومذهبه الفقهي	**٧٥**
مُبتدأ أمرِه في «الاعتقاد»	٧٦
قِصَّة تبَنِّيه «المعتقد السَّلَفي»	٧٦
ترجمة الأديب المُربِّي: عُمر عبدالجبار (ح)	٧٧
تأثُّر أبو السمح بكتاب «المُحلَّى»، وخروجه من «التقليد»	٧٨

تأثُّره بكتب ابن تيمية وابن القيِّم	٧٩
صغر عمر الشنقيطي وأبو السمح، حينما التقيا	٨٠
عرضُ إشكالٍ حول تاريخ التقاء أبو السمح بالشنقيطي	٨١
صورةٌ عامَّة عن منهجِه في «الاعتقاد»	٨٢
المواضيع التي تطرَّق لها ونصرها في باب الاعتقاد	٨٢
مسائل توحيد الألوهية	٨٢
مسائل الفِرَق	٨٣
مسائل الأسماء والصفات	٨٤
مسائل بدع العبادات	٨٥
الجهاد العَقَدي	٨٦
الإيمان والتكفير	٨٦
منهجه في جهاده العِلمي في العقيدة	٨٧
مذهبه الفقهي	٩٢
كان على «شافعيًا»، ثم صار على منهج «أهل الحديث»	٩٢
المبحث الرابع: تلاميذه، وأثرُه فيهم	**٩٤**
درَّس في مدارس بـ «القاهرة» و «الإسكندرية» و «مكة»	٩٥
العلامة المُحدِّث: محمد بن عبدالرزاق حمزة، وترجمته	٩٦
هو صاحب فكرة تأسيس «مرصد فلكي» في «مكة» (ح)	٩٦
ألف كتاب «ظُلمات أبي رية»، وهو مريض دون مَراجعَ (ح)	٩٧

العلامة، الفقيه: عبدالله بن حُميد	٩٨
الشيخ، القارئ: عبدالله خياط، وترجمته	٩٨
العلامة الفقيه: علي الهندي، وترجمته	٩٩
الشيخ، الفقيه: محمد البسَّام، وترجمته	١٠٠
أثر أبو السمح في طلابه	١٠٠
أثره في تلميذه الشيخ: محمد بن عبدالرزاق حمزة	١٠١
أثره في تلميذه الشيخ: عبدالله خيَّاط	١٠٢
المبحث الخامس: أعماله	**١٠٥**
أولاً: التدريس في «مصر»	**١٠٦**
معنى «القِبْلي» و «البحري» في «مصر» (ح)	١٠٦
تواجد الإيرانيين في مصر، وزواج الأميرة فوزية والشاه (ح)	١٠٧
تدريس أبو السمح لبنات إحدى الباشوات	١١٠
ثانيًا: أعماله في «مصر» غير التدريس	**١١٢**
أصل «مسجد أبي هاشم»	١١٢
تأسيس «جماعة أنصار السُّنة»!!	١١٣
ثالثًا: التدريس في «الحجاز»	**١١٤**
التعريف بـ «المعهد العلمي السعودي» (ح)	١١٥
رابعًا: أعمالُه في «الحجاز»، غير التدريس	**١١٦**
تولِّيه الإمامة والخطابة بـ «المسجد الحرام»	١١٦

إنشاؤه «دار الحديث الخيرية»	١١٧
مراجعته «مصحف مكة»	١١٨
خامسًا: أعمالٌ أُخرى	**١١٩**
نسجه الأقمشة البلدية، والمُعلَّمة (القباطي)	١١٩
صنعه «المناديل» النِّسائية، وسبب ذلك	١١٩
صنع المناديل النسائية؛ لكي لا يلجأ للتكسب بـ «القرآن»	١٢٠
المبحث السادس: تولِّيه الإمامة والخطابة بـ «المسجد الحرام»	**١٢١**
اهتمام «سُلطان نجد والحجاز» بشؤون «الحرمين»	١٢٢
وصول أبو السَّمح «الحجاز»، واختلاف الرِّوايات في ذلك	١٢٢
الرِّواية الأولى: يرويها أبو السمح نفسه	١٢٢
ترجمة وجيه «الحجاز» محمد نصيف (ح)	١٢٣
الرواية الثانية: يرويها محمد بن عبدالرزاق حمزة	١٢٤
ترجمة الشيخ فوزان السابق (ح)	١٢٥
الرواية الثالثة: يرويها عبدالرحمن آل الشيخ، وترجمته	١٢٦
الرواية الرابعة: يرويها إبراهيم السيف	١٢٧
حاصل القصة، والجمع بين الروايات	١٢٨
التوفيق بين التاريخين	١٢٩
تسهيل مُهمة أبو السمح للقدوم إلى «الحجاز»	١٣١
عدم عِلم بالوظيفة المُرشَّح عليها	١٣١

تولِّيه الإمامة والخطابة بـ «المسجد الحرام»، وما وقع له فيه	١٣٢
أبو السمح ثالث أئمة «الحرم»	١٣٢
أبو السمح أول ثلاثة مصريين أزهريِّين تولّوا إمامة «الحرم»	١٣٣
ترجمة عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ (ح)	١٣٣
تولية محمد بن عبدالرزاق حمزة إمامة «الحرمين الشريفين»	١٣٣
قوة صوت أبو السمح في صلاتِه بالناس، وتأثير خُطبِه	١٣٤
أبو السمح أوَّل من استعمل «مُكبِّرات الصوت»	١٣٥
ارتجال الشاب عبدالرحمن أبو السمح في الخطابة عن أبيه	١٣٦
انفرادُ أبو السمح بالإمامة والخَطابة	١٣٧
واقعةٌ عجيبةٌ تدلُّ على فقهه	١٣٨
منعُ الملكِ عبدالعزيز أبو السمح من ارتجال الخطبة	١٣٨
مُدةُ بقائِه في إمامة وخطابة «المسجد الحرام»	١٣٩
قراءتُه، ورخامة صوته، وبكاؤه في القِراءة، وأثرُه في الناس	١٣٩
المبحث السابع: إنشاؤه «دار الحديث الخيرية»، وتدريسه فيها	**١٤٣**
أهمية «الحديث»، ودَور «مدرسة أهل الحديث»	١٤٤
أشهر المدارس العلمية، وأهميتها، وأثر الغلو فيها	١٤٤
اجتهاد أبو السمح، وفكرة إنشاء «دار الحديث»	١٤٤
دور العالِمِ في التَّفكُّر فيما يحتاج إليه الناس	١٤٥
دور مُحدِّثي «الهند» في إنشاء «دار الحديث»	١٤٦

من فوائد «السِّيَر الذاتية»	١٤٧
حِكمة الملك عبد العزيز تسبق إنشاء «الدَّار»	١٤٧
الملك عبدالعزيز يؤيد تدريس «الحديث» بشرط!	١٤٩
الهمة العالية، ومقارنتها الإخلاص	١٥٥
بيان أبو السمح حول مدرسة «دار الحديث»	١٥٦
علوم «دار الحديث»	١٥٩
طريقة التعليم في «دار الحديث»	١٥٩
الأعضاء المستشارون	١٦٠
طريقة الإعانة المالية	١٦٠
الحسنات الجارية	١٦٣
المبحث الثامن: منهجه في الحُسْبة	**١٦٥**
احتسابُه في «هيئات مكة»	١٦٦
استقالته من «الهيئة»، وأسبابها	١٦٨
المبحث التاسع: مؤلفاته	**١٦٩**
الإنتاج العِلمي لأبو السمح، لا يُعبِّر عن سعة علمه	١٧٠
أولاً: الكتب التي ألَّفها	**١٧١**
١. «الرسالة المكِّية في الردِّ على: (الرسالة الرَّملية)»	١٧١
الرسالة تُعبِّر عن جزء هام من حياة الشيخ	١٧١
٢. «حياة القلوب بدعاء علام الغيوب»	١٧٢

رسالةٌ في «توحيد الألوهية» ١٧٢
حقيقة مظاهر «الشرك» بين عصر أبو السمح والإمام المُجدِّد ١٧٣
٣. «الأولياء والكرامات» ١٧٥
٤. «مناسك الحج وفق السُّنة المحمدية» ١٧٥
٥. «تفسير القرآن الكريم» ١٧٦
٦. «آداب تلاوة القرآن واستماعه» ١٧٦
٧. «رسالة الصلاة» ١٧٦
ثانيًا: الكتب التي ساهم في إخراجها ١٧٧
١. «عُمدة الفقه»؛ لابن قدامة ١٧٧
ترجمة ابن قدامة، ووصف كتابه ١٧٧
ترجمة الشيخ إبراهيم الشوري (ح) ١٧٨
٢. «الجواب الكافي لمن سأل عن الدَّواء الشَّافي» ١٧٩
٣. «الرسالة التبوكية»؛ لابن القيِّم ١٧٩
ترجمة محمد صالح نصيف (ح) ١٧٩
التعريف بـ «المطبعة السلفية» بـ «مكة» (ح) ١٨٠
٤. «شرح حديث أبي الدَّرداء ﷺ فيمن سَلك طريقًا يَلتمس فيه عِلمًا» ١٨٠
٥. «التعليق على المغني» لابن قدامة ١٨٠
ثالثًا: المقالات ١٨١

١. «الوسيلة الشرعية» ١٨١
حقيقتُها رسالةٌ نشرها على مقالاتٍ ١٨٢
٢. «المقالات السلفية» ١٨٢
رابعًا: قصائده ١٨٢
قصائد منوعة تضمَّنت معارف وعلوم ومراحل من حياته ١٨٣
خطُّ أبو السمح، ونَسْخُه ١٨٣
ثناء العلماء على خطه، وأمثلة لبعض ما نسخه من مخطوطات ١٨٣
المبحث العاشر: جهاده بقلمه، ومقالاته ١٨٥
تمهيد: حَمْل أبو السمح لهَمِّ أُمته وتوعيتها ١٨٦
متابعة العلماء لما يكتبه، وثناؤهم عليه ١٨٦
بداية كتاباته في «الصُّحف» و «المَجلَّات» ١٨٧
المحاور العلمية لـ «مقالاته» ١٨٨
أسماء «الصُّحف» و «المَجلَّات» التي كتب فيها ١٨٩
التعريف بـ «مجلة الإصلاح» (ح) ١٨٩
التعريف بـ «مجلة الهدي النبوي» (ح) ١٩٠
التعريف بـ «صحيفة الأخبار» (ح) ١٩٠
التعريف بـ «صحيفة وادي النيل» (ح) ١٩١
جمع «مقالاته» في كتابٍ ١٩٢
مقال «المنار والإصلاح» لأبو السمح ١٩٦

ثناء أبو السمح على «المنار»، ورشيد، وحسن البنا ١٩٧

المبحث الحادي عشر: مجادلته «أهل الحديث» في مسألة «التمذهب» ٢٠٠

تمهيدٌ: موقف أبو السمح الصريح من «الاتباع» و «التقليد» ٢٠١

مقال أبو السمح: (جماعة «أهل الحديث» في «الهند» حديثٌ مع بعضِهم) ٢٠٢

فتنٌ في «الهند» بين «أهل الحديث» و «الحنفية» ٢٠٢

غلو بعض «أهل الحديث» في مسألة «التقليد» ٢٠٣

إنصاف أبو السمح للمُقلِّدة من أتباع «المذاهب» ٢٠٣

حوار أبو السمح ـ بالحُجَّة ـ مع «أهل الحديث» من «الهند» ٢٠٣

انتقاصهم لـ «الأزهر»، ودفاع أبو السمح عنه ٢٠٩

حال «السلفيين» أتباع «الدليل» في «مصر »، وتسمية بعضهم ٢١٠

ترجمة المُحدِّث أحمد شاكر (ح) ٢١٠

المبحث الثاني عشر: بحثه لمسألة «فناء النار»، واختياره فيها ٢١٢

تحرير محل النزاع في مسألة «فناء النار» ٢١٣

اختلاف «السَّلف» في مسألة «فناء النار»، والأقوال فيها ٢١٤

المُصنَّفات في مسألة «فناء النار» ٢١٥

رأي العلامة رشيد رضا حول «فناء النار»، ومصادره ٢١٦

ابن القيِّم بحثَ المسألة، لم يختر أحدَ قولي السَّلف ٢١٨

انتقاد العُلماء لرشيد رضا	٢١٩
ترجمة الشيخ إبراهيم عريقات الأزهري (ح)	٢١٩
ترحيب رشيد رضا بنقده	٢٢٠
من اتساع صدر رشيد رضا؛ نشره لمقالات من يخالفه	٢٢١
قِراءةٌ في مقالَيْ أبو السَّمح	٢٢٢
المأخذ المقاصدي على نشر رشيد رضا لرأيه في المسألة	٢٢٢
المأخذ العلمي على رأي رشيد رضا في المسألة	٢٢٤
نَصُّ المقال الأول: «أبدية النار»	٢٢٥
تخريج عمر ﷺ: (يا ليتَ أُم عُمرَ لم تلدْ عُمرَ) (ح)	٢٢٩
تخريج أثر عمر ﷺ: (ليتني شجرةً تُعضد) (ح)	٢٣٠
تعقيب رشيد رضا على «مقال» أبو السَّمح	٢٣٨
نص المقال الثاني: «فناء النَّار والرد على ابن القيِّم»	٢٤٠
معنى «الخلود» في اللغة، في الحقيقة والمجاز	٢٤١
«الجنة» و «النار» ذُكِرتا في «القرآن» في سبعمائة آية	٢٤٢
لا عبرة ـ في التفسير ـ باصطلاحٍ أو عُرْفٍ يخالف أصل اللغة	٢٤٤
أبو السمح يَشُد قلمَه على ابن القيِّم	٢٥٤
المبحث الثالث عشر: قصائده	**٢٦٢**
بيان عناوين ما وقفتُ عليه من قصائده ومنظوماته	٢٦٣
القصيدة الأولى: «القصيدة الرملية»، والتعريف بها	٢٦٤

القصيدة الثانية: «يا صحاب الهَدْي إنَّ العُمْيَ قد كثُروا»، والتعريف بها ٢٧١

القصيدة الثالث: « القصيدة النونية في بيان الوسيلتَيْن الإسلامية والشِّركية»، والتعريف بها ٢٧٦

طبع القصيدة النونية ٢٧٦

شرح القصيدة ٢٧٧

مصدري في إثبات القصيدة ٢٧٧

تواصل الباحث مع حفيد الشيخ رشيد رضا (ح) ٢٧٧

الحذف من القصيدة عمدًا ٢٧٨

القصيدة الرابعة: « شعلةٌ أُطفِئت وشمسٌ توارت »، والتعريف بها ٢٩٢

القصيدة الخامس: «حياة القلوب بذكر الله»، والتعريف بها ٢٩٨

المبحث الرابع عشر: ثناء العلماء عليه ٣٠١

ذكر أقوال بعض من أثنوا عليه، ممن عرفه ٣٠٢

اعتبار أبو السمح من أكثر الدعاة إلى «السلفية» في «مصر» ٣٠٣

رثاءٌ أدبيٌّ جميل من صديقه وصِهره محمد بن عبدالرزاق حمزة ٣٠٨

المبحث الخامس عشر: المآخذ عليه، والدفاع عنه ٣١١

تمهيد في أنَّ ذكر المآخر؛ لا تدل على انتقاص المُتَرْجَم ٣١٢

ذِكر المآخذ على أبو السمح إجمالا ٣٠١

أولا: تتلمذه على الشيخ: محمد عبده ٣١٣
علاقة أبو السمح بمحمد عبده، وثناؤه عليه، وعدم تأثره به ٣١٣
ثانيًا: تتلمذه على الشيخ: محمد رشيد رضا ٣١٦
علاقة رشيد بـ «مذهب السلف»، واتصاله بـ «السلفيين» ٣١٦
توجيه تتلمذ أبو السمح على رشيد، وبيان استفادته منه ٣١٦
ثالثًا: تعظيمه لشيخِه رشيد رضا ٣١٨
تعليل تعظيم أبو السمح لشيخه رشيد ٣١٩
رابعًا: ثناؤه على «تفسير المنار». ٣٢١
التَّحفظُّ على ثناء أبو السمح على «تفسير» شيخِه، وأسبابه ٣٢٢
خامسًا: كلامه المُجمل حول «الاتباع» و «التقليد» ٣٢٤
بيان الاتجاهات العلمية الفقهية، ومرجِعُها الأعلى ٣٢٤
مأخذٌ منهجي على أتباع مدرسة «أهل الحديث» المعاصرين ٣٢٤
غُلاة مدرستي «أهل الفقه» و «أهل الحديث» ٣٢٥
«الإجماع العملي» على جواز اتباع «المذاهب الأربعة» ٣٢٥
ما تميز به فقه «المذاهب الأربعة»، من تحرير وتنقيح واستدلال ٣٢٥
سادسًا: علاقته بحسن البَنَّا، وجماعة «الإخوان المسلمون» ٣٣٠
«الإخوان المسلمون»، ما لهم وما عليهم، ورأي الباحث ٣٣٠
علاقة أبو السمح بحسن البناء، وثناؤه عليه ٣٣٢

مناقشة هذه العلاقة، وتحليلها	٣٣٤
المبحث السادس عشر: جهوده في توزيع «الفتح الرباني» للسَّاعاتي	**٣٣٩**
تمهيد: إشكالية البحث في «المسند»، وعدد أحاديث طبعاته	٣٤٠
من أقدم الأعمال العِلمية في ترتيب أحاديث «المسند»	٣٤١
ترجمة الشيخ أحمد البنا السَّاعاتي	٣٤٢
اشتغال الشيخ السَّاعاتي بـ «المُسند»، والعمل عليه	٣٤٤
قصةٌ تُبين أهمية ترتيب «المسند» موضوعيًا	٣٤٥
عقبات تَحُولُ دون طبع ونشر «الفتح الرباني»، وشرحِه	٣٤٨
مساهمة العلامة أبو السَّمح في توزيع «المُسند»	٣٤٩
نصوص بعض المكاتبات بين أبو السمح والساعاتي	٣٥٠
المبحث السابع عشر: أبو السَّمح والتكفير	**٣٥٩**
تمهيد: رأس البلاء الفكري «الإرجاء» و «التكفير»	٣٦٠
سجالاتٌ عقائدية، تؤدي إلى التكفير!	٣٦٠
تكفير المخالف بين أبو السمح ومناوئي «دعوة التوحيد»	٣٦١
المبحث الثامن عشر: مُلخّص الوقائع التي جرت له مع خصومه	**٣٦٦**
تمهيد: القنوات العلمية التي أثَّرت في تكوين أبو السمح	٣٦٧
ما حدث له من فِتن ومِحن وابتلاءات	٣٦٨

ذِكر بعضُ ما حَصلَ للشيخ من ابتلاءات	٣٧١
الابتلاء الأول: فِتنُ العوام في «الجيزة»	٣٧١
الابتلاء الثاني: حادثة مع أهل الغلو والعوام	٣٧٢
الابتلاء الثالث: الاعتداء عليه وهو يُصلي	٣٧٣
الابتلاء الرابع: التحقيق معه بغير إنصافٍ	٣٧٤
الابتلاء الخامس: المَكْرُ به في مُناظرةٍ وضربه	٣٧٨
الابتلاء السادس: اتهامه بالرِّدة، وطلبُ محاكمتِه	٣٨١
مُجْمل ما اتُّهِم به الشيخ أبو السمح	٣٨٤
١. دعوته إلى «الوهابية»	٣٨٦
٢. قوله: إنَّ «عَصَاي» خيرٌ من النبي ﷺ	٣٨٧
٣. إهانته لـ «المقدسات الإسلامية»	٣٨٩
٤. ارتداده عن «المِلَّة»	٣٩٠
٥. إنكاره «الوسيلة» و «الشفاعة»	٣٩٠
٦. إنكاره الصلاة على النبي ﷺ	٣٩١
٧. دعوتُه الناسَ إلى «مذهبٍ» خامسٍ، وسبب أئمة «المذاهب»	٣٩٠
٨. تفريقه بين أبناء الأسرة الواحدة	٣٩٣
أسبابُ ودوافع هذه التُّهم	٣٩٣
المبحث التاسع عشر: [ذِكر وقائع محاكمته بحكايته، ورواية	**٣٩٦**

رشيد رضا

ما جرى لأبو السمح رواه عُلماء ثقات أثبات ٣٩٧

منهج ذكر وتوثيق وقائع المحاكمة ٣٩٨

أولاً: حكاية العلامة عبد الظاهر ٣٩٨

ثانيًا: رواية العلامة رشيد رضا ٤٠١

القضايا الدينية في المحاكم، ونتائج الحريات ٤٠١

ترجمة الخديوي: محمد توفيق باشا، وإصلاحاته (ح) ٤٠٢

ترجمة الزعيم: أحمد عُرابي (ح) ٤٠٢

ترجمة الشيخ أبو زيد الدمنهوري، وإلحاده في التفسير (ح) ٤٠٥

قضية الشيخ أبو السمح ٤٠٦

ثالثًا: نص حكم «المحكمة الجزئية» ٤٠٧

رابعًا: نص حكم «محكمة الاستئناف» ٤١٠

تعقيب الباحث على الواقعة ٤١١

الخاتمة؛ خلاصة البحث، ونتائجه ٤١٢

الملحق الأول: «السيرة الذاتية» لأبو السمح ـ بقلمه ٤١٧

الملحق الثاني: مشاهدات تقي الدين الهلالي، لما جرى لأبو السمح ٤١٩

الملحق الثالث: الصور والوثائق ٤٢١

فهرس الأعلام ٤٣٣

قائمة المصادر والمراجع ٤٣٥

فهرس الموضوعات والفوائد ٤٦٥

فهرس الموضوعات الرئيسة ٤٨٥

* * * *

فِهْرِسُ المَوْضُوعَاتِ الرَّئِيسَةِ

الموضوع	الصفحة
المقدمة ـ المدخل إلى الموضوع	٥
سبب التأليف في سيرة الشيخ عبدالظاهر أبو السمح	٦
خطة البحث	٨
التوطئة: قصة الصِّراع بين الحقِّ والباطل	١١
التمهيد: دراسة تحليلية لمصادر ترجمة عبدالظاهر أبو السمح	١٦
المبحث الأول: حياته الخاصة	٣٣
المبحث الثاني: نشأته العلمية، ورحلاته العلمية، وشيوخه	٥٠
المبحث الثالث: عقيدته، ومذهبه الفقهي	٧٥
المبحث الرابع: تلاميذه، وأثرُه فيهم	٩٤
المبحث الخامس: أعماله	١٠٥
المبحث السادس: تولِّيه الإمامة والخطابة بـ «المسجد الحرام»	١٢١
المبحث السابع: إنشاؤه «دار الحديث الخيرية»، وتدريسه فيها	١٤٣
المبحث الثامن: منهجه في الحُسْبة	١٦٥
المبحث التاسع: مؤلفاته	١٦٩
المبحث العاشر: جهاده بقلمه، ومقالاته	١٨٥
المبحث الحادي عشر: مجادلته «أهل الحديث» في مسألة	٢٠٠

«التمذهب»

المبحث الثاني عشر: بحثه لمسألة «فناء النار»، واختياره فيها ٢١٢

المبحث الثالث عشر: قصائده ٢٦٢

المبحث الرابع عشر: ثناء العلماء عليه ٣٠١

المبحث الخامس عشر: المآخذ عليه، والدفاع عنه ٣١١

المبحث السادس عشر: جهوده في توزيع «الفتح الرباني» للسَّاعاتي ٣٣٩

المبحث السابع عشر: أبو السَّمح والتكفير ٣٥٩

المبحث الثامن عشر: مُلخّص الوقائع التي جرت له مع خصومه ٣٦٦

المبحث التاسع عشر: ذِكر وقائع محاكمته بحكايته، ورواية رشيد رضا ٣٩٦

الخاتمة: خلاصة البحث، ونتائجه ٤١٢

الملاحق ٤١٧

قائمة المصادر والمراجع ٤٣٥

فهرس الموضوعات والفوائد ٤٦٥

فهرس الموضوعات الرئيسة ٤٨٥

* * * *